

النّبوءة والسياسة

الإنجليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السّمّاك

دار الشروق

طبعة دار الشروق الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

طبعة دار الشروق الثانية
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المصطفى عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني : email: dar@shorouk.com

مقدمة جديدة

بعض الاعتقادات تدوم ولكن ذلك لا يعنى أنها صحيحة .
وبعض القواعد تتجذر ولكن ذلك لا يعنى أنها عادلة .
وبعض التقاليد تتأصل ولكن ذلك لا يعنى أنها ضرورية .
ثمة اعتقادات وقواعد وتقاليد تستمد ديمومتها من قدرتها على الاستمرار وليس من صحتها أو من عدالتها أو من ضرورتها .

إن الأفكار أشبه ما تكون بالفيروسات ، فهي تعيش وتنتشر عندما تجد استعداداً لتقبلها . وهى تموت وتندثر عندما تواجه مناعة ترفضها وتقطع تواصلها .

وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات . فالأفكار - بصرف النظر عن مضمونها - تتسرب إلى العقول وتتغلغل فى النفوس عندما تُطرح فى مجتمع ضعيف المناعة أو فاقد لها وغير محصن ذاتياً ضد ما تحمله من قيم ومبادئ .

من هنا خطورة الأفكار التى تطرحها الحركة الصهيونية المسيحية فى الولايات المتحدة الأمريكية . ومن هنا أهمية هذا الكتاب الذى يعرض للمنطلقات الفكرية لهذا الحركة ، وللمنظمات الدينية التى تعمل تحت ظلال كنسية للترويج لأفكارها . وتكون بالتالى ضميراً دينياً جماعياً بوجوب دعم إسرائيل تحقيقاً لنبوءات مستخرجة من التوراة بما يتوافق مع الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل فى فلسطين وفى الوطن العربى . . . ولذلك يفسر الكاتب التوراتى الأمريكى هال ليندسى تاريخ الشرق الأوسط والعالم كله فى كتابه «الكرة الأرضية العظيمة السابقة» بقوله : «إن دولة إسرائيل هى الخط التاريخى لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل» .

ويقول ليندسى فى كتابه أيضاً : «قبل أن يصبح اليهود أمة لم يكشف عن شيء ، أما الآن وقد حدث ذلك فقد بدأ العد العكسى لحدوث المؤشرات التى تتعلق بجميع أنواع النبوءات . واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط وخاصة على إسرائيل فى الأيام الأخيرة . إن كل الأمم سوف

تضطرب وسوف تصبح متورطة بما يجرى هناك. إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور فى هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح فى مجرى النبوءات تماماً كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها فى الصحف اليومية».

وفى كتاب آخر له عنوانه «العالم الجديد القادم» يقول ليندسى : «فكروا فى ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندى من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبا الغربية)».

«إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينته القدس. ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هرمجيدون. فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى أجمعة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس.. وهذا الوادى سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء».

ويكتب ليندسى كذلك «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق ! إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسانية من الإنسان للإنسان ، ومع ذلك فإن الله يمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم .»

ويضيف ليندسى فى كتابه : «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريباً قد قُتل ، تحين ساعة اللحظة العظيمة ، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل . وفى هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية».

ويحسم ليندسى هذا السيناريو لنهاية التاريخ بقوله : « سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هرمجيدون .. وسينحنى كل واحد منهم ، الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح . وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدءون التبشير ببشارة المسيح ».

وينقل كاتب توراتى أميركى آخر هو جيرى فولويل عن إصحاح زكريا ١٢/١١ و١٦/١٦ وعن إصحاح إسحاق ٣٥/٣٦ و ٣٥ : «إن ساحة معركة هرمجيدون سوف تمتد من « - سهل - » مجيدو فى الشمال إلى ايدوم فى الجنوب ، مسافة حوالى ٢٠٠ ميل. وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط فى الغرب وإلى تلال موهاب فى الشرق ، مسافة ١٠٠ ميل تقريباً . إن سهول جزريل والنقطة المركزية للمنطقة كلها ستكونان مدينة القدس . استناداً إلى زكريا ١٤ الآيتان ١ و ٢».

ففى عام ١٩٨٥ أجرى المعهد المسيحى فى واشنطن (وهو معهد متخصص فى الدراسات الدينية عن الإسلام والمسيحية واليهودية) دراسة بقيادة القس اندرو لانغ حول إيمان الرئيس ريغان بنظرية هرمجيدون جاء فى الدراسة: « إن إمكانية إيمان رئيس الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة : هل يؤمن بجدوى مباحثات التسليح رئيس يعتقد هذا النظام الدينى؟ وخلال أى أزمة نووية هل سيكون متروياً وعاقلاً؟ أو إنه سيكون متهافتاً للضغط على الزر ، وهو يشعر فى قرارة نفسه أنه يساعد الله فى مخططاته التوراتية المقررة مسبقاً لنهاية الزمن؟» .

لقد ساعد لانغ فى إعداد هذه الدراسة عن ريغان وهرمجيدون لارى جونز وهو كاتب من نيويورك ومتخرج من جامعة كولومبيا . ويقول لانغ إن المؤمن بنظرية هرمجيدون هو أصولى يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموساً ليتنبأ بالمستقبل .

إن رجالاً أمثال جيرى فولويل وهول لندسى وبات روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحى الجديد، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والانهيال الاقتصادى والفوضى الاجتماعى .

«إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية، كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح فى الكتاب المقدس . وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ ، فإن المسيحيين المخلصين سوف يرفعون مادياً من فوق الأرض ويجتمعون بالمسيح فى الفضاء . ومن هناك سوف يراقبون بسلام الحروب النووية والمشاكل الاقتصادية . وفى نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح كقائد عسكري لخوض معركة هرمجيدون ، ولتدمير أعداء الله، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة» .

الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريغان يقول : «إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هرمجيدون قد تحققت ، وفى الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة ، ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار معركة هرمجيدون والعودة الثانية للمسيح .

تولى ريغان قبل أن يصل إلى البيت الأبيض مرتين منصب حاكم ولاية كاليفورنيا، وهى الولاية الأمريكية التى تكثر فيها الحركات الدينية المتطرفة من نوع

حركة «بوابة السماء» التي ارتكب أتباعها جريمة الانتحار الجماعي في شهر إبريل - نيسان ١٩٩٧ . ومن هذه الحركات أيضاً الكنيسة العلمية SCientology التي أصبحت من أكبر الكنائس في أميركا ، وكنيسة «المسيح الدولية» التي تأسست في عام ١٩٧٩ في لوس انجيلوس بقيادة الأسقف كيب ماك كين . وفي إحصاء أميركي أن ثمة ٢٠٠٠ حركة دينية من هذا النوع في الولايات المتحدة تحتمى بالمادة الأولى من الدستور الأميركي الذي يضمن الحريات الدينية ويحجب حتى عن العائلة حق التدخل لمنع أبنائها من الانضمام إلى أى حركة دينية يختارونها .

ولقد وصلت هذه الحركات إلى آسيا ، وخاصة إلى كوريا الجنوبية كما وصلت إلى أوروبا ، وبلغ عددها في بريطانيا وحدها ١٦٠٠ مجموعة . وكان من مظاهرها مأساة معبد الشمس في عام ١٩٩٤ حيث انتحر ٤٥ شخصاً في وقت واحد في كل من سويسرا وكندا . ومأساة غرونوبل في فرنسا حيث انتحر ١٦ فرنسيا من أتباع هذه الحركة . ولذلك وقفت ألمانيا ضد «الكنيسة العلمية» رغم أنها تمكنت من استقطاب أكثر من ٣٠ ألف شخص حتى عام ١٩٩٧ ، ووقفت بريطانيا ضد «الكنيسة الموحدة» التي استقطبت ٢٥٠٠ مؤمن بها ؛ وشكلت فرنسا فريقاً من ٦٥٠٠ شخص يعملون في ١٣٠٠ مركز لتوعية الشباب على مخاطر هذه الحركات الدينية .

إن المسافة بين حرية الاعتقاد وحماية أمن المجتمع بدأت تضيق . والمسافة بين الحرية الدينية والحقوق الإنسانية بدأت تتقلص بعد سنوات من «الانفصالات» والتفكّات . وتكشف هذه الحركات الدينية أن الولايات المتحدة تمثل الينبوع الأساسى للحركات الأصولية الدينية بما تتسم به من تطرف وعنف وإلغاء للآخر وإن لهذه الحركات تأثيراً مباشراً وفعالاً على صناعة القرار السياسى الأمريكى المتعلق تحديداً بالشرق الأوسط .

فعندما رار الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر إسرائيل في آذار مارس - ١٩٧٩ ألقى خطاباً أمام الكنيست (وكان يعمل على إقرار معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل) قال فيه : «جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقات خاصة . إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكى نفسه ، وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته ، لقد أقام كلا من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، مهاجرون رواد ، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة» .

ويعكس الموقف الذي اتخذته يوم الثلاثاء ٢٤ تشرين أول - أكتوبر ١٩٩٥ الكونغرس الأميركي بمجلسيه الشيوخ والنواب ، باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل وينقل مقرّ السفارة الأميركية إليها من تل أبيب ، مدى قدرة هذه الحركة الدينية الأصولية على التأثير في صناعة هذه القرار . لقد وضع السيناتور بوب دول المشروع بهدف كسب تأييد الأصولية الإنجيلية في معركة انتخابات الرئاسة الأميركية التي كان يخوضها ضد الرئيس بيل كلنتون . ورغم أن ثمانية من قادة الكنائس الأميركية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية المشيخية وقّعوا في آذار - مارس ١٩٩٥ على بيان يعارض نقل السفارة الأميركية إلى القدس ، ورغم أن الرئيس كلنتون نفسه أعلن أنه لا يجد في توقيت القرار ، على الأقل ، أي خدمة للمصالح الأميركية الاستراتيجية أو لمساعي التسوية السياسية في الشرق الأوسط التي تقوم بها إدارته ، فإن الإثارة الدينية تكاملت مع المعركة الداخلية حول انتخابات الرئاسة لولادة أخطر قرار يلقي بقفازات التحدي في وجه العالمين الإسلامي والمسيحي معاً. وقد عاد مجلس النواب الأميركي وأكد قراره في شهر حزيران - يونيو ١٩٩٧ من خلال الدعوة إلى نقل مقرّ السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس ورصد الاعتماد المالي اللازم لذلك .

من خلال ذلك يتبين بوضوح أن الأصولية الإنجيلية المتصهينة لا تقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينة لمفاهيم دينية محددة ، ولكنها تحاول أن تصنع المستقبل وفقاً لهذه التفسيرات وعلى قاعدتها. ومن خلال الموقع الممتاز الذي تشبوّه في مصنع القرار الأميركي (والذي يتحكم في مصائر العالم ومقدراته) لم يعد يجوز ، ولم يكن جائزاً في الأساس ، تجاهل دورها وتأثيرها ونفوذها . فقرار الكونغرس بمجلسيه الشيوخ والنواب بشأن القدس لم تمله مصالح أميركية . وهو لا يقع في إطار حركة السياسة الأميركية في الشرق الأوسط ، ولكن أمله معتقدات دينية أصولية . وبات على السياسة الأميركية أن تتكيف معه وأن تعيد النظر في سلوكها وفقاً لمقتضيات الالتزام به كمعطى إلهي مقدّس .

من هنا كانت ضرورة إعادة طبع هذه الكتاب حتى يصل إلى كل عقل وإلى كل ضمير وإلى أصحاب القرار في وطننا العربي الكبير .

محمد السماك

مقدمة الطبعة الثالثة

يمثل العالم العربي موقعاً متميزاً وفريداً من نوعه في عملية اتخاذ القرار السياسي الأميركي. فبالإضافة إلى أهمية موقعه الجغرافي، وسوقه التجارية الاستهلاكية، وإنتاجه من النفط، فإن ثمة عاملاً آخر يتقدم على هذه العوامل كلها. هذا العامل هو تأثير الفكر الديني المسيحي- الإنجيلي على صياغة القرار الأميركي من الصراع العربي- الإسرائيلي.

من المعروف أن الصهيونية - اليهودية سبقت الصهيونية المسيحية (الإنجيلية) بحوالي أربعمئة سنة:

إن الإيمان بعودة السيد المسيح، وبأن هذه العودة «مشروطة» بقيام دولة صهيون، وبالتالي بتجميع اليهود في أرض فلسطين، لعب في الماضي، ويلعب اليوم، دوراً أساسياً في صناعة قرار قيام إسرائيل وتهجير اليهود إليها، ومن ثم دعمها ومساعدتها. كذلك، فإن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، لعب في الماضي ويلعب اليوم، دوراً أساسياً في إعفائهم من القوانين والمواثيق الدولية، ذلك لأن منطق الصهيونية اليهودية - والصهيونية المسيحية معاً يقول، إن شريعة الله هي التي يجب أن تطبق على شعب الله، وإن شريعة الله تقول بمنح اليهود الأرض المقدسة في عهد مقطوع لإبراهيم ولذريته حتى قيام الساعة. وبالتالي، فإنه حيث تتعارض القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله، فإن شريعة الله وحدها هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين.

كذلك، فإن الإيمان بأنه لا بد من محرقة نووية (هرمجدون) تحضر لعودة المسيح، وأنه لا بد أن يذوب في هذه المحرقة كل أولئك الذين ينكرون المسيح من الملحدين الشيوعيين، ومن المسيحيين العلمانيين، ومن المسيحيين غير الإنجيليين، ومن المسلمين، ومن معظم اليهود، إن هذا الإيمان يقف وراء قرار ضرورة إضعاف العرب، وضرورة تعزيز الترسانة العسكرية لإسرائيل، ووراء حتمية الاستجابة إلى جميع مطالبها بالدعم المالي والسياسي والعسكري.

لقد قامت فى بريطانيا أولاً، ثم فى الولايات المتحدة ، حركات دينية مسيحية إنجيلية انطلاقاً من هذه المعتقدات. ولعل أهم وأقوى هذه الحركات اليوم هى الحركة «التدبيرية» ، وهى الكلمة التى وجدت أنها أقرب ما تكون إلى معنى اسم الحركة باللغة الإنكليزية وهو Dispensationalism .

هذه الحركة تؤمن بأن الله هو مدبر كل شىء . وأن فى الكتاب المقدس وخاصة فى سفر حزقيال، وسفر الرؤيا وسفر يوحنا . نبوءات واضحة حول الوصايا التى يحدد الله فى تحقيقه كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته :

عودة اليهود إلى فلسطين. قيام إسرائيل. هجوم أعداء الله على إسرائيل. وقوع محرقة هرمجدون النووية. انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين . ظهور المسيح المخلص، مبادرة من بقى من اليهود إلى الإيمان بالمسيح . انتشار السلام فى مملكة المسيح مدة ألف عام.

وعندما تضم هذه الحركة أكثر من أربعين مليون أميركى .

وعندما يكون من بين أعضائها الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريغان،

وعندما تسيطر الحركة على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأميركية وبصورة خاصة التلفزيون، وعندما يشارك قادتها، كبار المسئولين الأميركيين فى البيت الأبيض، والبنتاغون، ووزارة الخارجية، فى صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية من الصراع العربى - الصهيونى.

عند ذلك تصبح دراسة هذه الحركة (التي تتوسع باستمرار والتي تستقطب حركات دينية أخرى داخل وخارج الولايات المتحدة) ضرورة وواجباً.

إن أهمية هذا الكتاب، أن كاتبته السيدة غريس هالسل هى من بيت مسيحي إنجيلي معروف فى الولايات المتحدة. وقد تعرفت على الحركة التدبيرية عن قرب. حاورت قادتها وفلاسفتها . زارت فلسطين المحتلة عدة مرات ضمن جولات دينية ومؤسسات، كنائس ، تنفانى فى العمل من أجل مصلحة إسرائيل ، لا حباً باليهود بالضرورة، ولكن للمساعدة على تحقيق النبوءات التوراتية التى تمهد لعودة المسيح.

وتبين هذه الدراسة أيضاً كيف تعمل هذه المؤسسات والشخصيات داخل الولايات المتحدة . كيف تجمع الأموال. وكيف تثير الرأى العام. وكيف تدافع عن مصالح إسرائيل. وكيف تنسق مع الحكومة الإسرائيلية.

وتبيّن هذه الدراسة كذلك، أن هناك كنائس مسيحية كاثوليكية فى الدرجه الأولى وحتى كنائس إنجيلية، مثل الكنيسة المشيخية (بالإضافة إلى الكنائس الشرقية الأرثوذكسية) تنبذ هذه الأفكار وتعتبرها دخيلة على المسيحية ومقوضة لأركانها الإيمانية .

إن أهمية هذا الكتاب تكمن فى أنه يعطى صورة واضحة عن كيفية عمل هذه الحركة الدينية . ويقدم خريطة مفصلة لمواقع نفوذها . كما أنه يلقى أضواء على الصراع بين هذه الحركة والكنائس المسيحية الأخرى التى تتخذ مواقف مناقضة إلى حدّ كبير .

وبسبب هذا الأهمية كان لا بد من ترجمته حتى يقف كل من هو فى موقع المسئولية المباشرة أو غير المباشرة فى العالم العربى ، أمام الحقائق الموضوعية الثابتة التى يتضمنها .

إن الكتاب يمكن أن يشكل مصباحاً فى طريق العاملين من أجل تطويق خطر هذه الحركة الدينية ليس فقط على السلام فى العالم العربى ، إنما على السلام فى العالم كله .

محمد السمّاك

المقدّمة

ولدت في مدينة «ليبوك» من أب وأمّ مسيحيين . تربيت وترعرعت على الإيمان بالديانة المسيحية . إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى «هرمجدون» ، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح ، الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حدّ سواء .

بصورة عامة يؤمن المسيحيون في مدينتي أيضاً بأن عمر الكون هو ٦ آلاف سنة ، وأن مريم أم عيسى كانت عذراء ، وأن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن الله أعطى الأرض المقدّسة إلى شعبه المختار اليهود .

ولأن اليهود هم شعبه المختار فإنّ الله يبارك الذين يباركون اليهود ويلعن لاعينهم .

كنّا ندرس في - أيام الأحاد - في المدرسة كتاباً يتضمن صوراً ملوّنة عن مناطق بعيدة وعن رجال ملثمين يلبسون قفازين فضفاضة . وكنت أستمع إلى قصص العهد القديم حول استيطان «العبرانيين» في فلسطين .

ومنذ عهد مبكر تملكتني الرغبة بأن أقيم في فلسطين أيضاً . وعندما كنت في التاسعة عشرة من عمري غادرت مدينة «ليبوك» وتركت عائلتي واطمئنانى وعشت سنوات معتمدة على دخلي من عملي ككاتبة . وعشت لسنوات في أوروبا وكوريا واليابان وأميركا الجنوبية . كذلك ذهبت إلى فينتام كمراسلة . وهناك رأيت المستشفيات تغصّ بالنساء والأطفال الذين فقدوا أذرعهم أو سيقانهم من جراء القنابل الأميركية ألقتها عليهم الطائرات الأميركية . كان كثير من الضحايا يشيرون إلى السماء ويقولون: النيران، النيران، النيران الأميركية!

ولقد تساءلت ، باستغراب ، لماذا نقتل الفيتناميين؟

تركت فينتام وعدت إلى الولايات المتحدة وأقمت في مدينة واشنطن حيث عملت مراسلة لتغطية الحملة الانتخابية لـ «لندون جونسون» . اختارني يوماً الرئيس جونسون شخصياً للعمل معه ككاتبة في البيت الأبيض .

لقد واصل جونسون تصعيد الحرب وأرسل المزيد من الجنود الأميركيين ليقتلوا وليقتلوا وغالباً ما رأته يتألم من القتل وكان يقول : «كنت أستيقظ كل الليل وأجد نفسي مُحاصراً . كان أسير اعتقاله أن الرجال الأقوياء يكسبون المعارك .

لقد كنت أتساءل باستمرار: لماذا لا ننظر إلى الفيتناميين كشعب؟ متى يمكنني أن أقول للرئيس جونسون ولغيره: إن الفيتناميين حقيقيون كبشر مثلي ومثلك؟ ثم سألت نفسي: هل هناك جماعات أخرى من الشعوب التي لا نراها أيضاً؟

إنني كمسيحية بيضاء ترعرعت في «تكساس»، لم أر أبداً شعباً أسود، فهل كان عدم رؤيتي له هو نتيجة العنصرية في داخلي؟ من أجل أن أكتشف السؤال تركت عملي في البيت الأبيض، وبعد «تسوיד» بشرتي عشت كامرأة سوداء وسجلت انطباعاتي وتجاربي في كتاب.

وبعد ذلك «عشت حياة سيّدة هندية كانت تعيش في مخيم «نافاجو» في «مكسيكو الجديدة» و«أريزونا» ثم كتبت تجربة سيّدة مكسيكية تجتاز الحدود «الأميريكية المكسيكية» بدون وثائق رسمية.

وبالتأكيد توجهت إلى «الشرق الأوسط» ولكن قبل أن أصل إلى هناك لم أدرس ثقافة المنطقة وتاريخها دراسة كاملة. غير أن معرفتي بالشرق الأوسط تنطلق بشكل أساسي من الكتاب المقدس، وفي هذا الشأن فإنني أشكل نموذجاً للعديد من الأميركيين.

في عام ١٩٧٩ قابلت في فلسطين المحتلة لأول مرة في حياتي أحد الفلسطينيين. لقد أخبرني كيف أنه أجبر، من خلال التهديد بالبنديقية، على مغادرة الأرض التي زرعهما أجداده وأجداد أجداده.

أقمت في إحدى المستوطنات اليهودية غير الشرعية في الضفة الغربية وتدعى «تاكوا» ونزلت لفترة في منزل «ليندا وبوبي براون» وهما من الجيل الأميركي الثالث قد أخبراني أنهما استعمالاً المسدسات وبنادق «أوزي» لمصادرة الأرض من الفلاحين الفلسطينيين. وقال لي «بوبي براون» وهو يهودي من «بروكلين»: إن الله أعطى هذه الأرض لنا، نحن اليهود. مختاراً. وأن الله أعطى الأرض المقدسة إلى شعبة المختار.

الآن وأنا في الأرض المقدسة، فإن الذي يتكلم هذه المرة هو رجل من «بروكلين»، والأرض التي نجلس عليها ليست أسطورة ولكنها حقيقة تخص فلسطينيين عاشوا هنا طوال الألفي سنة الماضية.

فى هذه اللحظة وجدت نفسى وجهاً لوجه أمام سؤال مهم جداً كان يرافقتنى منذ الطفولة وهو : هل صحيح أن لله شعباً مختاراً ؟ وراود ذهنى سؤال آخر وهو : كيف يمكن لدولة حديثة تدعى إسرائيل أن تصنّف على أنها هى صهيون التوراتية الأسطورية؟

بعد عدّة زيارات إلى الأرض المقدّسة أردت أن أستكشف أكثر نظاما إيمانيا بالمسيحيين وأن أتعلّم ما يعتقدّه الآخرون بشأن نهاية الزمن . قرأت كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» الذى بيع منه حوالى ١٨ مليون نسخة وظلّ على رأس لائحة الكتب الأكثر مبيعاً خلال السبعينات ، وكان يباع منه أكثر من أى كتاب آخر باستثناء الكتاب المقدس .

فى هذا الكتاب وفى أربعة كتب أخرى ، بما فيها كتاب «العالم الجديد» ، يقول المؤلف «هول لندسى» إنّ الله قضى علينا أن نخوض غمار حرب نووية «هرمجدون» .

كان كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» على الطاولة فى غرفتى عندما كان يساعدى فى ترتيب أثاث المنزل أحسد العمّال الذى التقطه وقال إنّه كان مهتماً جداً بقراءة الكتاب عندما نشر لأول مرة وإنّه اشترى نسخة منه .

سألته : لماذا هو مهتم بقراءة هذا الكتاب؟ فأجاب : أردت أن أعرف ماذا سيحلّ بهذه الأرض .

ترى ، هل يتفق مع الكاتب «لندسى» بأنّ علينا أن ندمّر الكرة الأرضية ، وأن نبيد أنفسنا وكل ما عندنا من أشجار وأزهار وأشعار وفنون وآداب وموسيقى جميلة بحيث لا يبقى شىء من الماضى؟ وبحيث لا يكون هناك غد على الأرض؟ أجابنى العامل : «حسناً إن ذلك كلّ موجود فى الكتاب المقدس تماماً كما يقول «لندسى» .

كان : «رونالد ريغان» واحداً من الذين قرءوا كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» ، فهل هو مثل «لندسى» يؤمن أنّ الله قد قضى أن على هذا الجليل بالتحديد، الذى يعيش فى الوقت الحاضر، أن يدمّر الكرة الأرضية؟ وهل بدأنا عملية العد العكسى للقضاء على أنفسنا؟

فى وقت مبكر من عام ١٩٨٦ ، أصبحت «ليبيا» العدو الدولى رقم واحد

لـ«رونالد ريغان» ، فهل يعود تفسير ذلك إلى نبوءة توراتيه؟ استناداً إلى «جايمس ميلز» ، الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا، فإن «ريغان» كره «ليبييا» لأنه رأى أن ليبيا هي واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات ، وبالتالي فإنها هي عدو لله .

وفي عشاء أقيم في عام ١٩٧١ في مدينة «سكرمنتو» في كاليفورنيا (حيث كان ريغان في ذلك الوقت حاكماً) تكريماً لـ «جيمس ميلز» ، بدأ ريغان فجأة يتحدث إلى «ميلز» الذي كان يجلس إلى جانبه حول النبوءات الإنجيلية، وحول حتمية مقاتلتنا للاتحاد السوفياتي (ياجوج ومأجوج في الكتاب المقدس) ويذكر «ميلز» هذا الحادث في عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ من مجلة «سان دييغو» ويقول إن ريغان أخبره بتأكيد جازم:

«في الفصل ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نصّ يقول : إن أرض إسرائيل سوف تتعرض إلى هجوم تشنه عليها جيوش تابعة إلى دول لا تؤمن بالله . وتقول إن ليبيا ستكون من بينهم . هل تفهم ماذا يعنى ذلك؟»

لقد أصبحت ليبيا الآن شيوعية وهذا مؤشر إلى أن هرّمجدون ليس ببعيد .

إنّ السجلات تشير إلى أنّ ريغان ، وعلى مدى سنوات عديدة ، أطلق تصريحات ماثلة بشأن مجابته لقوى شيطانية في «هرّمجدون» نووية . ويقول الباحثان «لارى جونز» من نيويورك و«أندرو لانغ» في المعهد المسيحي الإنجيلي في مدينة واشنطن ، إنّ دراساتهم تقنعهما بأنّ ريغان قبل في الماضي تفسيراً توراتياً لنبوءة تقول : بأنّ هرّمجدون نووية هي أمر لا يمكن تجنبه وأنه ، حتى عام ١٩٨٦ ، ربّما يكون ريغان قد استمرّ على هذا الاعتقاد . إن الموضوع مثير لدرجة أنني أخصص ، فصلاً خاصاً عن ريغان وإيمانه .

إنّ معظم محطات التلفزيون الرئيسية الإنجيلية تعلّم ما قاله (هول لندسي) في كتبه المشهورة ، وهو أنّ هذه الكرة الأرضية سوف تصبح في حياتنا آخر كرة أرضية عظيمة . إنّ الله يعرف أنّ ذلك سيحدث ، إنّهُ يعرف ذلك منذ البداية الأولى . ولكنّ الله أخفى مخططه عن بلايين البشر الذين عاشوا قبلنا - أمّا الآن ، واستناداً إلى «لندسي» فإنّ الله يكشف عن مخططه إلى «لندسي» وإلى الآخرين مثل «جيري فالويل» و«جيمي سواغارت» و«بات روبرتسون» ، الذين يبشرون بنظرية هرّمجدون .

إنّ نظام الإيمان عند لندسى وفالويل وسواغارت وروبرتسون ، وعند حوالى ٤٠ مليون إنجيلي أصولي . يتمركز حول أرض صهيون الإنجيلية وحول دولة إسرائيل الصهيونية الحديثة التي يعتبرونها واحدة ونفس الشيء .

يخبرنا «لندسى» أنّ علينا أن نمرّ في سبع مراحل زمنية تتضمّن واحدة منها معركة هرّمَجَدُون الرهيبة حيث يُكشَف عن أسلحة نووية مدمّرة تمامًا وجديدة . وحيث إنّ الدم سوف يسيل كالأنهار العاتية . إنّ كلّ مرحلة من هذه المراحل تدعى «التدبيرية» . والمبشّرون بهذا الاعتقاد مثل «جيري ، فولويل» و«جيمي سواغارات» يصوِّرون نظامهم الإيمانى على أسس أصولية أرثوذكسية تقوم على تفسير لفظي للكتاب المقدس . غير أنّ هذه الأرثوذكسية لا يزيد عمرها على ١٥٠ سنة ، وليس ممكناً أن تُطبّق بدقّة كلمات «لفظية» و«أصولية» على معتقّد مسيحيّ يطالب بالحرب وينفى صلاة المسيح على جبل الزيتون «مباركٌ أولئك الذى يصنعون السلام» .

إنّ انتشار هذه النظرية فى هذه البلاد يعود فى معظمه إلى جهود «سايروس إنجويرون سكوفيلد» الذى ولد فى ١٩ آب ١٨٤٣ فى «كلنتون» فى ولاية «متشغن» .

إنّ نظام الإيمان عند «سكوفيلد» لم يبدأ معه إنّما يعود إلى جون نلسون داربى « وهو إيرلندى عاش فى القرن التاسع عشر وتعلّم فى كليّة «ترينتى» فى «دبلين» ، وكان فى وقت ما قسيساً فى كنيسة إنكلترا . لقد علّم أن لله مخططين ، وأنّ عند الله مجموعتين من الناس يتعامل معهما وأنّ إسرائيل كانت مملكة الله هنا على الأرض وأنّ الكنيسة «المسيحية» كانت مملكة الله فى السماء .

لقد قام داربى بعدة زيارات إلى كندا والولايات المتحدة وأثر فى «جايمس بروكس» راعى كنيستين كبيرتين من الكنائس المسيحية فى «سانت لويس» بولاية «ميزورى» . ومن هناك بدأ «سكوفيلد» .

لقد وضع «سكوفيلد» و«داربى» النبوءة فى المركز الرئيسى لمفهومهما عن المسيحية ، وجعلا منها قلب نظامهما الدينى . مع بداية عام ١٨٧٥ عقد «سكوفيلد» عدّة مؤتمرات حول النبوءات فى الكتاب المقدس . ومع تركيزه على ما كان يعتقد أنّه مخطط اللّه على الأرض من أجل إسرائيل ومخطط اللّه فى السماء من أجل خلاص المسيحيين ، رأى «سكوفيلد» إدخال ، ملاحظات تفسر نظامه الإيمانى فى مرجع إنجيلي .

وفى عام ١٩٠٩ طُبِعَ أوَّل مرجع إنجيلي لـ «سكوفيلد» وأصبح أكثر الكتب المتداولة حول المسيحية . وكانت تُباع منه ملايين النسخ .

فى كتابه «سكوفيلد العجيب وكتابه» يشير المؤلف «جوزيف كنفيلد» إلى خطر قيام سكوفيلد بزعم آرائه الشخصيّة فى الإنجيل ، وهذا يعنى ، كما كتب «كنفيلد» أن العامّة فشلت فى التمييز بين كلمات «سكوفيلد» وكلمات «الروح القدس» .

لقد علّم «سكوفيلد» أنّ تاريخ الإنسان ينقسم إلى مراحل محدّدة حيث إن الله يتراءى للإنسان بطرق مختلفة . أما المرحلة «التدبيرية» فيقول سكوفيلد : «إنها مرحلة من الوقت حيث يُمتحن الإنسان بالنسبة إلى طاعة إرادة الله التى تظهر فى هذه الفترة المحددة . وهناك سبع مراحل مميزة واردة فى النصوص» .

لم ير سكوفيلد أى أمل فى هذا العالم . إنّنا لا نستطيع أبداً أن نعيش فى سلام ، كما يقول . .

وفى إحدى المناسبات كان يذكر مستعميه أنه : «عاما بعد عام كان يردّد التحذير بأن عالمنا سوف يصل إلى نهايته بكارثة ودمار وبمأساة عالميّة نهائيّة» .

ولكنّه كان يقول أيضاً : « إن المسيحيين المخلّصين يجب أن يرحّبوا بهذه الحادثة لأنه بمجرد ما تبدأ المعركة النهائية فإنّ المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب وأنهم يُنقذون ، وأنهم لن يواجهوا شيئاً من المعاناة التى تجرى تحتهم» .

بالرغم من أنّ الأصوليين لم يتقبّلوا كلّهم هذه الفكرة ، فإنّها تسبّبت فى انقسام كبير . فهناك مؤشّر إلى أن أعداداً متزايدة من المسيحيين يتعلّقون بنظرية «هرمجدون» ، فهم مثل سكوفيلد يعتقدون أنّ المسيح وعد المسيحيين بسماء جديدة وأرض جديدة ، وبما أنّ الأمر كذلك ، فليس عليهم أن يقلقوا حول مصير الأرض ، فليذهب العالم كلّهُ إلى الجحيم ليحقّق المسيح للقلّة المختارة سماء وأرضاً جديدتين .

إنّ «جيمس وات» وزير الدّاخلية السابق قدّم مثالا على ذلك ، فقد أشار إلى لجنة مجلس النواب الأميركي المعنية بشؤون الغابات والأنهار أنّه لا يقلق كثيراً بشأن تدمير مصادر الأرض «لأننى لا أعرف كم من الأجيال المقبلة سوف نعتمد عليها قبل أن يعود الرب» . كذلك فإنّ نظرية هرمجدون قد تكون وراء عدم اهتمام اليمين وبعض الدوائر الحكومية بشأن العجز فى الميزانية والذى يزيد على ٢٠٠ بليون دولار فى السنّة ، وحول تضاعف الدين الوطنى فى ٤ سنوات فقط .

قمت برحلتين منظمتين بواسطة (جارى فالول) إلى الأرض المقدسة. وامتزجت بالعديد من أهل التدبيريين ومن بينهم (أون) الذى سأكتب عنه بعض التفاصيل. لقد شرح نظام إيمانه الذى يقتضى الحاجة إلى تدمير معظم الصروح الإسلامية المقدسة فى القدس، والتي يقدها حوالى مليار مسلم فى العالم، كما شرح الضرورة إلى شن حرب نووية هَرَمَجَدُون من أجل تدمير الكرة الأرضية. ولقد ساءلت نفسى هل يمثل شريطاً ضيقاً من مجتمعنا؟ هل على الآخرين أن يهتموا بمعرفة ما يعتقد؟ وإلى أى مدى يشكل تفكيره تمثيلاً لوجهة نظر واسعة؟.

أخبرنى (أون)، عندما كنا فى المدينة القديمة من القدس وهو ينظر إلى قبة الصخرة: إن النبوءة الإنجيلية (تقضى) بأن على اليهود تدمير هذا الصرح وبناء معبد - هيكل - يهودى مكانه. إن الإرهابيين اليهود الذين أمطروا المسجد بالديناميت لإزالته، هم أبطال فى نظر (أون). وعلمت أن الإرهابيين اليهود كانوا أبطالاً أيضاً فى نظر الكثيرين من بينهم يهود نافذون وأغنياء مثل (هاجان دانس) صاحب معامل المثلجات (وروين ماتيسوس) محرر الصحافة اليهودية (ويهودا شواتس)، وتاجر السلاح المكسيكى (ماركوس كاتس) الذى أرسل مئات الآلاف من الدولارات إلى الحركة اليهودية السرية.

إن المسيحيين الأصوليين الذين تبرعوا بسخاء إلى الإرهابيين اليهود يتضمنون فيمن يتضمنون (تيرى ريزن هوفر) أحد أقطاب صناعة النفط والغاز والذى يقوم بزيارات دورية للبيت الأبيض، والدكتور (هيلتون ساتون) رئيس (البعثة إلى أميركا)، والدكتور - (جايمس ديلوخ) راعى الكنيسة المعمدانية فى هيوستن الذى زارنى فى شقتى بمدينة واشنطن، وتباهى أمامى بأنه، مع آخرين، أنشئوا مؤسسة «معبد القدس» خصيصاً من أجل مساعدة أولئك الذين يعملون على تدمير المسجد وبناء المعبد.

لقد قال لى إنهم أرسلوا ٥٠ ألف دولار إلى منظمة الدفاع اليهودية الرسمية الإرهابية التى أدينت بالتخطيط لتدمير قبة الصخرة.

خلال إجراء البحث فى هذا الكتاب، لم أكن أرغب فى الكشف عن أية شخصية أو أية جماعة، إنما كنت أرغب فى الكتابة عن نظام إيمانى مقبول على نطاق واسع. إن أولئك الذين يؤمنون بنظرية (هَرَمَجَدُون) بينهم الغنى والفقير، الشهير والصعلوك، ولكن لم يسمع الكثيرون بـ (حنى) أو (كلامير) أو (براد)، وهم حجاج مع (جيرى فولول).

ولكن الملايين يعرفون راعي البقر فى دالاس (توم لاندرى) أو رأوا صورته على شاشة التلفزيون. لقد كان حاجباً فى واحدة من رحلات (فالويل) المنظمة وهو يقدر نظرية (فالول) حول هَرَمَجَدُون) تقديراً كبيراً.

عندما بدأت الكتابة كنت أطرح أسئلة أكثر مما كنت أجيبُ عليها.

وعندما كان الجنرال (جون فيسى)، الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة، يقيم جلسات الصلاة فى البنتاغون، هل كان يؤمن بأن حرباً نووية مع روسية سوف تسرع عودة المسيح؟.

هل يعتقد المسيحيون المخلصون من الموظفين الساميين مثل (ادوارد ميز) (وهربرت أكينغتون) أن دولة إسرائيل الحديثة وصهيون التوراتية هما دولة واحدة وأن أرض إسرائيل مقدسة!.

إلى أية درجة تسيطر فكرة «هول ليندسى» بأن الله يريدنا أن ندمر الكرة الأرضية، على أولئك الذين يتخذون قراراً بتوجيه الضربة النووية الأولى ضد السوفيات؟ وكم يوجد هناك من مسيحيين يؤمنون بالتدبيرية، أمثال بوبى هرومنس، زوجة الدكتور لسلى هرومنس من مؤسسة ت. ر. وفى كاليفورنيا وهى واحدة من كبرى المؤسسات الألكترونية لإنتاج الأجهزة الدفاعية، والتي تعتقد أن الله أعطى كل الأرض المحددة فى الإصحاح ١٥ إلى يهود القرن العشرين؟ وحتى فى العاصمة الأمريكية كم عدد أولئك الذين يعرفون أن السيدة هورمنس التى تسكن فى رولينغ هيلز فى كاليفورنيا تملك منزلاً فى الشارع المقابل للسفارة الإسرائيلية فى مدينة واشنطن من أجل هدف واحد منظور وهو إقامة كنيسة حيث يتمكن مسيحيون من كبار موظفى الحكومة الأمريكية من أداة الصلاة مرة كل ثلاث ساعات وعلى مدار الساعة من أجل فداء (ملكية إسرائيل) كل الأرض من النيل إلى الفرات؟.

من خلال إشارتى إالى بعض الأفراد ، ليس هدفى انتقاد المؤمنين بالكتاب المقدس من المسيحيين أو الأصوليين. إن والدى هارى . ه . هالسل علمنى قوة وجمالية الصفات التى تأتى مع الإيمان.

لقد كان والدى مؤسس كل من جامعة جنوب غرب (جورج تاون)، (وجامعة تكساس) (وجامعة دالاس). وفى الواقع فإن المسيحيين البروتستانت المؤمنين بالكتاب المقدس أنشئوا معظم جامعاتنا الكبيرة بما فيها (هارفارد) (وبال)

(وبرنستون) (وإيمورى) (ودرو) ، وكذلك جامعة جنوب كاليفورنيا فى (لوس انجلوس) وهذا غيـض من فيض . إن المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس أنشئوا أيضاً معظم مستشفياتنا الشهيرة . لم يكن هدفهم بناء الكنائس فقط إنما إقامة مراكز ثقافية وصحية ضخمة . كانوا مهتمين ومتفائلين ببناء عـالم أفضل ، ولم تكن لديهم الرغبة فى تدمير هذا العالم ، ومع ذلك فإن استقصاءات الرأى الأخيرة تشير إلى أن أعداداً متزايدة من الأميركيين يعتقدون أنه محكوم علينا بالفناء، وأنا نحن الذين سندمر الكرة الأرضية . إن استقصاء ١٩٨٤ الذى أجرته مؤسسة (باتكيلو فيتش) أظهر أن ٣٩ بالمئة من الشعب الأمريكى يقولون : إنه عندما يتحدث الكتاب المقدس عن تدمير الأرض بالنار فإن ذلك يعنى أننا نحن أنفسنا سوف ندمر الأرض (هرمجدون) نووية .

إذا كان هذا الاستقصاء صحيحاً فإن ذلك يعنى أن ٨٥ مليون أميركى يعتقدون أن الحرب النووية لا مفر منها .

إن استقصاءً للرأى أجرته صحيفة نيو يورك تايمز ومحطة تلفزيون (سى . بى . أس) قبل وقت قصير من لقاء ريغان - غورباتشوف بنهاية عام ١٩٨٥ أظهر أن نصف الرأى العام الأمريكى فقط يشعر أن القمة سوف تحسّن فى العلاقات السوفياتية الأمريكية . وأظهرت دراسة لمؤسسة «نلسن» نشرت فى أكتوبر ١٩٨٥ ، أن ٦١ مليون أميركى (٤٠ بالمئة من المشاهدين يستمعون بانتظام إلى مبشرين يقولون لهم إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمنع حرب نووية تتفجر فى حياتنا . ومن أكثر الإنجيليين شهرة الذين يبشرون على التلفزيون بنظرية (هرمجدون) :-

● (بات روبرتسون) الذى يستضيف برنامجاً لمدة تسعين دقيقة يومياً يدعى نادى ال ٧٠٠ السبعمئة (سمى كذلك نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه) . هذا البرنامج يصل إلى أكثر من ١٦ مليون عائلة أى إلى أكثر من ١٩ بالمئة من الأميركيين الذين يملكون أجهزة تلفزيون .

إن روبرتسون ابن السيناتور السابق عن ولاية فرجينيا (ويليس روبرتسون) متخرج من مدرسة الحقوق فى جامعة (بال) ، وهو يوظف حوالى ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكته التلفزيونية المسيحية (سى . بى . إن) . وتقوم الإدارة المركزية للشبكة على مساحة ٦٧٩ آكر فى ضاحية شاطئ فرجينيا بقيمة ٢٢ مليون دولار . وتضم (سى - بى - إن) ، نادى السبعمئة ، ثلاث محطات تلفزيونية ، محطة راديو ، محطة تلفزيون سى . بى - إن بالاشتراك ، محطة تلفزيون فى جنوب لبنان ،

مراسلون في أكثر من ٦٠ دولة، جامعة، نظام للمساعدة الدولية ومجموعة ضغط (لوبي).

في مطلع عام ١٩٨٦، بدأت سي - بي - إن برنامجاً إخبارياً لمدة نصف ساعة يومياً (سي - بي - إن - أخبار الليل). وهي تقدم أخباراً من وجهة نظر مسيحية إلى ٢٧,٣ مليون مشاهد تلفزيوني يشتركون بمحطة البث. ويتألف جهاز المحطة من مائة فني يعملون خارج الاستديوهات في واشنطن وفي الإدارة المركزية في فرجينيا بيتش، التي تدير مكاتب في القدس وبيروت، وفي عام ١٩٨٦ خططت لافتتاح مكاتب في لندن ونيويورك ولوس انجيلوس.

إن عمليات روبرتسون تحقق عائدات سنوية تزيد على ٢٠٠ مليون دولار. وفي مطلع عام ١٩٨٦ وصل نفوذ روبرتسون وقوته إلى حد أنه بدأ يفكر في الوصول إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض. بات روبرتسون، رئيساً للولايات المتحدة؟ قالت صحيفة نيويورك تايمز في تعليق للكاتب توم فيكر نشر في أكتوبر ١٩٨٥: «لا تسخر» إن ترشيح روبرتسون في عام ١٩٨٨ هو أكثر الاحتمالات مخادعة». وكتب فيكر: إن هناك ٢٤ مليون مشاهد للمحطة التلفزيونية المسيحية، وأضاف: إن احتمال ترشيح روبرتسون يقوم على لوائح كبيرة من المساهمين، والتمويل، وكذلك على إقبال من المشاهدين يفوق عددهم قراء صحف التايم ونيوزويك، ونيويورك تايمز، ولوس انجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة.

● (جيمي سواغرت) الذي يدير عملياته من باتون روج في لويزيانا، وهي ثاني أكثر محطات التلفزيون الإنجيلية شهرة: استناداً إلى استقصاء مؤسسات (نلسون). انه يصل إلى ٤,٥ مليون منزل يومياً (أو ٤,٥ بالمئة من المشاهدين) وإلى ما مجموعه ٩ ملايين وربع المليون أسرة (أو ١٠٪ من المشاهدين) أيام الأحاد.

● (جيم بيكر) الذي يملك ثالث أشهر محطة تلفزيونية تبشيرية. بدأ عمله الديني متلميذاً على (بات روبرتسون). إنه يصل إلى حوالي ٦ ملايين منزل ٦,٨ بالمئة من المشاهدين).

● وبالإضافة إلى منزل في مدينة شارلوت شمال كارولينا يملك (بيكر) وزوجته (تامى) منزلاً جبلياً في (بالم ديزيرت) (صحراء النخيل) بكاليفورنيا قيمته ٤٤٩ ألف دولار، بالإضافة إلى سيارتي رولس رويس ومارسيدس. وكجميع «التدبيريين» فهو يعتقد أنه علينا أن نخوض حرباً رهيبه من أجل فتح الطريق أمام المجئ الثاني للمسيح. إن محطته هي المحطة التاسعة عشرة من حيث الحجم في أميركا وتحقق أرباحاً سنوية تقدر بما بين ٥٠ إلى مئة مليون دولار.

● (أورال روبرتس) الذي تصل برامجه التلفزيونية اليوم إلى ٥,٧٧ مليون منزل، أى ٦,٨ بالمئة من المشاهدين. وقد ولد فى بيت متواضع فى أوكلاهوما فى عام (١٩١٨) من أب فلاح تحول إلى مبشر. يقول (أورال روبرتس) إن الله طلب منه أن ينشئ هذه الجامعة . ويقول إن الله أخبره فى عام ١٩٦٨ أن يترك الكنيسة المقدسة فى (بنتيكوستال) وأن يصبح قسيساً فى كنيسة «ميثوديست». وفى عام ١٩٧٧ عندما فقد ابنته وزوجها فى حادث تحطم طائرة، قال روبرتس إن الله أوصى إليه ببناء مستشفى مدينة الإيمان . إنه واحد من اثنين من الأميركيين الذين بنوا منفردين جامعة ومدرسة طبية ومستشفى (الشخص الآخر كان (جونز هوبكنز).

● (جيرى فولويل) الذى تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية إلى ٦, ٥ مليون منزل (٦, ٦ بالمئة من جميع المشاهدين). كان (فولويل) مثل روبرتسون فى عام ١٩٨٥ منغمساً بعمق فى الشؤون السياسية. وفى شهر أغسطس ، وبعد أن أمضى خمسة أيام فى جنوب أفريقيا ، أيدّ الحكومة العنصرية ووصف الأسقف (ديز موند توتو) الحائز على جائزة نوبل للسلام بأنه العوبة.

إن ملاحظة فولويل حول توتو سببت له تراجعاً قدره مليون دولار أقل فى حجم العطاءات التى كانت متوقعة فى عام (١٩٨٥). وفى نوفمبر، من نفس العام، سافر فولويل إلى مانىلا حيث أيدّ ديكتاتورية (ماركوس) ووصف الفيليبين الممزقة بالجنة. وفى الثالث من يناير (١٩٨٦) أعلن (فولويل) عن تشكيل منظمة جديدة تدعى «فيدرالية الحرية» ولكى تكون بمثابة الأم «للمجموعة المعنوية» التى يقودها فقد غير الاسم (استناداً إلى فولويل) ليتمكن أتباعه من توسيع مجالات العمل وتسريع النمو.

كذلك فى ٢٥ يناير ١٩٨٦ أقام فولويل حفل غداء فى مدينة واشنطن على شرف نائب الرئيس جورج بوش. وقد أخبر فولويل ضيوفه الخمسين، الذين حضروا مجاناً حفل الغداء السخى : بوش سيكون أفضل رئيس فى عام ١٩٨٨ .

وقبل أسبوع، من هذا الغداء ، أعلن فولويل عن شراء شبكة تلفزيون بالكابلات. وهى الشركة المسيحية الوطنية التى كانت تواجه متاعب مالية: وغير فولويل اسمها إلى محطة الحرية للث. إن شبكة المحطة الجديدة التى تعمل من (ليتسبورغ) فى فرجينيا سوف تعرض برامج دينية مدة ٢٤ ساعة فى اليوم بما فيها برنامج يدور حول فولويل نفسه.

● (كينين كوبلاند) الذى يصل إلى ٩, ٤ مليون منزل (٨, ٥) بالمئة من المشاهدين فى الأسبوع .

إنه متخرج من جامعة اورال روبرتس ومؤمن بالتدبيرية ، ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شىء واحد . ويقول : (إن الله أقام إسرائيل . إننا نشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل . . إنه لوقت رائع أن نبدأ دعم حكومتنا طالما أنها تدعم إسرائيل . . . إنه لوقت رائع أن نشعر الله مدى تقديرنا إلى جذور إبراهيم) .

وبالرغم من ذلك فإن كوبلاند لا يحب بالضرورة إسرائيل كما هى ، إنما يعبر عن حبه لإسرائيل لأنه واتباعه يرون أنها المسرح الذى سيقدم عليها مشهد معركة مجدلبيون وعودة المسيح .

(إنهم يعبرون عن حبهم لليهود ليس لأنهم يهود ولكن يرون فيهم الممثلين الذين لا بد منهم على مسرح النظام الدينى الذى يقوم على أساس تحقيق المسيحية الكاملة .

● (ريتشارد دى هان) الذى يصل فى برنامجه (يوم كشف النظام) إلى ٧٥, ٤ مليون منزل (٨, ٤ بالمئة من المشاهدين) .

إنه ابن (م - ر . دى هان) من ميشيغن الذى طور فى حياته التدبيرية ربما أكثر من أى قسيس أميركى آخر .

● (ريكس همبرد) الذى يصل إلى ٧, ٣ مليون منزل (٤, ٤) من مجموعة المشاهدين) إنه يبشر بتعاليم سكوفيلد حول التدبيرية ، وهى تقول «إن الله كان يعرف منذ البداية الأولى أننا، نحن الذين نعيش اليوم ، سوف ندمر الكرة الأرضية» .

لقد ذكرت سبعة من الذين يقدمون البرامج الدينية ويبشرون بنظرية هرْمَجْدُون فى الإذاعة والتلفزيون . ومن بين ٤ آلاف أصولى إنجيلى ، يشتركون سنويًا ، وفى مؤتمرات الإذاعات الدينية الوطنية ، هناك ثلاثة آلاف من التدبيريين فهم يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض .

إن هذه الرسالة تبث عبر ١٤٠٠ محطة دينية فى أميركا . ومن بين ٨٠ ألف قسيس إنجيلى يذيعون يوميًا من خلال ٤٠٠ محطة راديو فإن الأكثرية الساحقة منهم من التدبيريين .

إن بعض هؤلاء القساوسة، ورؤساء الكنائس، هم من القوة بحيث يبدون كالمملوك في مناطقهم . إن القس (غريسويل) راعى الكنيسة المعمدانية الأولى في دالاس ، هو مثال على ذلك : إن العضوية عند غريسويل ليس فقط واحدة من الأكبر في العالم (٢٥ ألفاً) ولكنها واحدة من الأسخى . ففي أحد أيام الآحاد من شهر أكتوبر ١٩٨٥ وبعد أن قال غريسويل في عظته إن علينا أن ندفع فاتورة الضوء وإعادة تنظيم الأثاث، تجاوب الأعضاء بوضع مبلغ ١,٨٥ مليون دولار في الأواني التي تجمع فيها التبرعات. وهذا المبلغ هو أكبر مبلغ نقدي يتم التبرع به في يوم واحد بالنسبة لأية كنيسة .

إن كريسويل هو مثل روبرتسون وسواغرت، وبيكر وغيرهم من الإنجليين التلفزيونيين الذين ذكرت ، يجعلون من تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة . إنه يؤمن بأن علينا أن نخوض معركة هَرَمَجَدُون وأن المسيح يعود بذلك فقط إلى القدس وأن إسرائيل اليوم تتبارك من الله بأنها هي نفسها صهيون التوراتية .

حالياً يعتبر صوت كريسويل واحداً من أقوى الأصوات في المؤتمر المعمداني الجنوبي الذي يضم ١٤ مليون عضو . إنه يوظف قادة هذا المؤتمر من التدبيريين، وهو محام قوى عن تعاليم سكوفيلد بما فيها نظرية هَرَمَجَدُون التي تدرس في المؤتمر .

معظم المدارس الإنجيلية في الولايات المتحدة تدرس النظام الديني ونظرية هَرَمَجَدُون استناداً إلى «دال كراولى» وهو قسيس في واشنطن وكان أبوه عضواً موسماً للمؤتمر الدائم للمذيعين الدينيين الوطنيين .

(إن مدارس مثل معهد (مودى) في شيكاغو وكلية فيلادلفيا الإنجيلية ، والمعهد الإنجيلي في لوس أنجلوس ، وحوالى ٢٠٠ معهد آخر تخرّج طلاباً مؤمنين بمبادئ سكوفيلد) كما يقول كراوى (ويضيف أنه ما بين ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة من الأساتذة والطلاب يدرسون سكوفيلد ويؤمنون بالخلاص وبنار هَرَمَجَدُون النووية .

لقد ترأس سكوفيلد مرّة المدرسة الإنجيلية في دالاس والتي أصبحت الآن تعرف باسم مدرسة دالاس اللاهوتية ، وهى المركز الرئيس لتدريس نظريات سكوفيلد . لقد زرت هذه المدرسة فى السابع من جون ١٩٨٤ ، لإجراء مقابلة شخصية مع الدكتور (جون وال فورد) الذى درس هول لندسى التدبيرية والذى كتب، فيما بعد، آخر أعظم كرة أرضية .

أخبرنى الدكتور (وال فورد) - عمره ٧٠ سنة - ما يعتقد به المؤمنون بالتدييرية؛ وهو أن الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بطريقة واحدة . وأن الله ينظر إلينا على أننا منقسمون إلى فئتين : اليهود والعامّة (جنّيل) إن لله خطة واحدة هى خطة أرضية ، من أجل اليهود ، وإن لله خطة ثانية ، خطة سماوية للمسيحيين المخلصين .

أما بقية شعوب الأرض من المسلمين والبوذيين وغيرهم من أصحاب الاعتقادات وكذلك المسيحيون غير المخلصين ، فإنها لا تهمهم .

أما فيما يتعلق بتدمير الكرة الأرضية ، فإننا لا نستطيع أن نعمل شيئاً . إن السلام من أجلنا ليس فى كتاب الله ، لقد كانت تلك رسالة سكوفيلد وهى رسالة فال ، وود ، ولندسى وهى الرسالة التى تصل إلينا دائماً .

(لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ، إن أى تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة . إنه ضد كلمة الله ، إنه ضد المسيح) .

هكذا يقول التلفزيونى الإنجيلى «جيم رويسون» الذى دعاه الرئيس ريغان لإلقاء صلاة افتتاح مؤتمر الحزب الجمهورى فى عام ١٩٨٤ .

فى التاسع من جوان ١٩٨٢ ، أى بعد ثلاثة أيام من بداية الاجتياح الإسرائيلى للبنان ، شرح التلفزيونى الإنجيلى بات روبرتسون الرعب الأتى المترتب على معركة هرمجدون القادمة . فقد بدأ برنامجه بإعادة تقديم التنبؤات التى أعلنها فى يناير ١٩٨٢ .

(إنى أؤكد لكم أنه مع نهاية عام ١٩٨٢ ستكون هناك قيامة على الأرض وأن هذه القيامة ستكون فى الاتحاد السوفياتى أساساً . إنهم أولئك الذين سيخوضون المغامرات العسكرية وسوف يضرّبون) .

وفىما كانت عدسات التلفزيون تواقبه توجه روبرتسون إلى لوح أسود أمامه مستعملاً مؤشراً إلى الشرق الأوسط ليتلو نص نبوءة (حزقيال) .

(وفى الأيام الأخيرة عندما تتجمع إسرائيل من الأمم ، سوف تسبب فى قيام أمر ما . هذا ما سوف يحدث . إنى سوف أضع صنارة هنا فى أفواه القنوى المتألفنة التى سيقودها شخص يدعى (هاجوج) فى أرض (ماجوج) (الاتحاد السوفياتى) .

إن الشعب الذى سيكون معها هوبث توكارما (أرمينيا) ، (بوت) ليبيا ، (روش) أثيوبيا ، (غومر) جنوب اليمن وإيران .

(إن هذا الأمر كله يأخذ الآن مكانه ، كما قال روبرتسون ، وأضاف :
(إنه يمكن أن يحدث في أى وقت ، ولكن مع نهاية ١٩٨٢ لا شك أن أمراً
كهذا سوف يحدث مما يحقق نبوءة حزقيال . إنه على استعداد للحدوث . . . إن
الولايات المتحدة في هذا المقطع من حزقيال ونحن نقف على استعداد .
(بانتظار المعركة النهائية التى لا بد منها).

(يجب أن لا نقيم أى اتفاق مع الاتحاد السوفياتى كما يقول جيمى سواغرت
فى موعظة ألقاها من محطة تلفزيون باتون روج فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥).

(إذا صنعنا أسلحة سيصنعون أسلحة ، وإذا لم نصنع أسلحة سيصنعون
أسلحة) هكذا يؤكد سواغرت فى حثه على تكديس أكبر للسلاح الأميركي
وللانسحاب من الأمم المتحدة قائلاً إن الأمم المتحدة هى أداة بيد الشيوعية .

ويضيف : كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام ، ولكنى
أؤمن بأن هَرَمَجَدُون مقلبة، إن هَرَمَجَدُون قادمة وسيخاض غمارها فى وادى
مجيدو، إنها قادمة . إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التى يريدون .
إن ذلك لن يحقق شيئاً ، هناك أيام سوداء قادمة . إن مشاكل أفريقيا لن تحل ،
وكذلك مشاكل أميركا الوسطى ، ومشاكل أوروبا، إن الأمور ستتوجه نحو
الأسوأ .

إننى لا أخطط لولوج جهنم القادمة . إن الله سوف يهبط من عليائه . يا إلهى
إننى سعيد من أجل ذلك! إنه قادم ثانية!

إننى لا أكثر لمن تسبب هَرَمَجَدُون القلق والمتاعب . إنها تنعش روحى! .

إن نظاماً إيمانياً من هذا النوع يستحق الاكتشاف . ذلك أن المراحل الدينية التى
يبشر بها «فال» وورد، وليندسى ، وسواغرت، وفولويل، وروبرتسون ، وغيرهم
من أجل تصور المسيحية الكاملة تتضمن مأساة نووية يمكن أن تدمرنا جميعاً . هل
يمكن أن يعتقد بات روبرتسون كرئيس لأميركا أن محادثات التسليح مع الروس
سوف تكون عديمة الفائدة طالما أن الكرة الأرضية محكوم عليها بأنها آخر أعظم
كرة أرضية؟ هل قراراتنا السياسية اليوم متأثرة بتصور أنه لن يكون هناك سلام حتى
يعود المسيح ! هل نزع التسليح يناقض خطة الله، كما وردت فى كلماته ! إن هذا
الكتاب يحاول أن يقدم بعض الإجابات .

غريس هالسل

مع جيري فولويل في أرض المسيح (معركة هُزْمَجْرُون)

منذ بداية عام ١٩٨٠ تَعَوَّدت الاستماع إلى جيري فولويل في البرنامج الذي يقدمه كلَّ يومٍ أحدَ لمدة ساعة على شاشة التلفزيون. ومن أجل أن أتعلّم أكثر عن نظريّة هَرْمَجْدُون لـ «فولويل» ولأعرف إلى أيّ مدى يفكّر أتباعه مثله اشتركت في رحلة إلى الأراضي المقدّسة نظّمها جيري فولويل في عام ١٩٨٣.

لقد كنت واحدة من بين ٦٣٠ مسيحيًا سافروا من نيويورك إلى تل أبيب حيث جرى تقسيمنا إلى مجموعات من ٥٠ شخصًا، خصص لكل مجموعة سيارة أوتوبيس ودليل إسرائيلي. بعد ليلة راحة في تل أبيب، توجّهنا إلى السيارات والآن أودّ أن أصطحبك في رحلة قصيرة للوصول إلى مجيدو. سافرنا شمالًا من تل أبيب مسافة ٥٥ ميلًا وصلنا إلى منطقة تقع ٢٠ ميلًا إلى الجنوب الشرقي من حيفا و١٥ ميلًا بعيدًا عن شاطئ البحر المتوسط. ترجّلت من السيارة مع «كلايد» وهو رجل أعمال متقاعد في الستينات من عمره، خريج جامعة. قد سبق له أن خدم في الجيش برتبة كابتن في شمال إفريقيا وأوروبا خلال الحرب العالمية الثانية. كان موضع تكريم بسبب الذكاء الذي قاد به جنوده وبسبب شجاعته في مواجهة النيران. سرنا معًا إلى مرتفع صغير عبارة عن تلة تغطي طبقات من بقايا مجموعات تاريخية. وقد لاحظ «كلايد» أن مدينة «كنعانية» قديمة كانت موجودة هنا وقال: إننا على الطرف الجنوبي في سهل «اسديرلون» الذي ورد ذكره في النصوص باسم «وادي جيزريل».

ويقول كلايد: في العصور الغابرة، كانت مجيدو مدينة مهمة جدًا، كانت تقع على مفترق استراتيجي يتمتع بأهمية عسكرية بالإضافة إلى أهمية كملتقى للقوافل. والطريق الساحلي التي تصل مصر بدمشق والشرق تتقاطع مع هذا الوادي في مجيدو.

قلت: إذا هذا المكان كان دائمًا مسرحًا للقتال! فوافق كلايد وقال: «إن بعض

المؤرخين يعتقدون أن المعارك التي جرت هنا هي أكثر من المعارك التي جرت في أى مكان آخر فى العالم. وكان الغزاة القدماء يقولون : إن أى قائد يستولى على مجيدو يستطيع أن يتصدى لكل الغزاة. وأضاف يقول : إننا نقرأ فى إصحاح يوشع رقم ١٢/٢١ كيف أن «يوشع» والإسرائيليين هزموا الكنعانيين هنا فى معركة واحدة . وبعد قرنين ربحت القوات الإسرائيلية بقيادة «ديورا» و«بارك» المعركة ضد الكابتن الكنعانى «سيسيرا» .

«وبعد ذلك ، وكما نعرف فإن الملك سليمان حصن المدينة وجعل منها مركزاً عسكرياً لأحصنته وعرباته» .

«حتى فى حياتنا شهدنا معارك مهمة هنا. فمع اقتراب نهاية الحرب العالمية الأولى، فى عام ١٩١٨، حقق الجنرال البريطانى «اللمبى» انتصاراً مهماً على الأتراك هنا فى مجيدو» .

«وأخيراً يلاحظ كلايد بصوتٍ عاطفىّ متهدج، «إننى أشاهد الآن ساحة المعركة الأخيرة الكبرى» .

فسألته : كيف يعرف أنها ستكون المعركة الأخيرة؟

قال : «لنأخذ الاسم مجيدو ولنضيف إليه الكلمة العبرانية «هار» ومعناها الجبل، وهذا يعطى معنى كلمة جبل مجيدو أو «هار مجيدو» التى يمكن ترجمتها إلى كلمة هرْمَجِدُون» .

وفيما كان يتكلم كنت أحاول تتبّع منطقته بالبحث على الجبل أو عن «هار» ، ولكننى لم أعثر على شىء . وبما أننى كنت أنظر إلى الوادى أمامى ، فقد توقعت أن يكون المرتفع الصغير الذى نقف عليه هو المقصود بالجبل، ومع ذلك فقد تساءلت : ألا يمكن أن يكون هار مجيدو أو جبل مجيدو يعنى مكاناً وليس حادثاً؟ .

فيجب كلايد : لا ، إنه مكان المعركة التى تتورط فيها كل الأمم. وستكون المعركة الأخيرة بين قوات الخير بقيادة المسيح وقوات الشرّ بقيادة أعداء المسيح .

مثل الملايين الآخرين ، اعترفت لكلايد بأننى سمعت كثيراً عن هرْمَجِدُون ولكن لا أعرف مصدر الكلمة ، فسألته هل قرأ كثيراً عن هرْمَجِدُون؟ .

أجاب : إنك تعرفين أننا نجد كلمة هرْمَجِدُون مرة واحدة فى الإنجيل ،

وبالتحديد فى سفر الرؤىة فى الفصل ١٦ المقطع ١٦ الذى يقول «وجمعهم جميعاً فى مكان يدعى بالعبرية هَرْمَجَدُون» .

بما أن هذه الكلمة هَرْمَجَدُون تتمتع بأهميَّة فى حياتنا ، فلانى آمل أن أحدد مصدرها مرددة ما قاله كلايد: إنَّ العهد القديم لا يشير إلى هذه الكلمة . والعهد الجديد يذكرها فى موقع واحد فى سفر الرؤىة «للقدیس یوحنا» . ومع ذلك فإننى مُربكةٌ . فبينما يتحدث سفر الرؤىة عن «مكان» يدعى هَرْمَجَدُون فإنَّ كلايد يصرُّ على أن هَرْمَجَدُون تعنى معركة .

يقول كلايد إنَّ القدیس جون كتب سفر الرؤىة ، ومن القدیس یوحنا نحصل على معظم المعلومات حول هذه الأيام الأخيرة التى نمر بها . إنه يعطينا صورةً دقيقة عن المعركة التى ستخاض فى هذا المكان . وفى رؤياه لهذه المعركة الكبرى كتب يقول : «إنَّ مدن الأمم تنهار وكل جزيرة تتلاشى والجبال تدك» ثم يقول كلايد: إنَّ الله يعرف كل شىء عن المستقبل ، لا يفوته شىء . لقد عرف الله منذ البداية من سيذهب إلى جهنم ومن سينجو منها بالتحديد . وعندما أصدر الله القوانين ، كان يعرف أن الإنسان غير قادرٍ على التقيّد بها .

وسألت : «كيف يعرف الله مسبقاً ويحكم مسبقاً» .

فأجاب كلايد: «يجب أن تتذكّرى أن المعرفة المُسبقة لا تقضى مسبقاً على كل شىء . ولكن ما يعرفه الله يعرفه فوق كل احتمال وتخمين . إنَّ ما يعرفه الله يعرفه مئة بالمئة ، إنه يعرف كل شىء .

وفى كتاب «سفر الرؤىة» يعطينا القدیس جون وصفاً جيداً حول ما ستكون عليه هذه المعركة النهائية . إن ٢٠٠ مليون رجل من جيش الشرق سوف يتقدمون نحو الغرب لمدة عام . إنَّ هذا الجيش سوف يمر عبر ، مجيدو (هَرْمَجَدُون) وسوف يدمر معظم المناطق الآهلة فى العالم قبل أن يصل إلى نهر «الفرات» .

إنَّ الآية ١٦ تخبرنا أن نهر الفرات سوف يكون جافاً بما يكتن ملوك الشرق من اجتيازه إلى إسرائيل .

وأساءل أى ملوك الشرق؟ ويقفز ذهنى إلى المنطقة من العالم شرقى الفرات ، فلا أذكر أن هناك ملوكاً فى هذه المنطقة من العالم اليوم . ففى أيامنا كان شاه إيران آخر ملك إلى الشرق من الفرات . لم يعد هناك ملوك اليوم ، كان هناك ملوك أيام القدیس یوحنا ، ألا يعنى ذلك أن یوحنا كان يكتب لعصره وليس لعصرنا؟ .

أجاب كلايد: «لا ، يمكن أن تعنى كلمة الملوك هنا «القادة» ، رؤساء الدّول» .

مع أن كلايد يعتمد التفسير الحرفي إلا أنه هنا لا يأخذ بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس .

يواصل كلايد تفسيره فيقول : «إن الملوك أو القادة سيحركون أعظم جيش في تاريخ العالم إلى هنا ، في مجيدو» وسألت : عندما يكون من الصعوبة تنظيم جيش جيد ، فكيف يمكن تنظيم كل جيوش الشرق ، وهل يمكن لرجل واحد أن يفعل ذلك ، أو حتى لمجموعة من القادة؟

أجاب كلايد : إن ذلك واضح ، فالقادة لهم أهداف - سياسية ، ولكنهم يتحركون بدوافع الروح الشيطانية .

وأسال : ما هي الروح الشيطانية؟ فيقول : في هذه الحالة إنها الروح الشيطانية للملائكة الذين أهبطوا إلى الأرض واتبعوا الشيطان في تمرده ، فإن هؤلاء القادة - مع جيوشهم - يصبحون مع حيث لا يدرون مخالبا لها .

بالإضافة إلى الأرواح الشريرة تحدث كلايد عن «الوحش» الذي ورد ذكره في سفر الرؤيا «لسان يوحنا» فقال إن الوحش يعني أنه سيكون هناك اتحاد قوى من عشر دول أوروبية أو مجموعات في الأمم سوف تنهض في الأيام الأخيرة . الآن نحن نعرف أننا نعيش في الأيام الأخيرة لأننا رأينا قيام هذا الاتحاد من دول أوروبية قوية - وهو ما ندعوه السوق الأوروبية المشتركة أو المجموعة الأوروبية الاقتصادية . من خلال دراسة النبوءات يستطيع الواحد منا أن يرى كيف أن الله أخبرنا مسبقاً عن جميع هذه التطورات .

«إن كل ما نقرؤه عما يحدث في العالم اليوم يشير بوضوح إلى أن هذه المعركة سوف تحدث قريباً جداً .

«وفي هذه المعركة الأخيرة - تستطيع أن تعرف ذلك من خلال دراسة زكريا وسفر الرؤيا - فإن قوى الأمم المعادية للمسيح من مختلف أنحاء الأرض سوف تقاوم ضد الملك يسوع وملائكته الرائعة . وكما نعلم الآن فإن المسيح في معركته التاريخية الأكثر دموية سوف يجتاح الملايين ويدمر أعداءه» .

ولإثبات هذه النقطة ينقل كلايد عن الكتاب المقدس ٢ / ٨ :

«وبعد ذلك فإن الخبثاء - يعني أعداء المسيح - سوف يظهرون ، وإن الرب سوف يتلهمهم من خلال روح فمه وسوف يدمرهم من خلال ضوء حضوره» .

قلت لكلايد إنه ليس معقولاً أن يخصص المسيحيون أفكاراً وكلمات حول فكرة هرّمجدون أكثر مما يخصصون لأي مكان آخر غير الجنة وجهنم .

وقلت له : إنّ هذا السهل الممتدّ امامنا يبدو صغيراً جداً لاستيعاب آخر وأعظم معركة حاسمة . إنّهُ صغيرٌ بحيث يبدو كإحدى مزارع «نيبراسكا» . وهو صغيرٌ بحيث يضيع لو وضع في وسط واحدةٍ من مزارع تكساس . يعارض كلايد قائلاً : «يمكن وضع مجموعة من الدبّابات هنا» .

فأعود إلى القول : ولكن ماذا عن جيوش الأرض؟

وكيف يمكن أن تكون المعركة هنا أعظم معركة تُخاض وكيف يمكن أن يقتل عدّة ملايين هنا وكيف يمكن أن تبدأ حرب نوويّة هنا في مجيدو، وتدمّر العالم؟

يجيب كلايد : إنّنا نقرأ ذلك في الفصلين ٣٨ و٣٩ من «حزقيال» . إنّهُ يصف حرباً نوويّة قائلاً إنّهُ «ستنهمر الأمطار وتذوب الصّخور وتتساقط النيران وتهتزّ الأرض وتتساقط الجبال وتتهار الصّخور وتتساقط الجدران على الأرض في وجه كلّ أنواع الإرهاب» «إن حزقيال ربّما كان يشير بذلك إلى تبادل الأسلحة النوويّة التكتيكيّة» .

إنّ تأكيدات كلايد تهزّ شعوري بالواقعيّة ومع ذلك فإنّي أعرف أنّ ما يقوله يؤمن به ملايين من الأميركيين حرفياً .

سألت كلايد هل يتصوّر المسيح كجنرال من خمسة نجوم يقود جيشاً؟ وهل يفسر النصوص التوراتيّة ليقول إنّ المسيح كقائد أعلى سوف يدمّر القوى المتحالفة ضدّه باستعماله الأسلحة النوويّة؟

«يجيب كلايد بالإيجاب ويقول : في الواقع يمكن لنا أن نتوقع أن يوجه المسيح الضربة الأولى . سوف يكشف عن سلاح جديد . وهذا السّلاح سيكون له نفس الآثار التي تسببها القنبلة النيوترونيّة . نقرأ في زكريّا ١٢ / ١٤ إنّ جلودهم سوف تتآكل وهم واقفون على أقدامهم وإن عيونهم سوف تتآكل في مآقيها وإن ألسنتهم سوف تتآكل داخل أفواههم» .

وأعود للسؤال «هل المسيح سيوجّه الضربة الأولى» .

يجيب كلايد «نعم» ، إنّ المسيح سيعود إلى هذه الأرض لإعادة إقامة حكم الله ولتحقيق السّلام العالمي . وسوف يتولّى زمام قيادة العالم . وسوف يقوم بذلك كلّهُ من مركز قيادته في القدس» .

وأسأله وماذا عن الشعب اليهودي الذي يعيش في إسرائيل؟

يجيب كلايد : «إنّ ثلثي اليهود الذين يعيشون هنا سوف يُقتلون وقد ورد ذلك

في زكريّا، ١٣/٨٩ هناك حوالي ١٣ مليوناً ونصف المليون يهودى فى العالم اليوم.

وبذلك فإنّ الله يخبرنا أنّ ٩ ملايين يهودى سوف يُقتلون فى هذه المعركة - أكثر من كلّ اليهود الذين قُتلوا على أيدى النّازية - سوف يسيل الدّم بحيث إنّ الله يشبهه بالخمر المعصور. وعلى مدى ٢٠٠ ميل فإنّ الدم سوف يصل إلى أُلجَمَة الخيل».

وأعود للسّؤال لماذا يتصّور كلايد أنّ الله يريد أن يُصدر سلسلة من الأحكام التى من شأنها أن تقتل معظم شعوب الأرض وأن تدمّر معظم مدينتنا؟ يجيب كلايد : «إنّ الله يفعل ذلك بصورةٍ أساسيةٍ من أجل شعبه القديم اليهود».

«لقد صمّم فترة السبع سنوات هذه ليظهر اليهود وليحملهم على رؤية النور والاعتراف بالمسيح كمخلصهم».

إنّنى أعترف أنّ تفسيره هذا يربكنى. هل اختار الله اليهود من بين كلّ شعوب العالم ليكونوا أصفياءه، فقط من أجل أن يبيد معظمهم؟.

يجيب كلايد: «إنّ الله يريد من اليهود أن ينحنوا أمام ابنه الوحيد الذى هو الربّ المسيح».

ويشرح كلايد أنّ الله بعد أن يبيد ثلثي الشعب اليهودى فإنه سيخلص أرض إسرائيل وأنّ الله نفسه سينضم إلى معركة هرمجدون.

وعنده كلّ ما يحتاج إليه من أجل تدمير أولئك الذين صمّموا على إلحاق الأذى بإسرائيل».

بدا لى وكأنّ كلايد يحبّ إسرائيل ولكنّه بصورةٍ خاصّةٍ لا يحب اليهود ويبدو أنّ عنده قليلاً أو حتّى لا شيء من النّدم نحو اليهود أو غيرهم ممّن يقول إنهم سوف يُقتلون.

«سوف يحتاج اليهود الذين يعيشون فى إسرائيل إلى سبعة أشهر لدفن جميع الجنود الموتى» وللدلالة على ذلك يعود كلايد إلى حزقيال ١٢/٣٩: «وستمر سبعة أشهر حتّى يتمكن بيت إسرائيل من دفنهم قبل أن ينظفوا الأرض».

وسألت مرة أخرى لماذا يريدنا إله الرحمة أن نستعمل الأسلحة النووية؟

أجاب كلايد : (يجب أن نتذكر أن الإنسان حصل من الله على معرفته بصناعة وإنتاج القوة المدمرة. إن القوة النووية ليست جديدة على الله. والتهديد بالمأساة النووية لا يأخذ الله على حين غرة. إن الله يعرف فى كل الأوقات عدد الأسماك فى البحار ويعرف عدد النجوم فى السماء ويعرف عدد حبات الرمل على الشواطئ. إنه السيد المطلق القوة، إن ما يقرره يجب أن يحدث . لا يوجد أى رجل أو أمة تستطيع أن تمنع تحقيق إرادة الله .

عندما يعود المسيح إلى الأرض مرة ثانية سينزل من السماء فوق القدس .

وهكذا فإن كل التاريخ قد قدر مسبقاً من الله وكل التاريخ يتمركز ويرتبط بهذه الأمة إسرائيل التى هى البؤبؤ فى عين الله .

وهكذا فى المعركة الكبيرة الأخيرة فإن الله سوف يمسك مرة أخرى بزمام التاريخ الإنسانى).

النهاية قريبة

خلال جولتي في الأرض المقدسة سجلت كلمات كلايد. وعندما استمعت إليها فيما بعد بدت لي مماثلة تمامًا لما يقوله جيرو فولويل ومعظم الإنجيليين التلفزيونيين الرئيسيين من أننا نتحرك بسرعة نحو مأساة نووية. لقد كتب السيناريو كما قال كلايد. فالله يأخذ زمام التاريخ الإنساني.

لدى عسودتي من رحلة ١٩٨٠ أجريت تحقيقًا حول ما يقوله الإنجيليون الأصوليون في موضوع هَرْمَجَدُون. ففي عام ١٩٧٠ حذّر (بيلى غراهام) من أن العالم (يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحو هَرْمَجَدُون وأن الجيل الحالي من الشباب قد يكون آخر جيل في التاريخ).

وفي مناسبة أخرى يقول غراهام إن أناسًا كثيرين يتساءلون أين تقع هَرْمَجَدُون؟ وما هو مدى قربنا منها؟ وفي الواقع إنها تقع إلى الغرب من الأردن بين الجليل والسامرة في سهل جزريل، وعندما شاهد نابليون هذا المكان العظيم مرة قال. إن هذا المكان سيكون مسرحًا لأعظم معركة في العالم. ذلك أن الكتاب المقدس يعلمنا أن آخر أكبر حرب في التاريخ سوف تخاض في هذا المكان من العالم: الشرق الأوسط).

إن الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين (س. س. كريب) كتب في عام ١٩٧٧ يقول (في هذه المعركة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسحق كليًا ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح).

إن المؤلف (هال ليندسى يفسر كل التاريخ - تاريخ الشرق الأوسط والعالم كله - في كتابه آخر أعظم كرة أرضية قاتلا: إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل.

(ويقول ليندسى قبل أن يصبح اليهود أمة لم يكشف عن شيء، أما الآن وقد حدث ذلك فقد بدأ العد العكسي لحدوث المؤشرات التي تتعلق بجميع أنواع النبوءات. ولأنه يجب أن تظهر هناك دوائر لقوى سياسية معينة، واستنادًا إلى

النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط ، وخاصة على إسرائيل فى الايام الأخيرة. إن كل الأمم سوف تضطرب وسوف تصبح متورطة بما يجرى هناك . إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور فى هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح فى مجرى النبوءات تماماً كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها فى الصحف اليومية).

قابلت ليندى فى عام ١٩٨٥ خلال صلاة فطور الصباح على نية إسرائيل ، فهو يتمتع بتفوق على كل أسلافه وحتى على منافسيه فى هذا المضمار. إنه ليس مجرد مبشر بجهنم والمصير المحتوم، إنه أستاذ متواضع (عمره ٥٠ سنة) خبير فى الشؤون الدولية والتاريخ العالمى . ويفسر ليندى الرؤى الدينية بشكل حديث، مثالا على ذلك يقول: رأى جون فى الحلم جرأداً لها أذبال العقارب ، ويقول ليندى إن ذلك هو طائرات هليكوبتر كوبرا التى تطلق من أذبالها غاز الأعصاب . ويقول ليندى - الجيل الذى ولد منذ عام ١٩٤٨ سوف يشهد العودة الثانية للمسيح . ولكن قبل هذا الحديث علينا أن نخوض حربين ، الأولى ضد يأجوج ومأجوج، والثانية فى هَرَمَجَدُون. والمأساة سوف تبدأ هكذا : كل العرب بالتحالف مع السوفيات سوف يهاجمون إسرائيل .

وفى كتاب «العالم الجديد القادم» يكتب ليندى قائلاً: فكروا فى ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندي من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبية الغربية)!

«إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أوّلئك الذين دنسوا مدينته القدس . ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هَرَمَجَدُون . فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى أجمّة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس . . . وهذا الوادى سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء .

ويكتب ليندى أيضاً: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق! إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسانية من الإنسان للإنسان ومع ذلك فإن الله يمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم» .

من خلال قراءة ليندى ، أفترقد تماماً حالة بكاء القديس او غسطين فى وجه الحرب كما قدمت فى «مدينة الله» . إن ليندى لا يبدو عليه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة فى العالم سيتم تدميرها فى الحرب النووية الأخيرة: «تصوروا مدناً مثل لندن، باريس، طوكيو، نيويورك ، لوس انجيلوس، شيكاغو وقد أبيدت» .

إن القوة الشرقية وحدها سوف تزيل ثلث سكان العالم . ويقول ليندسى :
«عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريباً قد
قتل ، يحين ساعة اللحظة العظيمة ، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل .

وفي هذا الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية» .

ويقول ليندسى : «سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة
هَرَمَجَدُون» . . . وسينحنى كل واحد منهم ، الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح .
وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدؤون التبشير ببشارة المسيح ،
ويضيف ليندسى : تصوروا . . . إنهم سيصبحون ١٤٤ ألف يهودى مثل بيلي
غراهام أطلق العنان لهم فوراً» .

إن جيرى فالويل ، يفضل موضوع هَرَمَجَدُون على أى موضوع آخر .

فى الثانى من ديسمبر ١٩٨٤ ، بدأ قداسه بتلاوة الإصحاح ١٦/١٦ من
الإنجيل الذى يذكر للمرة الأولى والأخيرة كلمة هَرَمَجَدُون ، ثم قال : .

إن الكلمة تثير الهلع فى نفوس الناس . سيكون هناك احتكاك أخير ، وبعد ذلك
فلن الله سوف يزيل الكوكب . إن النص يخبرنا فى المقطعين ٢١ و ٢٢ أن الله
سوف يدمر هذه الأرض - السماوات والأرض .

«ويقول بطرس فى كتاباته إن التدمير سيتوافق مع حرارة عالية وانفجار ضخمة» .
ويضيف فالويل : خلال مأساة هَرَمَجَدُون سيتحرك عدو المسيح نحو الشرق
الأوسط ويضع تمثالا لنفسه فى المعبد اليهودى ، قدس الأقداس ، ويطلب من
العالم كله أن يعبدوه كإله . .

«وسيدبح الملايين من اليهود المخلصين فى هذه الوقت (١٥,٨) ولكن قلة منهم
سوف تنجو (زكريا ١٣/٩) . (وسيتولى الرب بطريقة خارقة إخفاءهم من أجل
نفسه طوال ثلاث سنوات ونصف من المحنة ، بعضهم سيكون فى مدينة البتراء -
الحمراء - الوردية (فى الأردن) . أنا لا أعرف كيف ، ولكن الله سيحفظهم ، لأن
اليهود هم شعب الله المختار» .

ينقل فالويل عن إصحاح زكريا ١٢/١١ و ١٦/١٦ وعن إصحاح إسحاق ٣٥/
٣٦ و ٣٥ : إن ساحة معركة هَرَمَجَدُون سوف تمتد من مجيدو فى الشمال إلى
إيدوم فى الجنوب ، مسافة حوالى ٢٠٠ ميل . وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط
فى الغرب وإلى تلال موهاب فى الشرق ، مسافة ١٠٠ ميل تقريباً . إن سهول

جزريل والنقطة المركزية للمنطقة كلها ستكون مدينة القدس - استناداً إلى زكريا ١٤ «الآيتان» ٢١ .

ستتجمع في هذه المنطقة الملايين المتعددة من الرجال (بحيث يصل عددهم إلى ٤٠٠ مليون بدون أى شك) من أجل المأساة النهائية للإنسانية . وجاء فى الإصحاح ٣/١٤ أن الملوك فى جيوشهم سيأتون من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب . وبشكل درامى مثير سيكون هذا الوادى وادى القرار حول مصير الإنسانية . لماذا ستدور المعارك هنا؟ ولماذا يقود أعداء المسيح جيوشهم فى العالم ضد المسيح الإله؟ .

«أولاً لأنهم يكرهون سيادة الله ، فالمعركة كانت دائماً الشيطان ضد المسيح . تلك هى المسألة . ثانياً لأن هذه الأمم سوف تأتى بسبب تضليل الشيطان . ثالثاً بسبب كراهية الأمم للإله عيسى المسيح . شىء ما سيحدث خلال هذه المعركة ، سيحرق نهر الفرات (إصحاح ١٦/١٢ وسيتم تدمير القدس) فى هذه الأثناء يتابع فالويل استناداً إلى إصحاح حنا: (إن كل صقور السماء سوف تنهش من لحوم الملوك ومن لحوم القادة ومن لحوم الرجال الأشداء ومن لحوم الأحصنة وفرسانها ومن لحوم كل الرجال الأحرار منهم والعبيد الكبار والصغار .

ويستتج فالويل «إن يوحنا رأى وحشاً فى منامه ورأى ملوك العالم بجيوشهم مجتمعين لشن حرب ضد الإله المسيح الذى يبدو فى رؤيا يوحنا رجلاً يمتطى حصاناً أبيض . وفيما تقترب هرمجدون من نهايتها، وملايين الأموات على الأرض فإن الإله المسيح سيضرب الوحش والنبي الكذاب (المعادى للمسيح) ويلقى بهما فى بحيرة من نار تغلى فيها الحجارة . وسيذبح المسيح كل أعدائه الآخرين الذين ينجون من هرمجدون» .

رسم فالويل صورة مرعبة عن نهاية العالم ولكنه لم يبد حزياً أو حتى مهتماً . وفى الواقع فقد أنهى عظته بابتسامة كبيرة قائلاً : ما أعظم أن نكون مسيحيين! إن أمامنا مستقبلاً رائعاً!!

بعد استماعى إلى هذه العظة ، استمعت إلى تسجيلات للدكتور جيرى فالويل يدرس فيها النبوءات التوراتية - الإنجيلية ، وفى هذه التسجيلات يقول فالويل : «وهكذا ترون أن هرمجدون هى حقيقة . أنها حقيقة مركبة . ولكن نشكر الله أنها ستكون نهاية أيام العامة (جتيل) ، لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لتقديم الملك الرب المسيح بقوة وعظمة» .

«إن كل المبشرين بالكتاب المقدس يتوقعون العودة المحتمية للإله» .
وأنا أصدق نفسي بأننا جزء من جيل النهاية ، الجيل الأخير الذى لن يغادر قبل أن يأتى المسيح» .

«هناك تطوراتٌ جرت أخيراً فى روسيا تنبأ بها النبى حزقيال والتى تشير إلى العودة السريعة إلى المسيح ، الإله ، إن هؤلاء الشيوعيين هم كارهو الله ، إنهم رافضو المسيح، وهدفهم الأبعد هو السيطرة على العالم» .

ومنذ ٢٦٠٠ سنة تنبأ النبى العبرانى حزقيال أن مثل هذه الأمة ستقوم إلى الشمال من فلسطين قبل وقتٍ قصير من العودة الثانية للمسيح .

«وفى الفصلين ٣٨ و٣٩ من حزقيال نقرأ أن اسم هذه الأرض هوروش ويذكر اسم مدينتين من روش هما ميشش وتوبال .

إن الأسماء هنا تبدو مشابهة بشكلٍ مثير إلى موسكو وتيبولسك، العاصمتين الحاكمتين فى روسيا اليوم .

كذلك كتب حزقيال أن هذه الأرض ستكون معادية لله ، وأنه من أجل ذلك سيكون الله ضدها . وقال أيضاً إن روسيا أو روش سوف تغزو إسرائيل فى الأيام الأخيرة ثم قال إن هذا الغزو سيتم بمساعدة حلفاء مختلفين لروش .

ولقد سمى هؤلاء الحلفاء : إيران (التي كنا نسميها فارس) ، جنوب إفريقيا أو إثيوبيا ، شمال إفريقيا أو ليبيا ، أوروبا الشرقية (تدعى فى حزقيال نحو ٣٨ كومر، والقوقاز فى جنوب روسيا والذين يدعون توغارما فى هذا الفصل . وفى ٣٨/١٥ حزقيال يشرح النبى الدور الرئيسى للخيول فى هذه الغزوة .

«إن القوقاريين مشهورون بالتأكيد أنهم يملكون ويربّون أضخم وأروع الخيول فى التاريخ . إن الهدف من هذا الغزو يقول حزقيال هو النهب Spoil . فإذا حذفنا أول حرفين من هذه الكلمة يتبين أن الروس سيكونون بالفعل وراء النفط Oil . وهذا ما نجد عليه أنفسنا اليوم . إنها رؤيا حزقيال فيما يتعلق بروسيا» .

«بالرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماماً التى أبدتها حكومتنا (حول اتفاقيات كامب دايفيد بين مصر وإسرائيل) فإن هذه الاتفاقيات لن تدوم . إننا نصلى بالفعل من أجل السلام فى القدس .

إننا نحترم احتراماً كبيراً رئيس حكومة إسرائيل ورئيس جمهورية مصر، إنهما

من الرجال الكبار بلا شك وهما يريدان السلام بالتأكيد ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط إلى أن يأتى يوم يجلس فيه الإله المسيح على عرش داوود فى القدس .

إنَّ هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه . ولكن حتى ذلك الوقت لن يكون هناك سلامٌ على هذه الأرض حتى يعود أمير السلام ومخلصنا» .

لقد كانت هَرْمَجِدُونُ فى عقل فالويل عندما سجّل مقابلة مع صحيفة «لوس أنجلز تايمز» فى الرابع من مارس ١٩٨١ ، فى تلك المقابلة التى أجراها معه الصحفى «روبرت شير» ، جرى الحوار بينهما على الشكل الآتى :-

شير : بالنسبة للمستقبل تتنبأ فى الكتيب الذى أصدرته عن هَرْمَجِدُونُ بحرب نووية مع روسيا .

فالويل : إننا نعتقد أن روسيا وبسبب حاجتها إلى النفط وبسبب نفاد احتياطياتها منه سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط ، وخاصة نحو إسرائيل بسبب كراهيتها لليهود . وفى هذا الوقت ستنتفتح أبواب جهنم .

وفى هذا الوقت أعتقد أنه ستكون هناك مأساة نووية على هذه الأرض لانه يُقال إن الدم سوف يسيل فى الشوارع حتى يصل إلى أجمعة الخيل فى وادى اسديليون ولمسافة ٢٠٠ ميل . وهى تحكى عن حوادث مرعبة يمكن نسبتها إلى بطرس الثالث ، مثل ذوبان العناصر والحرب النووية .

شير : وروسيا ستكون . . .

فالويل : روسيا ستكون المهاجم وسوف تُدمر تدميراً كاملاً .

شير : إنَّ العالم كله سوف يدمر أليس كذلك؟

فالويل : لا ، ليس كل العالم لأن الإله سيعود إلى الأرض . أولاً سيأتى لإنقاذ الكنيسة . وبعد سبع سنوات فى هَرْمَجِدُونُ سيعود إلى الأرض ولذلك لن تكون مدمرة ، وستعود الكنيسة معه لتحكم ولتتوج مع المسيح على الأرض لمدة ألف سنة . ثم تأتي اللجنة الجديدة والأرض الجديدة والخلود . إن ذلك كله موجودٌ فى الكتاب حول هَرْمَجِدُونُ وهو مجرد رؤوس أقلام .

شير : ولكن هل يمكن أن تدمر روسيا بالأسلحة النووية من دون أن تدمر العالم؟

فالويل : نعم ، أنا لا أعنى كل انسان - ففي روسيا مسيحيون رائعون أيضاً- .
إن الكنيسية التي تعمل تحت الأرض تحقق نتائج سرّية مهمة فى روسيا والصين
الحمراء . هؤلاء سوف يتم خلاصهم . إن الحرب ستبدأ من الشمال - أى من
الاتحاد السوفياتى نحو منتصف الأرض - إسرائيل والشرق الأوسط - وهكذا فإننا
نعتقد أن الاتحاد السوفياتى سيكون هو البادئ بالأعمال العدائية . من أجل ذلك
فإن معظمنا يؤمن بالعودة الحتمية للإله المسيح .

إننا نعتقد أننا نعيش فى الأيام الأخيرة التى تسبق مجئ الرب .

شير: هل تعنى بكلمة حتمية ، سنة أو أكثر؟

قالويل : لقد حذرنا الرب من تحديد تواريخ وقال الإله : « لا أحد يعرف اليوم
ولا الساعة » إننى أعتقد أن كل مجموعة دينية أو كل زعيم دينى حدد تواريخ قد
أساء إلى الرب وأحرج نفسه . يمكن أن يكون فى ٥٠ سنة أنا لا أعرف ولكن لا
أعتقد أن الوقت طويل هكذا . أعتقد أننا واصلون إلى المأزق . إن كل التاريخ
يصل إلى الذروة وأنا لا أعتقد أنه بقى أمامنا ٥٠ سنة أخرى . إننى لا أعتقد أن
أطفالى سيعيشون حياتهم الكاملة» .

فى كتابه بعنوان الحرب النووية والمجئ الثانى لعيسى المسيح الذى نشر فى عام
١٩٨٣ وفى فصل عنوانه «الحرب القادمة مع روسيا » يتنبأ فالويل بغزو سوفياتى
لإسرائيل يعقبه القضاء على القوات السوفياتية فى جبال إسرائيل .

وبنهاية هذا المعركة فإنّ النصوص تخبرنا أن خمسة أسداس (٨٣٪) من الجنود
السوفيات سوف يُدمّرون (حزقيال ٣٩/٢) . وبذلك يبدأ أول احتفال للرب .
ويجرى احتفال آخر بعد معركة هرْمَجْدُون . وسيتوقف التهديد الشيوعى إلى
الأبد . وسيستغرق دفن الموتى مدة سبعة أشهر .

ريغان : التسّاح من أجل هَرَمَجَدُون حقيقيّة

هل ترعرع رونالد ريغان في نفس المعتقدات مثل كلايد وجيرى فولويل ،
وجيمى سواغارت وغيرهم من المؤمنين «بالتدبيرية» ؟ إن أندرو لنغ من مدينة
واشنطن ومدير الأبحاث في المعهد المسيحي (وهو مركز أبحاث عن المسيحية
واليهودية والإسلام) والذي أجرى دراسة معمقة عن ريغان وعن نظرية هَرَمَجَدُون
يعتقد ذلك . ويقول :

«لو لم يكن ريغان مؤمناً بهذا النظام خلال سنوات رئاسته ، فقد كان مؤمناً به
قبل ذلك . إن الملاحظات التي حررت عن ريغان في السبعينات ، وكشف عنها
للمرة الأولى في عام ١٩٨٥ ، تثبت أن ريغان كان مؤمناً بهذا النظام .
وبأيديولوجية هَرَمَجَدُون». وفي عام ١٩٨٤ عقد معهد الأبحاث المسيحي مؤتمراً
صحفياً حول موضوع ريغان هَرَمَجَدُون ، احتلت وقاعة العناوين الرئيسة في
الصحف الكبرى في الولايات المتحدة .

في هذا المؤتمر الصحفى قال لانغ وآخرون في المعهد المسيحي أرادوا إجراء
تحقيق حول ريغان ونظرية هَرَمَجَدُون . لأن إمكانية إيمان رئيس الولايات المتحدة
بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة : هل
يؤمن بجدوى مباحثات التسليح رئيس يعتنق هذا النظام الدينى؟ التسليح؟ وخلال
أية أزمة نووية هل سيكون متروياً وعاقلاً؟ أو إنه سيكون متهافناً للضغط على
الزر ، وهو يشعر في قرارة نفسه أنه يساعد الله في مخططاته التوراتية - الإنجيلية
المقررة مسبقاً لنهاية الزمن؟

لقد ساعد لانغ في إعداد هذه الدراسة عن ريغان وهَرَمَجَدُون لارى جونز وهو
كاتب من نيويورك ومتخرج من جامعة كولومبيا . ويقول لانغ إن المؤمن بنظرية
هَرَمَجَدُون هو أصولى يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموساً ليتنبأ بالمستقبل .

إن هؤلاء ، أمثال فالويل وهول ليندسى وبات روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحي الجديد ، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والانهيار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية .

«إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح في الكتاب المقدس . وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ ، فإن المسيحيين المخلصين سوف يرفعون ماديًا من كل وجه الأرض ويجتمعون بالمسيح في الهواء . ومن هذه النقطة سوف يراقبوا بسلام الحروب النووية والمشاكل الاقتصادية . وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولدون ثانية مع المسيح كقائد عسكري لخوض معركة هَرْمَجِدُون ، ولتدمير أعداء الله ، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة» .

هل يؤمن ريغان بذلك؟

هنا ثلاثة مصادر تلقي الضوء على هذا الموضوع:

أولاً: طفولته ، وتأثير أمه نال ريغان الشديد على معتقداته الإنجيلية . فقد كانت تؤمن بالغيب إلى ما لا حدود له . (كما قال بواب سلوس المدير التنفيذي بالمحطة الإذاعية المسيحية في كتابه عن حياة ريغان واسمه (ريغان من الداخل والخارج . ١٩٨٤) لقد كانت والدته رونالد ريغان شديدة التأثير عليه في كل شأن من شؤون الحياة، وخاصة في نشأته الروحية . لقد كانت قارئة للكتاب المقدس . متعبدة جداً ، مؤمنة بالمسيح وبالخلاص ، وهكذا فإن ريغان نشأ على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس» .

ويقول ريغان : لقد تربيت على الكتاب المقدس ، وعلمته لمدة طويلة في مدارس الأحد . (وكان يومذاك في المدرسة الثانوية)

وبالإضافة إلى والدته تأثر ريغان بأصدقائه المقربين . والعديد منهم يعتنق «التدبيرية» ويؤمن بأن الله سوف يقدم امتيازات خاصة لشعبه المختار وأنه سوف يعاقبهم .

في عام ١٩٦٨ نشر الكاتب وليم روس مقالا بعنوان «الحياة المسيحية» نقل فيها عن ريغان قوله ، إنه خلال إقامة قصيرة في المستشفى في ذلك العام ، زارة صديقه لاعب الكرة الأميركية السابق (دون مومو) يرافقه المبشر الإنجيلي بيلي غراهام . ثم روى ريغان للكاتب القصة الآتية:

دخلنا في الحديث حول النبوءات المتعلقة بالمجيء الثاني للمسيح وإمكانية تحقيقها خاصة في هذا الوقت . أخبرني غراهام كيف أن قادة العالم الذين هم طلاب الكتاب المقدس وغيرهم من الذين درسوا الكتاب المقدس وصلوا أيضاً إلى الاستنتاج بأنه لم يسبق في التاريخ أن تحقق هذا العدد من النبوءات في مثل هذا الوقت القصير نسبياً .

بعد الحديث سألت دون أن يرسل إلى مواد إضافية عن هذه النبوءات حتى أتتحقق منها بنفسى في الكتاب المقدس .

كحاكم لواحدة من أكبر الولايات الأميركية من حيث المساحة وعدد السكان كان ريغان مسؤولاً تنفيذياً مشغولاً ؛ ومع ذلك فقد وجد الوقت من عمله كحاكم لدراسة النبوءات ونهاية الزمن . ظاهرياً يبدو أن بحثه في الكتاب المقدس قاده إلى تقبل المبدأ الذى يقول إن الله حكيم على ملايين البشر الذين يعيشون اليوم بأن يقتلوا في معركة نهائية تدعى هرْمَجِدُون .

في ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠ وخلال حملة ريغان لولاية ثانية كحاكم ، رار ريغان في منزله في سكرامنتو عدد من الأصدقاء بينهم المغنى فى هوليد مات بون وزوجته شيرلى واثان من ذوى النفوذ فى الكنيسة الإنجيلية هما (جورج اوتيس) (وهير الد بريدسون) وخلال الزيارة جرى حديث طويل عن النبوءات ومؤشرات نهاية الزمن بما فى ذلك ما وصفه أوتيس وبريدسون بأنه (تدفق روح القدس) . وفى نهاية الحديث كما قال اوتيس وقف الجميع مع الحاكم ريغان يؤدون الصلاة وأيديهم متشابكة . وتنبأ أوتيس لريغان بأن يصبح رئيساً للولايات المتحدة .

وفى ٢٩ يونيو ١٩٧١ طلب الحاكم ريغان من بيلى غراهام أن يلقي خطاباً فى مجلس التشريع فى كاليفورنيا . فى هذا الخطاب أعلن غراهام أن البديل الوحيد للشيوعية هو الخطة الواردة فى الكتاب المقدس . إن الكتاب المقدس يقول إن الإنسان سوف ينتقل من مشكلة إلى مشكلة، ومن محاكمة إلى محاكمة ولكنه سيأتى يوم يتدخل فيه الله فى تاريخ الإنسان ويأتى المسيح .

بعد هذا الخطاب أقام ريغان حفل غداء على شرف غراهام حضره وزراء ريغان وكبار موظفيه كما حضره مدير مكتب غراهام فى سكرامنتو (والث هانسون) .

ذكر هانسون لإذاعة نيويورك أنه خلال الغداء بدأ غراهام وريغان يتحدثان عن المجيء الثانى للرب المسيح .

سأل ريغان غراهام (هل تعتقد أن يسوع المسيح سيأتي في سرعة وما هي مؤشرات قدومه إذا كان الأمر كذلك!) رد غراهام (إن المؤشر هو أن المسيح يقف خلف الباب وسيأتي في أى وقت).

وفي العام نفسه قرأ ريغان عدة كتب مشهورة عن موضوع (هَرْمَجْدُون) من بينها كتاب ليندسى (آخر أعظم كرة أرضية) الذى كان موضع نقاش متعدد فى تلك السنة كما قال السكرتير القانونى للحاكم جيرلند الينغود فى حديث إلى إذاعة نيويورك. إن الينغود هو واحد من المؤمنين بشدة ومن المعجبين إلى أقصى حد بإسرائيل بما فى ذلك الإيمان بضرورة المعركة النهائية وكان يناقش ريغان النبوءات الإنجيلية.

هناك مؤشرات ظهرت فى عام ١٩٧١ تشير إلى أن ريغان، على الأقل فى ذلك العام كان مؤمناً بالتدبيرية أو مؤمناً أو معجباً بإسرائيل ومصداقاً لأيدولوجية هَرْمَجْدُون.

ويروى (جيمس ميلز) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا فى عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ من مجلة سان دياغو، الحادثة التالية:

كانت تلك السنة الأولى فى الولاية الثانية من حاكمية ريغان وكانت السنة الأولى التى ينتخب فيها ميلز رئيساً لمجلس شيوخ الولاية. كان الاثنان يجلسان جنباً إلى جنب فى مأدبة أقيمت فى سكرامنتو على شرف ميلز. أثناء الاحتفال سأل ريغان ميلز بصورة غير متوقعة تماماً إذا كان قد قرأ الفصلين ٣٨ و ٣٩ من حزقيال. أكد ميلز للحاكم أنه ترعرع فى بيت مؤمن بالكتاب المقدس، وأنه قرأ وناقش المقاطع من حزقيال التى تتحدث عن بأجوج ومأجوج (الذى يقول المؤمنون بالتدبيرية إن ذلك يعنى روسيا) عدة مرات، كما قرأ مراجع أخرى عن نهاية الزمن فى الفصلين ٦-١٩ و١٠ من سفر الرؤيا.

قال ريغان إن حزقيال رأى فى العهد القديم المذبحة التى ستدمر عصرنا. ثم تحدث ريغان بتركيز لاهب عن ليبيبا لتحويلها إلى شيوعية، وأصر أن فى ذلك إشارة إلى أن يوم هَرْمَجْدُون لم يعد بعيداً.

عند ذلك بادر ميلز إلى تكدير ريغان بأن حزقيال يقول أيضاً إن ثيوبيا ستكون من بين قوى الشيطان. وأضاف ميلز أننى لا أستطيع أن أرى (هيلا سيلاسى أسد يهوذا) يخوض مع زمرة من الدمى حرباً ضد شعب الله المختار.

قال ميلز إنه لا يعتقد أن ذلك ممكن، غير أن ريغان أصر بقوله: أنا أعتقد

ذلك، وأظن أنه لا مفر منه ، إنه ضرورى لتحقيق النبوءة بأن اثيوبيا ستكون واحدة من الأمم المعادية لله التى تحارب إسرائيل . (بعد ثلاث سنوات من هذا الحديث أشار ميلز فى مقالته إلى أن الشيوعيين أسقطوا هيبلا سيلاسى وأن ريغان كان سعيداً بأن يرى ما يبدو أنه تحقيق لنبوءة تتعلق بالمسيح).

فى العشاء الذى أقيم فى عام ١٩٧١ تحدث ريغان عن هَرْمَجَدُون نووية قادمة وقال ميلز إن حديث ريغان بدا كحديث مثير إلى طالب كلية . قال ريغان لميلز إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هَرْمَجَدُون قد مرت ، ففى الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . لقد تحققت ذلك أخيراً بعد ألفى سنة ، ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار معركة هَرْمَجَدُون والعودة الثانية للمسيح . وعندما ذُكر ميلز ريغان أن الشىء الوحيد الذى ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح هو أن العودة الثانية للمسيح لا يعرف أحد متى ستحدث ، رد ريغان بصوت عالٍ : .

إن كل شىء يأخذ مكانه . لن يطول الوقت الآن ، إن حزقيال يقول : إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله .

إن ذلك يجب أن يعنى أنهم سوف يدمرون بواسطة السلاح النووى . إنهم موجودون الآن ولكنهم لم يكونوا موجودين فى الماضى .

وتابع ريغان يقول : إن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التى ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال .

إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال : إن يأجوج يجب أن تكون روسية .

ما هى الأمم القديمة الأخرى الموجودة إلى الشمال من إسرائيل؟ لا شىء . لقد كان ذلك غير منطقي قبل الثورة الروسية عندما كانت روسيا دولة مسيحية . إلا أن لذلك معنى الآن وقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة، الآن وقد وضعت روسيا نفسها ضد الله ، الآن تنطبق مواصفات يأجوج عليها تماماً .

فى عام ١٩٧٦ ناقش ريغان معركة هَرْمَجَدُون فى مقابلة مسجلة مع جورج أوتيس الذى سبق له أن تنبأ بوصول ريغان إلى الرئاسة الأمريكية .

يقول (أوتيس) فى كتاب له : إنه ينتظر تحقيق نبوءة حرب يأجوج ومأجوج

(التي تفسر بأنها غزو سوفياتى لإسرائيل فى المستقبل القريب)، وقد سأل ريغان إذا كان يعتقد أنه سوف ينقذ من هذه المجزرة الرهيبة خلال الحرب النهائية، علماً بأن الخلاص من هذه المرحلة استناداً إلى المؤمنين بالتدبيرية لا يكون إلا إذا كان المسيحى (مولوداً مرة ثانية) . وقد أجاب ريغان أنه مولود مرة ثانية ويشعر بذلك ويؤمن به .

تحدث الحاكم ريغان أيضاً عن هَرْمَجَدُون إلى الإنجيلى (هارولد بريتنسن من كاليفورنيا) ؛ وفى إحدى المناسبات زار ريغان كل من برتسون والمغنى بات بون وجورج اوتيس فى منزله ولقد سر برتسون ودهش فى الوقت نفسه بمبادرة ريغان إلى إثارة موضوع النبوءات الإنجيلية أمام زواره . ونقل برتسون عنه قوله : (إذا كان اليهودى غير مخلص لله فهل الله سيشتته فى أطراف الأرض)؟ ولكن بعد أن يحدث فهل الله سيغسل يديه منهم ؟ قبل عودة ابنه فإن الله سوف يعيد جمعهم فى إسرائيل وحتى طريقة نقلهم التى سيستعملونها سوف يفسرها النبى . لقد قال النبى : إن بعضهم سوف يأتى بالباخرة وإن بعضهم سوف يعود كالحمام إلى أعشاشه . وبكلمات أخرى سيأتون بالباخرة أو بالطائرة . وستولد الأمة فى يوم .

وأشار ريغان بالتأكيد إلى حقيقة الوعد بأن القدس سوف تدنس تحت أقدام العامة (جنيتل) إلى أن ينتهى وقت هذه العامة . وهذه النبوءة تحققت فى عام ١٩٦٧ عندما أعيد توحيد القدس تحت العلم الإسرائيلى).

ويقول برتسون : إن ما أثارنى بصورة خاصة هو أن ريغان قد نما روحياً بشكل كبير . والمثال على إدراكه الشامل لما يجرى فى ضوء مسلسل النبوءات ، قدرته على تحديد اليوم منذ عام ١٩٤٨ الذى أعيد فيه بناء إسرائيل كأمة .

لقد تملكنى الشعور بأن ريغان يدرك تماماً أهداف الله فى الشرق الأوسط . ومن أجل ذلك السبب فإنه يشعر بأن المرحلة التى نمر بها الآن هى مرحلة بارزة طالما أن الأحداث الواردة فى الكتاب المقدس تتحقق فى هذا الوقت .

وعندما كان ريغان مرشحاً للرئاسة فى عام ١٩٨٠ كان يواصل الحديث عن هَرْمَجَدُون ، وقد قال ريغان (وهو مرشح للرئاسة) للإنجيلى جيم بيكر فى مقابلة تلفزيونية أجراها معه (إننا قد نكون الجيل الذى سيشهد هَرْمَجَدُون).

ويقول المؤلف الإنجيلى دوغ ويل الذى كان حاضراً للمقابلة : إنه سمع ريغان يردد مراراً «إن نهاية العالم قد تكون فى متناول يدينا». وفى حفل عشاء فى منزل

ريغان في كاليفورنيا حضره ويل تحول الحديث إلى الاتحاد السوفياتي وإلى النبوءة الإنجيلية . وفي وسط النقاش أعلن ريغان (استناداً إلى ما يقوله ويل) أمام ضيوفه أننا ربما نكون الجيل الذي يرى هرمجدون .

إن هذه الملاحظة لم تأت صدفة . ويقول ويل إن ريغان كان يناقش النبوءات الإنجيلية على أنها مواضيع خاصة وأنه أثناء مقابلات مع ريغان حضرها ويل سمعه يقول : «إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون» .

وفي نفس السنة ١٩٨٠ أعطى ريغان مرشح الرئاسة مثلاً آخر نقله معلق صحيفة نيويورك تايمز (وليم سافير) : كان ريغان يخطب في مجموعة من القادة اليهود عندما قال : (إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون) .

وفي مقابلة صحيفة أجراها الصحفي روبرت شير في مارس ١٩٨١ مع جيري فولويل ، كشف عن أن الرئيس ريغان قال له : إن تدمير العالم قد يحدث «سريعاً جداً» . وإن التاريخ سيصل إلى ذروته . «وبلغ فولويل الصحفي أيضاً أنه لا يعتقد أنه بقي أمامنا خمسون سنة أخرى . وسأل الصحفي إذا كان ريغان يوافق على ذلك أيضاً فأجاب : بالتأكيد ، لقد أخبرني بذلك ريغان ونقل فولويل عن ريغان قوله له : «جيري، إنني أحياناً أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجدون» .

وبعد ذلك بعامين ، رتب ريغان لفولويل حضور اجتماع مجلس الأمن القومي ليستمع إلى الملخصات التي تقدم، وليناقش كبار المسؤولين الأميركيين في احتمال نشوب حرب نووية مع روسيا . كذلك ، واستناداً إلى هول ليندسي ، وافق ريغان أيضاً على أن يلقي مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» كلمة حول الحرب النووية مع روسيا أمام إستراتيجي البنتاغون .

في أحد أيام أكتوبر من عام ١٩٨٣ ، كشف ريغان أن هرمجدون لا تزال تشغل باله . فقد اتصل هاتفياً بتوم داين من لجنة العلاقات العامة الأميركية - الإسرائيلية، وهي أكثر اللوبي المؤيد لإسرائيل قوة واستناداً إلى داين، قال الرئيس ريغان :

«كما تعرف ، فإنني أستند إلى أنبيائك القدامى في العهد القديم وإلى المؤشرات التي تخبر مسبقاً بهرمجدون، وإنني أتساءل إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك . لا

أعرف إذا كنت قد لاحظت أخيراً أيّاً من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تصف الوقت الذي نمر به».

خاطب ريغان الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين ثلاث مرّات في أعوام ١٩٨٢ ، و٨٣ ، و٨٤ . ويتألّف هذا الاتحاد في معظمه من المؤمنين «بالتدبيرية» وبأنّ الحرب النوويّة مقبلةٌ علينا . ولقد قال ريغان للمذيعين في عام ١٩٨٢ إنّ ذلك سيحدث أسرع ممّا تتصوّر .

وفي عام ١٩٨٣ كشف ريغان عن أهميّة الكتاب المقدس في حياته قائلاً للمذيعين الدينيين : «بين دفتيّ هذا الكتاب الوحيد توجد جميع الإجابات على جميع المشاكل التي تواجهنا اليوم» .

وفي عام ١٩٨٢ أشار ريغان إلى أنه يتفق مع أولئك الذين يقولون : «الموت أفضل من أن أكون أحمر» . وليكشف عن مشاعره حول هذا الموضوع روى ريغان قصة قال فيها : إنه جلس مرّة على منصّة في تجمّع ديني أقيم في لوس أنجلوس كان المغنّى بات بون المتحدث البارز . قال بون إنه يحبّ ابنتيه الصغيرتين أكثر من أى شيء آخر في الدنيا وقال ومع ذلك إنني أفضل أن تموتا الآن وهما مؤمّنتان بالرّب من أن تصبحا شيوعيتين» . ولقد امتدح ريغان في حديثه إلى المذيعين الدينيين المغنّى بون بسبب موقفه القويّ ضدّ الشيطان الشيوعي . إنّ معظم المؤمنين «بالتدبيرية» ينظرون إلى روسيا على أنّها شيطانيّة وأنها تمثّل إمبراطوريّة الشيطان . ولقد جاهر ريغان بذلك في ٨ مارس ١٩٨٣ عندما قال : إنّ الاتحاد السوفياتي هو حجر الزاوية في العالم المعاصر . وفي حديثه إلى الاتحاد الوطني الإنجيلي أضاف يقول : «إنني أؤمن أنّ الشيوعيّة هي فصلٌ حزين وسيء في التاريخ الإنساني الذي يكتب الآن صفحاته الأخيرة» .

يقول جيمس ميلز في المقال الذي نشره في مجلة سان دييغو ، والذي أشرنا إليه سابقاً ، إنّ استعمال ريغان في عام ١٩٨٣ عبارة «إمبراطورية الشيطان» لوصف الاتحاد السوفياتي لم يكن نداءً محسوباً وبلغياً موجّهاً إلى الأصوليين الدينيين والسياسيين ، ولكنّه كان إعلاناً انطلق من الإيمان الذي أعرب عنه لي في تلك الليلة من عام ١٩٧١ .

وكتب ميلز في تلك المقالة إن ريغان كرئيس أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشياً مع إرادة الله، وذلك كأى مؤمن آخر يحتل منصباً عالياً . وقال ميلز

أيضاً في المقال : إن ريغان كان يشعر بذلك الالتزام خصيصاً وهو يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة وحلفائها . وقال :

«صحيح أن حزقيال تنبأ بانتصار جيوش إسرائيل وحلفائها في المعركة الرهيبة ضد قوى الظلام ، ومع ذلك فإن المسيحيين المحافظين مثل رئيسنا لا يسمح لهم التطرف الروحي بأن يأخذوا هذا الانتصار كمسلّمات . إن تقوية قوى الحق لتربح هذا الصراع المهم هي في عيون مثل هؤلاء الرجال عملٌ يحقّق نبوءة الله انسجاماً مع إرادته السامية وذلك حتى يعود المسيح مرة ثانية ليحكم الأرض ألف سنة» .

«إذا كان ريغان يؤمن الآن بما قاله لى في عام ١٩٧١ - وسواء كان أو لم يكن موضع تخمينات معلقى الصحف فى السنوات القليلة الأخيرة - لا يخامرني شك في أنه ينظر إلى مسؤولياته كقائد للعالم الغربى . ويبدو لى أن معظم قراراته السياسية متأثرة بهذا المفهوم» .

«وبالتأكيد فإن توجيهه بالنسبة للإنفاق العسكرى ، وبرودته تجاه مقترحات نزع التسلح النووى ملتزمتان مع وجهة نظره هذه التى يستمدّها من سفر الرؤيا» . وأضاف ميلز يقول : إن هرْمَجْدُون التى تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح . إن كل من يؤمن بأنها لا بد أن تقع لا يمكن أن يتوقّع تحقيق نزع التسلح . إن ذلك يناقض مشيئة الله كما وردت على لسانه .

وقال ميلز أيضاً إن سياسات الرئيس ريغان الداخلية والمالية منسجمة مع التفسير اللفظى للنبوءات التوراتية - الإنجيلية . فلا يوجد أى سبب للغضب حول مسألة الدين الوطنى إذا كان الله سيطوى العالم كلّ قريباً . فلماذا الاهتمام وإضاعة المال والوقت من أجل المحافظة على أشياء لمصلحة أجيال المستقبل طالما أن كلّ شىء سيذهب فى النهاية طعماً للنار؟ .

وكهدف سياسى فإن تطبيق عودة المسيح إلى الأرض تسمح بصعوبة منافسة (أمترك) على جمع التبرعات .

ويتبع ذلك أن جميع البرامج المحلية وخاصة تلك التى تتطلّب إنفاقاً رئيسياً ، يمكن ويجب أن تعلق من أجل توفير المال لتمويل تطوير الأسلحة النووية من أجل إطلاق الحمم المدّمة على الشياطين أعداء الله وأعداء شعبه . وأضاف ميلز : «لقد كان ريغان على حق عندما اعتقد أن أمامه فرصة لينفق المليارات من الدولارات استعداداً لحرب نووية مع ياجوج وماجوج ، لو كان معظم الشعب الذى أعاد

انتخابه يؤمن كما أخبرنى هو بما يؤمن به بالنسبة لهرمجدون والعودة الثانية للمسيح» .

إن أكثر الأمور المثيرة للاهتمام والتي أوردها جيمس ميلز فى مقاله تبدو لى إعلانه بأن هرمجدون لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح . ومع ذلك فإن كل الدول تكدس المزيد من الأسلحة ولكن لا أحد يسبق الولايات المتحدة فى ذلك . واليوم واستناداً إلى كتاب «ساحات المعارك النووية» لوليام آركن وريتشارد فليد هوس ، فإن الولايات المتحدة تملك ٨٧٠ أداة من الأسلحة النووية فى ٤٠ ولاية بحيث يبلغ مجموع الرؤوس الحربية الجاهزة ١٤٥٠٠ رأس وفى ألمانيا الغربية يوجد ٣٣٩٦ سلاحاً نووياً أميركياً . وفى بريطانيا يوجد ١٢٦٨ . وفى إيطاليا يوجد ٥٤٩ . وفى تركيا ٤٨٩ . وفى اليونان ١٦٤ . وفى جنوب كوريا ١٥١ . وفى هولندا ٨١ وفى بلجيكا ٢٥ .

وفى الثالث من فبراير ١٩٨٦ قالت صحيفة واشنطن بوست : إن الإدارة الأميركية اقترحت مواصلة البناء العسكرى فى السنوات الخمسين المقبلة . واستناداً إلى وثائق الخزينة قالت الصحيفة : إن الإنفاق على مشاريع وزارة الدفاع يشير إلى ارتفاع من ٢٥٨,٤ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨٦ إلى ٣٥٦,٦ مليار دولار فى عام ١٩٩١ .

إن القدرة التدميرية الإجمالية للقوة النووية فى العالم اليوم (كما قال وزير الدفاع السابق كلارك كليفورد فى ١٤ اغسطس ١٩٨٥ أمام نادى الصحافة الوطنى فى واشنطن) هى مليون مرة أكبر من القنبلة التى أسقطت على «هيروشيما» . ومع ذلك تساءل كليفورد ماذا علينا أن نفعل ؟ وأجاب : «نمضى قدماً فى صناعة المزيد» .

استراحة في الناصرة

خلال رحلة منّظمة مع فولويل في عام ١٩٨٣ إلى إسرائيل توجهنا بالسيارات إلى القدس من تل أبيب، ولقد أبلغنا الدليل الإسرائيلي أن الرحلة سوف تستغرق حوالي ساعتين ونصف وأتينا خلال ذلك لن نشاهد شيئاً ، ولذلك فإنه من الأفضل أن نغمض أعيننا ونخلد للراحة . لقد تجاوب الحجاج مع هذه الدعوة وأغمضوا أعينهم ، في هذه الأثناء كنّا ندخل إلى الضفة الغربية ، أرض الفلسطينيين ، ولكن دليلنا لم يذكر الضفة الغربية ولا الفلسطينيين .

كانت تجلس أمامي في السيارة رفيقتي في غرفة الفندق واسمها منى وقد همست في أذنها أننا نمرّ عبر أرض الفلسطينيين . وأنّ حولنا الآن بيوت الفلسطينيين وأنهم قد عاشوا هنا دائماً . وأشارت إلى جدول مائي صغير هو نهر الأردن . إنه مشهور في المسيحية . وقلت لزميلتي منى : إن هذه الأرض يسكنها الفلسطينيون ولكن دليلنا لا يذكر ذلك . بل إنه يسمى هذه الأرض باسمها الإنجيلي القديم يهودا والسامرة . ولكنها بالنسبة لأكثر من ٣ ملايين فلسطيني هي فلسطين .

إنّ الضفة الغربية مع قسم آخر هو قطاع غزة يشكّلان تقريباً ربع فلسطين السابقة . إنّ هذه المناطق يسكنها ١,٢ مليون فلسطيني تقريباً . أكثر من ٤٠٠ ألف يعيشون في قطاع غزة ، ٨٠٠ ألف في الضفة الغربية ، بمن في ذلك ١٠٥ آلاف من العرب يقيمون في شرقي القدس . إنّ هؤلاء الفلسطينيين يشكّلون ثلث الشعب الفلسطيني . فهناك نصف مليون فلسطيني يعيشون داخل إسرائيل وهناك أكثر من ١,٥ مليون يعيشون في المنفى في الأردن ولبنان وسوريا والولايات المتحدة ودول أخرى .

كان جلّ سكان هذه المنطقة من الضفة الغربية التي كنا نمرّ بها من الفلسطينيين حتى قيام حرب ١٩٦٧ . ومع نهاية الحرب التي انتهت بنصر إسرائيل ، بدأ الإسرائيليون بناء مستوطنات يهودية على الأرض الفلسطينية .

لقد أُدِينت مستعمراتهم من قبل قادة العالم، وحكم عليها باللاشرعية فى سائر المحافل الدولية. ومع ذلك فلقد تزايدت وتيرة بناء المستوطنات ويعتقد الكثيرون أن الضفة الغربية هى الآن فى طريقها لأن تصبح جزءاً من الإمبراطورية الصهيونية.

فى عام ١٩٨٣ كان اليهود يديرون ٤٠ بالمئة من الأرض ، التى شقوا فيها شبكة من الطرق. والممرات المائية ، وأعمدة الإنارة الكهربائية. ذلك العام كان أكثر من ٢٥ ألف مستوطن يهودى - ثلثهم من الولايات المتحدة - يعيشون فى مستعمرات غير شرعية فى الضفة الغربية.

كانت رفيقتى ، منى ، تستمع إلى وكأننى أتتهجم عليها. كانت تحاول أن تتجنب الاستماع إلى ما تعتقد أن عليها أن لا تعرفه . ثم سألت : «أى فلسطينيين، أليس كل الذين يعيشون هنا هم من اليهود؟».

إن هذا هو بالتأكيد ما قرأته فى الكتاب المقدس الذى تعرفه . إنها تقرأ الكتاب المقدس يومياً . ولكنها تعرف القليل أو أنها لا تعرف شيئاً عن التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، أو عن أى من الأحداث التى جرت منذ أن سيطر العبرانيون على القدس . وقد ثبتت عينيها على مرحلة واحدة من التاريخ وعلى قبيلة واحدة.

فى خلفتنا الدينية الأصولية ، فإننى ومنى متشابهان . لقد نشأنا فى بيوت مسيحية، نستمع إلى الكتاب المقدس ونقرؤه . لم نتعلم شيئاً عن الشرق الأوسط فى دراستنا ، ولكننا تعلمنا فقط ما قرأناه فى النصوص العبرانية . لقد درسنا قصص العهد القديم عن تجمع الشعب العبرانى فى فلسطين وعن حروب ملوك إسرائيل وعن معاملات الله الخاصة بالشعب المختار . فمع الملايين من الأطفال المسيحيين نقرأ القصص عن إبراهيم وموسى ويهوذا وداوود وسليمان الذين يعتقد انهم الأبطال الرئيسيون فى تاريخ الشرق الأوسط . ومن أجل ذلك فهم أبطال كل الشعوب فى كل مكان ربما كذلك عند الصينيين والهنود والمصريين والفرس واليابانيين .

لقد ترعرعنا دون أن يعرف أحد منا أن العبرانيين كانوا مجموعة قبلية كغيرها من المجموعات القبلية التى سيطرت فى وقت من الأوقات على القدس لحقبة قصيرة من الزمن .

من أجل ذلك لم نعد نركز على العبرانيين لكونهم اكتشفوا فلسطين ، ولكننا أصبحنا نعتقد أن فلسطين كانت أرضاً بلا شعب حتى وصل العبرانيون إليها . ففى عقولنا أن العبرانيين هم أول الشعوب التى جاءت بعد وقت قصير من آدم وحواء .

وعندما بدأنا نقرأ ونسمع عن شعوب أخرى فى الشرق الأوسط ، لم نتقبلهم كشعوب حقيقية إنما كأعداء للعبرانيين وبالتالي كأعداء لله .

كنتُ ومنى ، نستمع كأطفال إلى القصص الدينية التى تعرفنا منها مثل الملايين من الأطفال الأصوليين الآخرين إلى العلاقة الخاصة بين الله وشعبه المختار . لقد تعلمنا تصديق مؤلفى العهد القديم الذين أعلنوا أنفسهم وقبيلتهم على أنهم شعب الله المفضل . وخلال طفولتى لم أكن أتصور أن هذا الاعتقاد يمكنه أن يؤدى إلى اقتلاع غير اليهود وإلى إثارة الحروب .

بعد فترة من الصمت سألت منى ، وكأنها تتوسل أن لا يوجد غير اليهود على هذه الأرض ، «هل الفلسطينيون هم أيضاً من اليهود؟» . ذكرتُ بأن الفلسطينيين مسيحيون ومسلمون . فردت منى : «إن الأمر معقد جداً بالنسبة إلى» . لقد عجزت عن اقتحام عقلها ، فقد تبنت بقوة مبدأ الأرض المقدسة على أساس العبارات العاطفية . وكما يذكرنا علماء النفس أن فى الصراع بين التفكير المنطقى والمشاعر العميقة ، فإن العواطف هى التى تحتاجنا فى العمق وبسهولة .

لقد تعلمت منى من معلمين مثل «فولويل» أن القوانين الوضعية لا تطبق على إسرائيل . لقد تعلمت أنه من بين كل شعوب الأرض فإن الإسرائيليين وحدهم لا يمكن تطبيق القوانين التى يشرعها الإنسان عليهم ، ولكن تطبق عليهم فقط قوانين الله . فإذا كان توجيه منى وجهة الإيمان بأن الله يفضل اليهود وليس الفلسطينيين ، سواء كانوا مسلمين ، أو مسيحيين عندئذ ، فهى كمسيحية ، عليها أن تجعل من المواطنين المسيحيين والمسلمين شيئاً غير موجود ، وأن تعتبرهم مجرد أحجار فى لعبة شطرنج إلهية .

وكما فى كل نوع من أنواع العنصرية ، فقد أغمضت عينيها عن تنوعهم السياسى والدينى والثقافى . إن مسيحية مثل منى ، تتقبل الإيمان بالشعب المختار ، سوف تخسر قدرتها على فهم أو استيعاب الشاعر . وكذلك فإنها سوف تعجز عن إدراك أن الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين يشاركون فى الصورة الإنسانية وفى الوجود الإنسانى مع غيرهم من المسيحيين مثلها هى نفسها .

إن من يختار من المسيحيين مفهوم الشعب المختار ، يختار فى الوقت نفسه مفهوم الشعب غير المختار . لقد وضعوا المختار وغير المختار فى نظامهم الإيمانى الذى يدعو لوجود اليهود فى فلسطين ، والذى يدعو أيضاً لوجود المواطنين

المسيحيين والمسلمين والذين عاشوا قرونًا في فلسطين وخارجها (سواء كانوا هناك أو لم يكونوا) فإذا كانوا هناك حقيقة، فإنهم كانوا الحاضر الغائب وغير المنظور.

في إحدى المرات مررنا بمشهد كان الفلسطينيين فيه واضحين جدًا. كان ذلك أحد المخيمات الكبيرة للمسلمين وللمسيحيين الذين عاشوا سابقًا على الأرض التي يسكنها الإسرائيليون اليوم. سألت إحدى زميلاتنا: ما هذا؟ أجاب الدليل الإسرائيلي: «العرب يعيشون هنا. إنهم يفضلون أن يعيشوا هكذا». وتابع يقول: «لقد حاولنا مصادقة العرب، غير أن هؤلاء المسلمين جميعهم إرهابيون». لقد تجاهل في تعليقه وجود مجموعات مسيحية بينهم، وأظهر الفلسطينيين وكأنهم جميعهم مسلمون، أعداء الله وأعداء شعبه المختار. وفيما كان الدليل يتحدث، كانت زميلتنا تهز رأسها بالموافقة. فسألتها ما إذا كانت تعرف أن دليلنا وسائر الإسرائيليين ينظرون إلى العرب كأعداء، وأنهم يقدمونهم كأعداء لنا أيضًا؟ فردت بقولها: إذا كان العرب لأسرائيل فيستتبع ذلك أنهم أعداء لله.

لقد كان طبيعيًا بالنسبة إلى أن مقابلة فلسطينيين مسيحيين سيكون أمرًا مثيرًا. فالمسافرون غالبًا ما يتطلعون إلى مقابلة مجموعات تشاركهم معتقداتهم الدينية. إن وفود اليهود الأميركيين، مثلًا، الذين يسافرون إلى موسكو يريدون مقابلة اليهود السوفيات. وعندما يتوجهون إلى القدس يقابلون يهودًا وإسرائيليين. غير أن جيري فولويل ومجموعته أغفلا عن عمد المسيحيين من حولنا.

إن الفلسطينيين المسيحيين في القدس يملكون ويديرون المطاعم، ولكننا نحن المسيحيين المرتبطين مع جولة (فولويل) لم نقم بزيارة إلى أي منهم ولم نأكل في مطعم أحد منهم. إن الفلسطينيين المسيحيين يملكون في القدس الفنادق ولكننا لا ننزل فيها. والمسيحيون أيضًا يملكون ويديرون خطوط نقل ووكالات سفر ولكننا لم نقابل أيًا منهم.

خلال الجولة كنت أحمل أسماء عدد من المنظمات المسيحية والقادة المسيحيين الذين يعيشون في القدس وحولها. ومن إقامة سابقة لى في الأرض المقدسة في عام ١٩٧٩ - ١٩٨٠ حصلت من أصدقاء مسيحيين أميركيين على أسماء وعناوين عدد من المسيحيين بمن فيهم القس (عودة رتيسى) رئيس البيت الإنجيلي في رام الله ومحافظ المدينة، كما حصلت على أسماء اثنين من الأساتذة الأميركيين وإحدى الصحفيات المسيحيات واسمها ريموندا طويل، وعلى اسم ممثل هيئة المساعدات الأميركية في الشرق الأدنى في القدس. لقد طلبت من الدليل أن

يسمح لنا بمقابلة بعض الأميركيين الموجودين في مدينة الناصرة عندما نصل إلى هذه المدينة . ذلك أنه منذ أيام المسيح كانت الناصرة مع بين لحم والقدس مدناً مسيحية مهمة ولا تزال كذلك اليوم . إن الناصرة هي المدينة التي عاش فيها المسيح وترعرع خلال فترة شبابه . ففي مدينة الناصرة أدى المسيح أول صلاة له وكاد يقتل عندما تحدث بتعاطف عن أرملة لبنانية «صيداوية وعن عسكري سورى» (إنجيل لوقا ٤/٢٦/٩).

لم يخبرنا الدليل الإسرائيلي كثيراً عن المدن التي يشكل المسيحيون أكثر سكانها . ومنذ قيام الدولة اليهودية ، كانت سياستها تقوم على عدم الاعتراف بوجود الفلسطينيين . وقد لخصت هذا الموقف رئيسة الحكومة السابقة غولدا مائير عندما أعلنت: (لا يوجد شعب فلسطيني) . قبل وصولنا إلى الناصرة ، أعلن دليلنا الإسرائيلي أننا لن نتوقف في هذه المدينة . ربما يكون إعلان ذلك ليستوعب مسبقاً الاعتراضات التي قد تصدر عنا نتيجة عدم زيارتنا واحدة من المدن المسيحية الرئيسية الثلاث . لم يسأل أحد من المجموعة عن سبب هذا القرار وعن سبب الامتناع عن زيارة مدينة المسيح التي قضى المسيح فيها كل سنوات عمره من ١٢ إلى ٣٠ . غير أن الدليل عاد وغير رأيه وأبلغنا أننا سنتوقف في الناصرة لمدة عشرين دقيقة . وبرر هذا التوقف من أجل دخول المراحيض . وما إن توقفت السيارة حتى توجه كل منا إلى دكان لاستعمال المراحيض . وبعد عشرين دقيقة أقلعت السيارة بنا ثانية من دون أن نرى المدينة . لقد حاولت أن أتصور بوذيًا يذهب إلى معبد بوذا في (كماكورا في طوكيو) أو مسلمًا يذهب إلى مكة ، أو يهوديًا يقوم برحلة إلى حائط المبكى ، فقط من أجل استعمال المراحيض .

بذل قادتنا كما بدا لي جهوداً خاصة ليفصلوا بيننا وبين المسيحيين الفلسطينيين من أهالي فلسطين وغيرهم من المسيحيين بمن فيهم الأميركيون الذي يعيشون في الأرض المقدسة . يوم الأحد اقترح أحدنا أن نتوجه إلى الكنيسة لأداء الصلاة . وأرسل الطلب إلى (فولويل)، وعلى الرغم من وجود عشرات الكنائس المسيحية في مختلف مناطق القدس فإن فولويل أبلغنا أننا سنؤدي الصلاة في أحد الفنادق الإسرائيلية .

بما أننا مسيحيون ، وفي جولة في أرض المسيح ، ومن أجل التعرف على المسيح ، فإن الواحد منا يتوقع أن يكون المواطنون المسيحيون الذين يعود تاريخهم إلى أيام المسيح نفسه قادرين على المساهمة في موضوع المسيحية . ومع ذلك ولأن

عند فولويل اعتقاداً مسبباً بأن الفلسطينيين غير موجودين ، فقد عُزلت مجموعتنا وكأنها فى مركبة فضائية . لا تدرك حقيقة ما حولها . وبتجاهل أحد طرفى الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى ، فإن المسيحيين المنتظمين فى رحلة فولويل تجاهلوا حقيقة الحرب بين الفلسطينيين ودولة إسرائيل . لقد فقد الحجاج معرفة الأبعاد الدينية لهذه الحرب ومؤثراتها السياسية على حياتنا جميعاً . شعرت بأنه كان من الأفضل أن نقابل المسيحيين الذين كانوا منذ أول انتفاضات القومية العربية قبل قرن من الزمن فى قلب السياسات الداخلية للشرق الأوسط . إن لقاء مواطنين مسيحيين كان يمكن أن يمكننا من فهم أكثر للغليان فى الشرق الأوسط حيث تحكم معظم الشعوب أنظمة دكتاتورية تتمثل فى نظام الحزب الواحد .

كان يمكن أن ندرک ، بالإضافة إلى ذلك ، لماذا تمر شعوب الشرق الأوسط ، بمن فيها المسيحيون فى أزمة هوية . ولماذا يتخذون فكرة الوطنية التى يحاولون التمايز بها . ولماذا يحاول أشخاص وجماعات إعادة تعريف الهوية على قواعد وثنية ودينية .

لو قابلنا مسيحيين لكان بإمكاننا أن نسأل ماذا يعنى أن تكون مسيحياً فى الشرق الأوسط اليوم؟ هل إيمانك قوى وبالتالي هل المؤسسات قوية؟ كيف هى العلاقات مع المسلمين ومع اليهود؟ هل هذه العلاقات تقوم فقط على أساس توازن القوى أو إنكم كمسيحيين ترون القوة هى قوة التضحية؟ إن فولويل لم يرشد أتباعه فى الأوقات الحقيقية وفى المكان الحقيقى حيث الشعب الحقيقى الذى يتشكل من ثلاثة أديان رئيسة تكافح من أجل التعايش على أرض يعتبرها الثلاثة أرضاً مقدسة . ولكنه قدم الأرض المقدسة وكأنها وفاء إلهى بعود لمجموعة واحدة من الشعب . أما البقية فكما قالت (غولدا مائير) فلا وجود لها .

استحسان المسيح العسكري

خلال الجولات المنظمة في الأرض المقدسة، لا يرافق جيرى فولويل بنفسه المجموعات من الحجاج. ولا يرافق المسيحيين إلى أى صرح مسيحي، مثل كنيسة المهدي في بيت لحم أو أى من المواقع المسيحية الأخرى في القدس. وإنما يسافر فولويل في الدرجة الأولى إلى إسرائيل، ويقوم في فندق من الدرجة الأولى في القدس، ويقابل شخصيات عسكرية وحكومية، ويتحدث في السياسة. وباختصار، يقام في الأرض المقدسة، وفي مدينة القدس فقط، خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من الجولة.

في ليلة ١٩ نوفمبر ١٩٨٣ تم جمعنا - ٦٣٠ شخصاً - في قاعة المؤتمرات في فندق ديلومات في القدس. قد وعدنا فولويل بمقابلة وزير الدفاع موسى أرينز، والسفير السابق لإسرائيل في الولايات المتحدة. ويانتظار وصول الوزير توفر أمامي بعض الوقت للتفكير. إن عددًا ضئيلاً جداً من دول العالم يرى المرء فيها جنوداً عسكريين أكثر مما يراه في إسرائيل. إن نسبة العسكريين إلى المدنيين في بلد يقل عدد سكانه عن أربعة ملايين نسمة هو واحد إلى ٢٢، وهو أعلى نسبة في العالم. كم هو محزن هذا التطور: من إعلان إسرائيل كجثة ليهود العالم إلى أن تصبح أقل المناطق التي يعيش فيها اليهود أماناً. وكلما أنتجوا المزيد من الأسلحة، ازدادت مخاوفهم، وقل اطمئنانهم. إنه من المثير أن خطر الانهيار والتفتت يأتي من الداخل، أكثر مما يأتي من الأعداء الذين خاضوا معهم حروباً عدة.

ومن أجل استدراج التصفيق قدم فولويل (موشى أرينز) على أنه مولود في الولايات المتحدة ومتخرج من المعهد التقني في ماساتشوستس. بدأ أرينز معتزاً بالعملية العسكرية التي قامت بها إسرائيل في لبنان، وقال إن هذه العملية حققت نصراً عظيماً ليس فقط لإسرائيل وإنما للعالم الحر أيضاً. منذ ذهبنا إلى لبنان لنقتل كل الإرهابيين. لقد أردنا أن نمحوهم تماماً.

وفيما كان يتحدث عن ذبح الأعداء، لاحظت تغييراً في أسلوب الحديث

المسيحي المعروف بالهدوء والأدب. لقد جرت إثارتهم، وبدأ سيلان الادريئالين في دمائهم، وكان أسدًا قد أطلق في وسطهم. تحدث أرينز عن جيش إسرائيل عائدًا إلى لبنان وسوريا، فقفز المسيحيون على أقدامهم مصنفين. ثم تحدث أرينز وهو يشير بيده ربما باتجاه سوريا والاتحاد السوفياتي قائلاً هؤلاء هم الأعداء الشيوعيون، (إذا كانت الولايات المتحدة تقاتل إلى جانبنا فسوف ننجز المهمة).

وفيما كان أرينز يدعو إلى تجديد الالتزام بالقوة العسكرية وبحرب جديدة أكبر، كان المسيحيون يقاطعون (١٨ مرة) بالتصفيق ووقوفًا مرددين (أمين وهوليا).

عندما كنا خارجين من القاعة سألت أحد أعضاء الوفد وهو من تكساس هل كان يدرك أن مجموتنا كانت تصفق لغزو وذبح شعب برى؟

أجابني قائلاً (إن غزو لبنان كان عملاً من إرادة الله. لقد كانت حرباً مقدسة. إنني أعتقد أن الغزو كان رائعاً لأنه كان منسجماً مع العهد القديم ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية - الإنجيلية. وهذا يمكن أن يعني أننا نقرب من هَرْمَجِدُون).

بدا الأمر مربكاً بالنسبة إلى لأن إسرائيل تسير في اتجاه العسكريتاريا بميزانية دفاعية ضخمة. وفولويل يدعو رجلاً عسكرياً ليخطب فينا. لقد كان أرينز في الواقع النجم الجذاب الذي قُدِّمَ إلينا نحن المسيحيين ولقد صفقنا له بحرارة وكاننا نصفق لمسيحي عسكري. ولقد تساءلت لماذا علينا نحن المسيحيين الذين تتبع المسيح المعذب أن نصفق للمسيح العسكري؟

لقد أجب أحد أعضاء الوفد قائلاً: إن جيرى فولويل يردد دائماً القول: (لأن الكتاب المقدس يقول إن الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله وإن الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله).

لقد زادني هذا الأمر إرباكاً فإذا كان الله يريد من الناس أن تتبع نهج ابنه، المسيح غير العسكري، وإذا كانت إسرائيل بتسلحها الشديد آتمة، فإنني لا أفهم لماذا يمكن لله أن يبارك الولايات المتحدة وأن يبارك المسيحيين في الولايات المتحدة الذين يساعدون ويشجعون الآثم.

إن إصراري على إثارة موضوع عدم اللقاء مع أي مسيحي سواء كان فلسطينياً أو غير فلسطيني من العاملين في الناصرة والقدس وبيت لحم، أفتع فولويل بتنظيم لقاء من هذا النوع. كنا في قاعة أحد الفنادق وكان فولويل يتحدث، وبسرعة قدم إلينا معمدانيا مواطناً في الأرض المقدسة. لم يقدمه لنا كمسيحي فلسطيني إنما

قدمه لنا كأحد رجال الله واسمه نعيم خورى، أبلغنا القس خورى أنه عاد من دراسة إنجيلية فى الولايات المتحدة قبل أربع سنوات وبدأ التبشير فى كنيسة الإنجيل المعمداني فى بيت لحم . وقال إنه بدأ بشخصين فقط من الأتباع وأن عددهم الآن أصبح مئتين . وقد تسنى لى أن أنفرد بالدكتور خورى وأسأله إذا كان أتباعه جميعهم من العرب . فأجاب بالإيجاب وسألته : هل يسمح له الإسرائيليون بالتحدث إلى اليهود عن المسيح؟ فقال لا . إن ذلك ممنوع . ثم سألته عما إذا كان يشاهد معاناة الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين تحت السيطرة الإسرائيلية ، فقال نعم . ولما سألته لماذا لا يجاهر ضد الاضطهاد؟ بقى صامتاً . إن هذا الفلسطينى هو الوحيد الذى سمح رسمياً لنا برؤيته وبالاستماع إليه من بين مئة ألف مسيحي يعيرون فى إسرائيل والأراضى المحتلة ولم يخبرنا إلا بالزر اليسير .

قال لى رئيس بلدية بيت لحم إلياس فريج إن أسلافه هم مسيحيون منذ ألفى سنة؛ وإنه يوجد فى الشرق الأوسط ١٤ مليون مسيحي . فى أحد الأيام كنت أتحدث مع القسيس جوزيف لونشتاين رئيس جامعة بيت لحم الدينية فسألته كيف يفيد الإسرائيليون من خلال تشجيع فولويل على تجاهل المواطنين المسيحيين؟ فأجاب :

(إن الهدف الأساسى للعسكرية الصهيونية هو السيطرة على قلوب وعقول المسيحيين الأمريكان ، فإذا استطاعوا إقناع المسيحيين الأمريكان بأن الشعب الفلسطينى غير موجود أو أنه غير مهم، عند ذلك سيوافق المسيحيون على كل ما يفعله الإسرائيليون . وأضاف : لأن تشديد القبضة الإسرائيلية على فلسطين يعنى أن المسنين المسيحيين سيبقون وسيموتون وأن الأحداث منهم الذين لا يستطيعون المغادرة سيضطرون إلى البقاء من دون أى مستقبل أمامهم . إن الصهيونيين يواصلون إقامة المستوطنات غير الشرعية على الأرض الفلسطينية . والفلسطينيون يخسرون باستمرار أراضيهم من دون أن يحرك أحد ساكناً . إننى لست مسروراً من السياسة الأمريكية التى تتوافق مع المصادرة الإسرائيلية . إننى أعتبر ذلك إبادة للشعب الفلسطينى من دون أفران . إن المسيحيين الذين يهاجرون أو الذين يموتون تحت هذا القمع هم أنفسهم المسيحيون الذين حافظوا باستمرار على شعلة الكنيسة الأم طوال التاريخ المسيحى . إنهم الآن يواجهون أعتى عمليات الإبادة منذ أيام المسيح . لو كان المسيح هو فولويل لوافق على كل ما هو خطأ ولما مات على الصليب إن فولويل يأتى إلى القدس حيث يوجد مسيحيون من حوله فى كل

مكان، ولكنه يرفض رؤيتهم. إنه يغمض عينيه وقلبه في وجه المسيحيين الذين عاشوا هنا منذ أيام المسيح. إنه يستخدم المعاناة لإرضاء الصهاينة. إن فولويل يؤثر أن ينقلب المسيحيون على تراثهم كأتباع للمسيح. فهل كان المسيح يغمض عينيه ولا يكثرث لمصير الأفراد المسيحيين كما يفعل جيري فولويل؟ وختم القس جوزف بقوله: (إننى أدعو كل المسيحيين للشهادة على معاناة الفلسطينيين).

وفى يوم آخر توجهت إلى المدينة القديمة فى القدس حيث كنت على موعد مع مسيحي آخر هو (جوناثان كتاب) الذى عاد من أميركا ليعيش فى فلسطين كمحام. لقد كان مسيحيًا بروتستينياً إنجيلياً سألته كمسيحي عاش فى أميركا كيف يفهم عقول وقلوب الحجاج الأميركيين الذين يأتون إلى أرض المسيح لزيارة المعالم الحجرية دون زيارة المسيحيين الذين يعيشون هنا؟

أجاب بالنسبة للإنجيليين الأصوليين مثل فولويل فإن الإيمان بإسرائيل يتقدم على تعاليم المسيح.

إن المسيحيين الصهاينة يفسدون تعاليم المسيح. إن صهيونية فولويل سياسة لا علاقة لها بالأخلاق أو القيم أو بمواجهة المشاكل الحقيقية. إنه يدعو أتباعه إلى تأييد إسرائيل. ويطلب من دافع الضرائب الأميركي أن يقدم لإسرائيل 5 بلايين دولار فى السنة. إنه يؤكد لأتباعه أنهم كمؤيدين للصهيونية فهم على الطريق الربح والناجح. وعندما يقول لهم ذلك فهم لا يكثرثون بعد ذلك لما يرون أو يسمعون من أى طرف آخر. ولأنه أشار على أتباعه بأن يضعوا الإيمان بإسرائيل فوق الإنسانية فإن القليل جداً من المجموعات المسيحية التى تأتى إلى هنا تبحث عن المنظمات المسيحية. إن المسيحيين فى مثل هذه الجولات يمارسون فولكلوراً دينياً بميثالوجية إسرائيل والنبوءة. إنها عقيدة تتجاهل المسيحية الإنجيلية. وأضاف كتاب قائلاً: (إن الأميركي العادى يجد ميثالوجيته جذابة جداً؛ فهى ليست متطلبة كما أنها ليست ديانة معقدة. إنها ديانة إسرائيل الصغيرة البالغة القوة. إنه يتقاطع بين السوبرمان وحرب النجوم. إنه إله ينتقل من هنا إلى هناك بسيف نارى يدمر كل الأعداء. إنه دليل لضعاف الإيمان بأن الإنجيل لا يزال صادقاً وحيًا بالنسبة إليهم. إن الأمر يبدو وكأن (يوشع) موجود فى أخبار الصحف اليومية.

إن المسيحيين مثل فولويل الذين يتمسكون بنظرية مبسطة تسمح لهم برؤية الأحجار دون الأشخاص، يزيدون المشكلة تعقيداً. إنهم يقدمون لإسرائيل موافقة على بطاقة بيضاء لكل أعتدتها العسكرية. إن مسيحيين كهؤلاء يشجعون

الإسرائيليين ليس فقط على رفض الاعتراف بالفلسطينيين، إنما على رفض الانسحاب من الضفة الغربية . وفي الواقع فإن مسيحيين مثل فولويل يوفرون للإسرائيليين الدافع للتوسع ولمصادرة المزيد من الأرض العربية ولاضطهاد مزيد من الشعوب لأنهم يدعون أن الله إلى جانبهم وأن العم سام راغب فى التوقيع على الفاتورة .

(إن الإسرائيليين يعرفون أن مسيحيين جيدين وأشداء مثل فولويل، يقفون معهم على طول الخط بصرف النظر عما يفعلون أخلاقياً ومعنوياً. ومهما بلغوا من القمع، فإن الإسرائيليين يعرفون أن الصهيونيين المسيحيين الأميركيين هم معهم وأنهم يرغبون فى إعطائهم الأسلحة وبلايين الدولارات وأنهم سيصوتون إلى جانبهم فى الأمم المتحدة).

وقال كتاب أيضاً إن فولويل يفضل عدم رؤية أو مقابلة المسيحيين فى أرض المسيح لأننا بمجرد وجودنا، نتدخل فى معتقله. فلو كان راغباً فى مقابلة مسيحيين لما كان بحاجة إلى أن يأتى لرؤيتنا، كنا نحن نذهب لزيارته. إننى وعددا لا يحصى من الفلسطينيين المسيحيين الآخرين، نرحب بأية فرصة لزيارة المسيحيين الذين يأتون إلى هنا والتحدث معهم.

إن قسمًا كبيراً من المسيحيين الفلسطينيين - ربما يصل عددهم إلى ٣٠ الفا - يواصلون العيش فى الجليل. وخلال جولتنا هناك التقت مجموعتنا بمسيحي معروف هو الاب (الياس شكور). إن أسلاف شكور هم من بيت مسيحي حافظ على شعلة الكنائس المسيحية مشتعلة منذ عهد المسيح نفسه.

بحث عن حياة فولويل

توجهت إلى مدينة لينشبورغ على بعد ١٥٠ ميلا من واشنطن لمقابلة الأستاذين الجامعيين الدكتور جيمس برايس والدكتور ويليام غودمان من اللجنة المسيحية . والأستاذان أجريا بحثًا عن حياة جيرى فولويل استغرق ١٥ سنة . كنت أرغب في أن أعرف متى بدأ فولويل تحالفه مع إسرائيل وكيف استعملت إسرائيل فولويل وعلى ماذا حصل فولويل بالمقابل . فى المطار استقبلنى الدكتور برايس وأشار إلى طائرة خاصة من نوع (ويندستريم) قال إن الإسرائيليين قدموها هدية إلى (فولويل) وإن ثمنها يتراوح بين ٢,٥ و ٣,٥ مليون دولار بالإضافة إلى نصف مليون دولار ثمن قطع الغيار ذلك أن فولويل يباهى بأنه يقطع فى الأسبوع بطائرته النفاثة ١٠ آلاف ميل داعيًا الناهيين لتأييد المرشحين الذين يفضلهم سياسيًا . أطلعنى غودمان وبريس على إمبراطورية فولويل بما فى ذلك منزله الريفى الذى أحاطه بسور كبير ويقوم على حراسته حراس مسلحون على مدى ٢٤ ساعة فى اليوم . وقال لى دكتور غودمان إن فولويل يسيطر على هذه المدينة باستثناء الكلية التى يدرس فيها (برايس وغودمان) أبلغنى الأستاذان أنهما علما من خلال بحثهما أنه قبل عام ١٩٦٧ كان فولويل ينادى بفصل السياسة عن التبشير . لم يكن يشير إلى إسرائيل المعاصرة اليوم على الإطلاق قبل عام ١٩٦٧ . ولتأكيد وجهة نظره هذه قدم إلى الدكتور برايس قصاصة من الورق تتضمن فقرات من خطاب لفولويل ألقاه فى عام ١٩٦٤ وجاء فيه :

(إن الإيمان بالكتاب المقدس كما أؤمن به يجعل التوقف عن التبشير مستحيلًا للقيام بأى عمل آخر بما فى ذلك محاربة الشيوعية أو المساهمة فى إصلاحات الحقوق المدنية . إن المبشرين مدعوون ليكونوا سياسيين بل عليهم العمل من أجل كسب الأتباع المؤمنين) .

ولكنه بعد الانتصار العسكرى لإسرائيل فى عام ١٩٦٧ ، تغير (فولويل) تمامًا . فقد دخل السياسة وأصبح من كبار مؤيدى الدولة الصهيونية . وكان سؤالى الطبيعى هو لماذا جعل الانتصار العسكرى لإسرائيل من فولويل صهيونيًا؟

أجاب الدكتور غودمان : (إن الانتصار المذهل لإسرائيل كان له تأثير ليس فقط على فولويل ولكن على العديد من الأميركيين . يجب أن نتذكر أنه فى عام ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة منغمسة فى حرب فيتنام . كان شعور الهزيمة والعجز يخيم على الكثيرين . كأمركيين كنا ندرك تمامًا تراجع سلطتنا ، وعدم قدرتنا على ممارسة دور الشرطى فى العالم أو حتى فى جوارنا . إن كثيراً من الأميركيين بمن فيهم فولويل توجهوا بمشاعر من العبادة نحو إسرائيل التى نظروا إليها قوة عسكرية بحيث إنها لا تقهر . لقد قدموا موافقتهم الكاملة لسيطرة إسرائيل على الأراضى العربية لأنهم وجدوا فى هذا الانتصار القوة والصواب . لقد أشاد مسيحيون مثل فولويل بالجنرال (موشى دايان) بسبب انتصاره على القوات العربية واعتبروه الإنسان المعجزة فى هذا العصر ، حتى إن البنتاغون دعاه لزيارة فيتنام «ليقول لنا كيف يمكن أن نربح تلك الحرب» . ومع أن تلك المهمة فشلت فقد بقيت النظرة إلى دايان وكأنه إله . لم يعط أحد أى فضل للولايات المتحدة لأنها زودت إسرائيل بالأسلحة وبالتكنولوجيا وببلايين الدولارات وحتى بالعناصر الأمريكية العسكرية التى ساعدت إسرائيل فى تلك الحرب . لقد ربحت إسرائيل لأن الولايات المتحدة كانت تؤيدها بلا حدود . ولكن فولويل نظر إلى الأمر بصورة مختلفة . لقد قال لم تكن هناك وسيلة ليربح الإسرائيليون لو لم يكن هناك تدخل من الله).

وقال الدكتور برايس : (بعد هزيمة التحالف العمالى وقيام كتلة الليكود اليمينية بدأ الإسرائيليون بقيادة مناحيم بيغن استعمال فولويل أكثر . فى عام ١٩٧٨ سافر فولويل إلى إسرائيل على نفقة إسرائيل . وحتى يظهر عن مدى امتنانه فقد غرس بعض الأشجار فيما يسمى الآن غابة فولويل . التقطت له صور وهو يجثو على ركبتيه .

وفى عام ١٩٧٩ دعاه الإسرائيليون لزيارة ثانية فى الوقت الذى كان بيغن يسرع الخطى لبناء مسوطنات يهودية غير شرعية فى أرجاء الضفة الغربية كان الهدف من دعوة فولويل أن يذهب إلى هناك ليعلن أن الله أعطى الضفة الغربية لليهود . وهناك ألقى فولويل خطاباً قال فيه : إن الله يحب أميركا لأن أميركا تحب اليهود ، وقال فولويل إن على المسيحيين الأميركيين أن يتدخلوا فى السياسة بطريقة تضمن استمرار بقاء أميركا صديقة لليهود أى للإسرائيليين . وأضاف فولويل إننى أؤمن بأننا إذا تقاعسنا عن حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين بالنسبة إلى الله .

ثم قال بعد ذلك الدكتور غودمان : إن فولويل (أصبح أول سياسى أميركى

مرموق يقول : إن على الولايات المتحدة حماية إسرائيل ليس فقط من أجل مصلحة إسرائيل ، ولكن من أجل المحافظة على أميركا نفسها. وبدأ يفاخر بأن الشعب اليهودى فى أميركا وإسرائيل وفى كل أنحاء العالم ليس له صديق أعز من (جيرى فولويل).

مع اقتراب انتخابات ١٩٨٠ ، ومع تسليط أضواء الصحافة الوطنية على منظمته المعروفة (باسم الأكثرية المعنوية) برز فولويل كشخصية إعلامية رئيسة ، غطى المراسلون الصهيونيون باهتمام وجهات نظره عن إسرائيل . لقد وجد فولويل مناسبات عديدة ليقول للأميركيين : إن قدر الأمة يتوقف على الاتجاه الذى يتخذونه من إسرائيل . وقال إذا لم يظهر الأميركيون رغبة جازمة فى تزويد إسرائيل بالمال والسلاح فإن أميركا سوف تخسر ذلك كله .

وسألت ماذا حصل فولويل بالإضافة إلى الطائفة النفاثة مقابل كل هذه العلاقات العامة التى يقوم بها لمصلحة إسرائيل؟ .

أجاب الدكتور برايس : (يجب أن يكون ريغان قد فكر ملياً كيف يعوض على فولويل . فقد قرر أن يقدم له ميدالية تحمل اسم «فلاديمير زيف جابوتنسكى الأيديولوجى الصهيونى اليميني » وأستاذ بيغن . . .

منح بيغن الميدالية إلى فولويل فى حفل عشاء كبير أقيم فى عام ١٩٨٠ فى نيويورك . فإذا فهما خلفية جابوتنسكى يمكن أن نفهم لماذا يتطلع رئيس إسرائيلى مثل بيغن إلى حليف مثل فولويل . إن لكليهما نفس الأهداف : إنهما يعشقان القوة ويبرران العنف من أجل تحقيقها).

كنت على ثقة بأن معظم الأميركيين لم يسمعوا عن جابوتنسكى . فلماذا يبدو مهما؟ أجاب الدكتور برايس : «إن جابوتنسكى يشكل مفتاحاً لفهم حقيقة أساسية وهى لماذا يحب إسرائيليون كثيرون مثل (بيغن) (وشارون) (وشامير) (وأرينز) فولويل ، ولماذا يريدونه كحليف ؟ وكذلك لماذا ينظر فولويل إلى أكثر قادة إسرائيل تطرفاً وعسكرية كأبطال؟ لقد شعر فولويل بالتشريف عندما منح جائزة جابوتنسكى لأن جابوتنسكى يقول : إن القوة يجب أن تكون هى هدفك ، وفولويل يفكر مثل جابوتنسكى .

دعا جابوتنسكى إلى عدم إخضاع اليهود فى فلسطين للقوانين الوضعية . وقال: إن كل من يؤمن بالعدالة هو غبى . يجب أن لا يثق أحد بجاره إنما عليه أن يتسلح حتى أسنانه . وعلى اليهود أن لا يساوموا الفلسطينيين العرب . وأصر على

قيام دولة يهودية صافية دون أى نقاش . ومن أجل ضمان مثل هذه الدولة دعا إلى العدوان المسلح» .

فى عام ١٩٢٣ أنشاء جابوتنسكى «بيتار» وهى منظمة للشبيبة المسلحة التى كانت تحت اليهودية على الهجرة إلى فلسطين . كذلك بنى ميليشيا «الهاغانا» التى انبثق منها الجيش الإسرائيلى ، وفى عام ١٩٢٥ أنشأ رسمياً الحركة التصحيحية داخل المنظمة الصهيونية العالمية . وطالب جابوتنسكى بمملكة إسرائيل على جانبي نهر الأردن ، وحث المنظمات الصهيونية على العمل عسكرياً ضد العرب وبدون أية مساومة .

«إن الإنجيلية العسكرية عند فولويل موازية لجابوتنسكى» . وقد شرح ذلك الدكتور غودمان قائلاً : إن فولويل يدعى «أن الكتاب المقدس لا يؤنب حامل السلاح» . إنه يحتقر مباحثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية ويقول : إن نسبة إنتاج الأسلحة فى أميركا منخفضة جداً واصفا إياها بأنها «تجريد من السلاح من جانب واحد» ومثل جابوتنسكى يقول فولويل «إن النيات السلمية هى أعمال غبية» .

إن فولويل هو الوحيد من بين «الجنتيال» ؟ الذى يحصل على ميدالية جابوتنسكى . الفرق الوحيد بين فلسفة جابوتنسكى وفولويل هو أن فولويل يتحدث عن المسيح . ولكنه يتحدث عن مسيح عسكرى . إنه نوع من مسيح جابوتنسكى . إن فولويل يحب إسرائيل ليس رغم عدوانيتها المسلحة ، ولكن لأنها عدوانية مسلحة . إنه معجب بإسرائيل لأن عندها جيشاً قوياً مستعداً . وقوة كبيرة ، وعدداً كبيراً من الدبابات والسلاح النووى .

تابع الدكتور غودمان : بعد أن وضع الإسرائيليون المدالية على صدر فولويل بدءوا استعماله بوثيرة أكبر . ففى عام ١٩٨٠ عندما قصف بيغن المفاعل قرب بغداد تخوف من رد فعل سبىء فى الولايات المتحدة . ومن أجل الحصول على الدعم لم يتصل بسيناتور يهودى أو بكاهن يهودى ، إنما اتصل بفولويل . كان بيغن قلقاً لأننا نحن الأميركيين زودنا إسرائيل بطائرات ف ١٦ وبالقنابل لاستعمالها فى حالة الدفاع عن النفس . واستعملها بيغن لتوجيه ضربة مبكرة . وهكذا طلب بيغن من فولويل قائلاً : «أذهب اعمل من أجلى» ووعده فولويل بأنه سيلبى . وقبل أن يعلق سماعه الهاتف قال فولويل لبيغن : «السيد رئيس الوزراء ، أريد أن أهنتك على المهمة التى جعلتنا فخورين جداً بإنتاج طائرات ف ١٦» .

وقال الدكتور جيمس برايس بعد ذلك : «إن أى عمل عسكري قامت أو ستقوم به إسرائيل ، تستطيع أن تعتمد فيه على دعم اليمين المسيحى» .

بعد أن قصفت إسرائيل سيادة الدولة العراقية امتدحت منظمة «الأكثرية المعنوية» الإسرائيليين «لعمليتهم العسكرية الرائعة» وقال الناطق باسمها : إن كسب الحرب هو عمل بالقاعدة الذهبية التى تقول : «إن الأمر لمن يملك الذهب» .

وتابع برايس يقول : حسب ما أعرف ، فإن هذه العبارة ليست مسيحية ولا هى ، أميركية ، إنه يعنى ان من يخسر الحرب لا تبقى له أية حقوق . هذا ما كان يقوله الرومان إلى الشعوب التى يغلبونها . ولكنها تختلف عن معاملتنا السخية لألمانيا ولليابان بعد الحرب العالمية الثانية؛ ذلك أنه رغم أننا ربحتنا الحرب لم ندع أن لنا الحق بأن نرسل مستوطنين لانتهاك الأراضي الألمانية واليابانية» .

وبالإضافة إلى استعمال فولويل فى استقطاب التأييد للضربة الإسرائيلية للعراق ، سألت هل استعمل الإسرائيليون فولويل بطرق أخرى؟ .

أجاب الدكتور غولدمان : «لقد أحسنوا استعماله خلال غزوهم للبنان فى عام ١٩٨٢ . فلم يكن عند فولويل غير الإطاراء للغزو . فقد توجه مع الناطق باسم «الأكثرية المعنوية» كال توماس لمقابلة الرائد حداد (سعد حداد) الألعبوة الإسرائيلية فى جنوب لبنان . ولما عاد إلى الولايات المتحدة ، قام بالدعاية لحكومة الليكود .

(عندما وقعت المجازر فى المخيمين الفلسطينيين عكس فولويل وجهة النظر الإسرائيلية بأن الإسرائيليين لم يكونوا متورطين . وحتى عندما كانت صحيفة نيويورك تايمز تقدم شهادات لشهود عيان عن الإشارات الضوئية الإسرائيلية التى كانت تطلق لمساعدة الكتائبين على دخول المخيم كان (فولويل) يقول : إن ذلك هو مجرد دعاية . ومن أجل تجنيد الدعم الوطنى للغزو الإسرائيلى دعما فولويل إلى لقاء حضرته إلى جانب أعضاء فى إدارة ريغان شخصيات عديدة من بينهم الرئيس الأسبق (ريتشارد نيكسون) . لقد التقت المجموعة فى مدينة (انابوليس) بولاية ميريلاوند مطلع شهر أغسطس ١٩٨٣ ومن بين الذين حضروا أيضاً وزير الداخلية جيمس وات ومستشار الأمن القومى ريتشارد الن ومدير مكتب المعلومات الأمريكى فرانك شكسبير والزعيم اليهودى البارز يهودا هلمن وقادة اليمين الحديد ريتشارد فيغورى وبول وايرخ وهوارد فيليبس وهم مؤسسو منظمة «الأكثرية المعنوية» . بعد الاجتماع قال فولويل : إن الجميع متفقون تماماً على دعم الغزو الإسرائيلى للبنان . أخبرنى الأستاذان برايس وغودمان اعتقادهما ان فولويل وغيره

من قادة الجناح اليميني المسيحي قدموا تأييدهم الجاهل إلى غزو عسكري مجنون كلف إسرائيل ٦٥٤ قتيلًا و ٣٨٤٠٠ جريحًا . إن العبء المترتب عن دفع مليوني دولار يوميًا لتمويل جيش الاحتلال الغازي دمر اقتصاد إسرائيل وأدى إلى نسبة من التضخم لا تصدق رفعت أسعار المواد الاستهلاكية إلى حوالى ألف بالمئة ودفعت بأعداد لا تحصى من الإسرائيليين لمغادرة الدولة اليهودية إلى دول أكثر استقرارًا وخاصة إلى الولايات المتحدة .

وفوق ذلك استخلص الأستاذان أن القصف الإسرائيلي للبيوت ومجازر ضبرا وشاتيلا أساءت إلى السمعة الدولية للدولة اليهودية بنسبة ما أساءت الحرب إلى اقتصادها .

فى عام ١٩٨٥ قمت برحلة منظمة ثانية إلى الأرض المقدسة وخلال هذه الجولة تعرفت أكثر لماذا يؤمن أكثر من ٤٠ مليون أصولى إنجيلى بأن الله يفضل اليهود على العرب .

تعرفت على زميل فى الرحلة وهو مواطن أميركى من ولاية جورجيا قال لى : إنه كان يتمنى لو ولد يهوديًا . فسألته إذا كان يعتقد أن غير اليهود هم بالضرورة أسوأ من اليهود لأن اليهود هم شعب الله المختار ؟ أجاب بالتأكيد مضيفًا قوله : «عندما خلق الله الكون أعطى بركته لليهود . من أجل ذلك فإن اليهود هم أفضل ويختلفون عن غير اليهود . إن الله أراد منذ أول الأمر أن يحصل اليهود على ملكية الأرض المقدسة ولقد حسم الله هذا الأمر ومنح كل هذه الأرض لليهود واستشهد على قوله بآيات من الإنجيل ولا سيما الإصحاح ١٨/١٥ الذى يقول (لقد منحت ذرياتكم هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات .

هناك تساؤل حول معنى (نهر مصر) ، ذلك أنه يوجد جدول الآن يعرف باسم وادى العريش وكان يعرف فى السابق باسم نهر مصر . غير أن زميلى الأمريكى يقول : إننى أعتقد أن نهر مصر ليس سوى النيل» . وإذا كان ذلك صحيحًا فإن أجزاء من مصر - أى سيناء وأراض أخرى تحت السيطرة المصرية - تقع ضمن العطاء الإلهى لإبراهيم . وأضاف يقول «إننى أعتقد أنه عمل آثم أمام الله أن يفكر مسئولون أميركيون بوضع أية عملية للسلام يمكن أن تنتزع قدمًا واحدًا من الأرض التى منحها الله إلى الشعب الذى يملك أقدم حقٍ بالملكية معروف للإنسانية .

وسألت ، إذا كان صحيحًا أن إله الكون أعطى حق الملكية لقلة ، ألا يُفسر ذلك بالخصوصية والأفضلية والتمييز؟ .

أجاب : (إن الله لم يعد بمنح الأرض إلى غير اليهود أى العرب). وسألته أيضاً إذا كان يعتقد أن الكيان السياسى الخالى الذى يدعى إسرائيل والذى أنشئ بعد مجزرة النازية الألمانية - هو نفسه الكيان القديم الذى نقرأ عنه فى الكتاب المقدس؟ فأجاب بالإيجاب وقال : إن الأمة العبرية قامت قبل ٣٠٠٠ سنة أو أكثر والدولة العبرية التى خلقت فى عام ١٩٤٨ هما نفس الشيء . إن الإنجيل يقول : إن إسرائيل سوف تقوم من جديد وهذا ما حدث . إن ذلك يقنعنى أن الإنجيل صحيح .

وعدت بالسؤال أيضاً هل إن الناس الذين قدموا أخيراً إلى فلسطين من أوروبا - مثل منحيم بيغن الذى جاء من بولندا وتحولوا ما بين التى جاءت من الولايات المتحدة. هل إنهم نفس الشكل من الساميين الذين عاشوا فى فلسطين قبل ٣٠٠٠ سنة ! أليس هؤلاء الساميون هم شريقيون! .

أجابنى إن اليهود هم شعب من عرق واحد ، فقلت إن يهودياً يعيش فى اليمن يمكن أن يعتبر شرقياً ، وإن يهودياً يعيش فى فرنسا يمكن أن يعتبر قوقازياً ، بينما الفلاشة اليهودى الأثيوبى يعتبر زنجياً .

فرد قائلاً : لا ، إن جميع اليهود هم من عرق واحد وكانوا كذلك منذ أيام إبراهيم .

وأكد على أن العالم يتألف من عنصرين فقط من الشعوب هما اليهود وغير اليهود . وأن عين الله هى دائماً على شعبه اليهودى .

وقال لى أيضاً : إن فلسطين هى الأرض التى اختارها الله لشعبه المختار . وإننى لو كنت يهودياً لكان لى الحق فى أرض فلسطين ، مثل بن غوريون ، وبيغن وشامير ، وغولدا مائير ، وبوبى براون وغيرهم من المهاجرين . فبموجب قانون العودة اليهودى فإن أى مهاجر يهودى (من أم يهودية) أو تحول إلى اليهودية يمنح الجنسية .

وسألته عما إذا كان يؤثر التحول إلى اليهودية . فأجاب بالنفى مؤكداً على أن من واجبات المسيحيين مباركة اليهودية ودعمهم فى كل ما يتطلعون إليه والوقوف إلى جانبهم . وقال :

«لقد كانت إسرائيل على حق فى غزو لبنان . فإذا صادروا أراضى عربية فإن لديهم الحق الإلهى فى أن يفعلوا ذلك ، وكان يجب أن يأخذوا أكثر» .

وسألته هل الكتاب المقدس يقول : إن الله أراد من إسرائيل أن تغزو لبنان وفي الوقت المحدد الذي قامت فيه بعملية الغزو؟ فرد بالإيجاب .

وقال : إن الغزو كان جزءاً من الرؤيا . إن الفلسطينيين الذين قاتلوا الإسرائيليين والذين هم جزء من منظمة التحرير الفلسطينية ، استعملوا أسلحة قدمها لهم الاتحاد السوفياتي ، وهكذا فإن الحرب كانت حرب الاتحاد السوفياتي بالواسطة حيث إن منظمة التحرير كانت تقاتل في مكان الروس . وهكذا فإن هزيمة منظمة التحرير كانت هزيمة للروس» .

وأضاف يقول : إن الكتاب المقدس يبين لنا أيضاً أن علينا أن نتوقع هجوماً يشنه على إسرائيل الروس واتحاد القادة العرب . إننا على ثقة من أن هذا الهجوم قادم لأن كتابي دانييل وحزقيال تنبأ به .

وقال كذلك : «إننا نؤمن أن التاريخ يطوى الآن مرحلته السابعة وهي مرحلة الذروة : إقامة مملكة المسيح ، حيث يحكم المسيح من القدس لألف سنة . إن كل اليهود سيتحولون إلى المسيحية وسوف يساهمون في مملكته الألفية ، مملكة حقيقية على الأرض تكون القدس مركزها الرئيسي .

وسألته عن أسماء الأحداث التي يجب أن تسبق المرحلة السابعة ، فأجاب :
«أولاً : عودة اليهود إلى أرض فلسطين .
ثانياً : إقامة دولة يهودية .

إن خلق إسرائيل جديدة مع عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها ، يعطينا دليلاً لا يناقش على أن خطة الله المباركة هي موضع التنفيذ ، وأن العودة الثانية لمخلصنا قد تأكدت . وبالنسبة إلى أن خلق دولة إسرائيل هو أهم حدث في التاريخ المعاصر . فإنها تمثل الخطوة الأولى نحو بداية نهاية الزمن» .

«لقد أعطانا الله إشارة في عام ١٩٦٧ عندما منح النصر لإسرائيل على العرب ومكّن اليهود من أخذ الأرض التوراتية يهودا والسامرة والسيطرة العسكرية على مدينة القدس . فلأول مرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة أصبحت القدس تحت سيطرة اليهود . وقد أثارني ذلك لأنه جدد إيماني بقوة وبمصداقية الكتاب المقدس .

ثالثاً : التبشير باللاهوت لجميع الأمم بما في ذلك إسرائيل . فمن خلال الموجات القصيرة لأجهزة الراديو والتلفزة نشرت رسالة المسيح حول العالم .

ولدينا الآن ٤٠ بعثة إنجيلية خارجية حول العالم . لقد وصلت الدعوة إلى جميع الأمم.

رابعاً : صعود الكنيسة ، وأنا أتوقع ذلك فى أى وقت .

خامساً: وقوع الفتنة حيث تحدث معاناة كبيرة . وسيعانى كل أولئك الذين لم يؤمنوا من عذاب شديد ، وسيخوضون الحروب - بقيادة أعداء المسيح .

سادساً: وقوع معركة هَرَمَجَدُون.

إننى مع كونى سعيداً لعودة اليهود إلى فلسطين ولقيام إسرائيل ، فإننى أشعر أن اليهود لم ينجزوا مهمتهم تماماً . إن على اليهود اليوم استرجاع كل الأرض التى أعطاه الله للعبرانيين . أى أن على اليهود أن يملكوا كل الأرض التى منحهم الله قبل عودة المسيح . إن على العرب مغادرة هذه الأرض لأن هذه الأرض تنخص اليهود . الله أعطى كل هذه الأرض لليهود.

زيارة الجبل المقدس

خلال الجولة التي قمت بها إلى الأرض المقدسة في عام ١٩٨٥، زرت مع مجموعة من الحجاج مدينة القدس. وصلنا إلى الحرم الشريف الذي يضم قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وهما يمثلان أكثر الصروح الإسلامية قدسية في القدس. وقفنا أمام المسجد مواجهين الحائط الغربي، وهو جدار من الحجارة البيضاء عرضه ٢٠٠ قدم وطوله ١٢٠٠ قدم، ويعتقد أنه الأثر الوحيد المتبقى من الهيكل اليهودي الثاني.

قال لنا الدليل وهو يشير إلى قبة الصخرة وإلى المسجد الأقصى: هناك سنبنى الهيكل الثالث. لقد أعددنا جميع الخطط لبناء الهيكل. حتى إن مواد البناء أصبحت جاهزة. إنها محفوظة في مكان سرى. هناك معامل عديدة يعمل فيها الإسرائيليون لإنتاج التحف الفنية التي سنستعملها في الهيكل الجديد. إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشًا من الحرير الخالص لاستعماله في صناعة أثواب الحاخامين في الهيكل.

وفي مدرسة دينية تدعى «ياشيف اتيريت كوهانيم» - أي تاج الحاخامين - وتقع بالغرب من هذا المكان، فإن رجال الدين يدرسون الآن كيف يقدمون التضحية بالحيوان.

سألت سيدة من مجموعتنا اختصاصها (الكمبيوتر): هل سيعودون إلى التضحية بالحيوان كما كان الأمر في أيام سليمان؟ ولماذا؟. فأجاب الدليل الإسرائيلي: «لقد فعلنا ذلك في الهيكلين الأول والثاني. ولا نرغب في تغيير العبادات. إن رهباننا يعلمون أن إغفال دراسة تفاصيل خدمة الهيكل هو إثم».

ولما غادرنا المكان تحدثت مع زميل لي في المجموعة حول ما قاله الدليل من أن هيكلا سيقام مكان قبة الصخرة دون أن يذكر شيئًا عن مصير الصروح الإسلامية. فأجابني: سوف يدمرون هذه الصروح.

إن الإنجيل يقول : إنه يجب إعادة بناء الهيكل . ولا يوجد مكان آخر لذلك سوى هذا المكان . إنه مذكور في قوانين موسى .

وسألت ألا يبدو معقولاً أن النص حول بناء هيكل يتعلق بالوقت الذي كتب فيه النص وليس بأحداث في القرن العشرين؟ . فأجابني بالنفي مؤكداً أن الأمر سيغلق بنهاية الزمن . إن الكتاب المقدس يخبرنا أنه «في نهاية الزمن يجدد اليهود التضحية بالحيوان» . وقال إن إعادة بناء الهيكل ستمكن اليهود من استئناف التضحية بالحيوان» . ثم استشهد بحزقيال ٤٤ / ٢٩ ليثبت هذه النقطة . وسألته عما إذا كان مقتنعاً بأن على اليهود بمساعدة المسيحيين تهديم المسجد لبناء هيكل والتضحية بالحيوان من أجل إرضاء الله؟ فأجاب : إن هذا ما يجب عمله . إنه في الكتاب المقدس . إن توقيت إعادة البناء سيشكل الخطوة التالية في الأحداث المؤدية إلى عودة الرب . إن الكتاب المقدس لا يقول لنا كم يجب أن يكون حجم الهيكل ، إن كل ما يخبرنا به هو أنه سيكون هنا تجديد في التضحية . وهذا يتطلب نسبيًا بناء صغيراً . لقد مارس اليهود طقوس التضحية ، حتى عام ٧٠ بعد الميلاد . وعندما يكون لهم هيكل سيتولى ذلك اليهود الأرثوذكس الذين سيدبحون الأغنام والثيران في المعبد ويقدمونها قرابين لله .

تركت المجموعة تتسوق من المحلات التجارية وتوجهت وحيدة إلى الحرم الشريف . كان ذلك يوم جمعة . وكما أن باريس كانت لآلاف السنين فرنسية ، كذلك فإن القدس كانت طوال تاريخها عربية . لقد جاء العموريون إلى المدينة المقدسة قبل ٤ أو ٥ آلاف سنة . ثم جاء الكنعانيون من كنعان وذلك قبل وصول العبرانيين بعدة قرون . وعندما وصلت قبيلة العبرانيين وهي واحدة من عدة قبائل كانت موجودة في المنطقة ، أقاموا فيها أقل من ٤٠٠ سنة . وهم كغيرهم من الذين سبقوهم ولحقوا بهم منوا بالهزيمة . وأبعدوا عنها قبل ٢٠٠٠ سنة . إن ما نسميه نحن في كتب التاريخ في الغرب ، بأنه الشرق ، سيبقى كذلك .

إن مساحة الحرم الشريف تبلغ ٤٠ (أكر) ويغطي سدس المدينة القديمة . ولمدة ١٣ قرناً ، منذ القرن السابع حتى اليوم وبلا انقطاع ، - باستثناء ٨٨ سنة من فترة الصليبيين المسيحيين - حافظ المسلمون على - المكان المقدس - القدس ؛ وحكموه من خلال المجلس الإسلامي الأعلى وذراعته التي تدعى الأوقاف الإسلامية ، والتي تدير ليس فقط الحرم الشريف ، وإنما تدير كذلك ٣٥ مسجداً آخر ، وعدة مقابر وغيرها من المواقع الإسلامية المقدسة داخل المدينة القديمة .

في عام ١٩٦٧ سيطر الإسرائيليون عسكرياً على المدينة القديمة . وبسبب

حاجتهم إلى مساحة كبيرة تجاه حائط المبكى ، أزالوا بألياتهم الحى المغربى - الذى سمي كذلك نسبة إلى منطقة بـ شمال إفريقيا - مما أدى إلى تشريد ما بين ٥ و ٦ آلاف شخص كانوا يعيشون فى هذا الحى . إن إزالة البيوت والمدارس والمساجد فى المنطقة أثار اهتمام مدرسة التنقيب عن الآثار وهى مدرسة إنكليزية فى القدس . وخوفاً على سلامة الصروح الإسلامية الرئيسة حول الحرم الشريف ، أجرت المدرسة دراسة عن الفن المعمارى الإسلامى منذ ١٣٠٠ سنة ، وركزت على الصروح التى يجب أن تحفظ .

وتبين دراسة المدرسة الإنكليزية أن هناك ٣٠ صرحاً إسلامياً فى المدينة القديمة من عهود الأمويين والعباسيين والأيوبيين ، و ٧٩ صرحاً من العهد المملوكى و ٣٧ بناء من العهد العثمانى . وتتحمل سلطات الأوقاف مسئولية معظم هذه المبانى التى تحدد معالم المدينة القديمة وأجواءها . وهى لذلك على درجة كبيرة من الأهمية فى تحديد معالم شخصيتها .

لقد زرت قبة الصخرة وهى واحدة من أجمل الصروح فى العالم - والثى تقارن غالباً بجمال تاج محل - . لقد تم بناؤها فى عام ٦٨٥ بأمر من عبد الملك ابن مروان ، الخليفة الأموى فى دمشق .

إن هذا البناء الذى هو الأجل فى القدس تم تشييده لسبب وحيد وهو حماية الصخرة الضخمة . إننى أنظر إليها فلا أجد سوى مادة معدنية . غير أن المسلمين ينظرون إلى الصخرة فيرون فيها الخلود ، الحجر الأساس للكون مركز العالم ، وأساس عقيدتهم .

كان النبى محمد يعتقد أن أصول الصخرة الضخمة فى الجنة . واليوم يؤمن ٨٠٠ مليون مسلم أن الله أسرى بالنبى محمد من فوق هذه الصخرة إلى السماء .

بعد زيارة الحرم الشريف تملكنى الخوف من أنه إذا شن اليهود المتعصبون بمؤازرة المسيحيين المتعصبين حرباً مقدسة ، أو جهاداً ضد المسلمين ، وإذا أقدموا على تدمير أكثر الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس ، فإنهم قد يتسببون فى حرب عالمية ثالثة ومجزرة نووية .

وطالما سألت نفسى هل تجاهل مشاعر المسلمين يمثل الأصولية المسيحية؟ وهل قادة الأصولية المسيحية الإنجيلية لا يدركون ولا يكثرثون وحتى يحتقروا مشاعر حوالى مليار مسلم فى ٦٠ دولة حول العالم؟ .

لقد بنى العبرانيون هيكلهم الأول فى القدس عام ٩٥٠ قبل المسيح . وقد دمر

هذا الهيكل فى عام ٦-٥٨٧ قبل المسيح على يد البابليين . ثم بنوا الهيكل الثانى فى عام ٥١٥ قبل المسيح ودمر هذا الهيكل فى عام ٧٠ بعد المسيح على يد الرومان. إن علماء الآثار لم يجدوا أى أثر يشير إلى أين كان يقع الهيكل الأول أو الثانى، غير أن الكثيرين يعتقدون أنهما شيئا فى الموقع الذى تقوم عليه أكثر الأماكن الإسلامية قدسية .

على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد فى النفس ، فإن الأصوليين المسيحيين يصرون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحى، إنه يريد معبداً حقيقياً من الأسمنت والحجارة يقام تماماً فى الموقع الذى توجد فيه الصروح الإسلامية .

قال زميل لى فى الجولة تعليقاً على ذلك: إننى أعتقد أن الإرهابيين اليهود سوف ينفون الأماكن الإسلامية المقدسة . وأن ذلك سوف يتسبب فى إثارة العالم الإسلامى ودفعه لشن حرب مقدسة ضد إسرائيل مما يحمل المسيح على التدخل . إن اليهود يعتقدون أن المسيح سوف يأتى للمرة الأولى . وعند المسيحيين نعرف أن عودته ستكون الثانية . إننى واثق من أنه سيكون هناك هيكل يهودى ثالث . هذا ما يردده هول ليدنسى فى كتابه: «آخر أعظم كرة أرضية» فهو يقول :-

«لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل فى المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية . وهو إعادة بناء الهيكل القديم فى موقعه القديم . ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى فى جبل موريا حيث شيئا الهيكلان السابقان .

التحريض على الحرب المقدّسة

تحدّثت في واشنطن إلى ريزنهوفر الذى يتّراس منظمة تدعى «مؤسسة معبد القدس» التى أنشأها مع عدد آخر من الأميركيين لمساعدة الإرهابيين اليهود على تدمير الأماكن الإسلامية المقدّسة. يعيش ريزنهوفر في كاليفورنيا حيث يتّراس شركة ألسكا للعقارات وشركة «بيوت الحزام الشمسى». أنشأ ريزنهوفر كذلك شركة للتنقيب عن النّفط تعمل فى الجزء المحتل من فلسطين الذى يدعى الضفّة الغربيّة. إن ريزنهوفر مسيحي سبق له أن قدّم فى البيت الأبيض أمام تجمّع من الجناح اليميني المسيحي أغاني شاركه فى تقديمها شونى برون، وهو شريكه أيضاً فى مخططات شراء الأراضى الفلسطينيّة فى الضفّة الغربيّة. إن برون أحد النّاجين من معسكر الاعتقال فى أوشويتس وهو الآن مواطن يحمل الجنسيّتين الأمريكيّة والإسرائيليّة.

يعتبر ريزنهوفر نفسه «نهيميا جديدا». إن نهيميا التوراتى تفرّغ لإعادة بناء القدس. ويعتقد ريزنهوفر أنه مدعوّ لإعادة بناء الهيكل على الرّغم من أنه من العامّة (جنتيل) وعلى الرّغم من أن معظم اليهود والمسيحيّين والمسلمين لا يوافقون على برنامجه وعلى تكتيكه.

من أجل أن ينقل إلى إسرائيل الدّولارات المعفيّة من الضّرائب التى يجمعها من الأغنياء الأميركيين ساعد ريزنهوفر فى تنظيم وفى تزعم مؤسسة التّعاون اليهودى المسيحي فى أميركا. ويعاونه فيها دوغلاس كريفر كمدير تنفيذى والحاخام الأميركي دافيد بن أمى وهو مقرّب من آريال شارون كرئيس.

بالإضافة إلى ذلك فإن ريزنهوفر عمل كرئيس مجلس إدارة مؤسسة هيكل القدس واختار سكرتيراً دولياً له ستانلى غولد فوت الذى يعتبر إرهابياً إن غولد فوت الذى هاجر إلى فلسطين من جنوب إفريقيا فى عام ١٩٣٠ أصبح عضواً بارزاً فى عصابة شترن.

لقد هزّت هذه العصابة العالم بالمجازر التى ارتكبتها ضدّ العرب من الرّجال

والنساء والأطفال ، حتى إن شخصيات مثل دافيد بن غوريون نددت بالعصاة ووصفتها بالنازية واعتبرتها خارجة على القانون .

استناداً إلى صحيفة دافار الإسرائيلية فإنّ غولد فوت هو الذى وضع القبلة التى دمّرت جناحاً فى فندق الملك داوود فى القدس، فى ٢٢ يوليو ١٩٤٦ . وكانت تقيم فى الفندق السكرتيرية العامة لهيئة الانتداب البريطانى ، كما كان ينزل فيه عدد من ضباط الأركان العسكرية العامة . لقد أسفرت تلك العملية عن مقتل حوالى ١٠٠ بريطانى ومسؤولين آخرين، وكما خطّط الصهيوّنيون فقد أدى ذلك إلى تسريع الانسحاب البريطانى من فلسطين .

على الرّغم من أنّ ستانلى غولد فوت الذى هو واحدٌ من الإسرائيليين الأشدّ تصميمًا على بناء الهيكل ، لا يؤمن بالله وبال مقدّسات المذكورة فى العهد القديم فإنّه مع حلفائه يبرر خطّته العسكرية للسيطرة على الحرم الشّريف باستعمال النصوص التّوراتية . إنّهم يقولون : إن الله منح الأرض المقدّسة لإبراهيم وابنه يعقوب وليس لإسماعيل الابن الآخر لإبراهيم .

ويفسّر ذلك إسرائيل ميّدا عضو المنظمة اليمينية المتطرّفة فى حزب تحيا فيقول : «إنّ كلّ ما فى الأمر هو السيادة . إنّ من يسيطر على جبل المعبّد يسيطر على القدس . وإنّ من يسيطر على القدس يسيطر على أرض إسرائيل . إنّ هذه الأرض هى أرض إسرائيل وليست أرض إسماعيل . وإذا لم ينجح العسكريّون اليهود فى طرد العرب من الحرم الشّريف خلال هذا الجليل ، فإنّ ذلك سيحدث فى الجليل القادم . لقد اشترى الملك داوود جبل المعبّد وسدّد ثمنه ونحن نملك «كوشان» أى شهادة ملكية وهى «الكتاب المقدّس» . خلال زيارتى للقدس حاولت أن أتعرّف أكثر على مؤسّسة «معبّد القدس» من جورج جياكو ماكيس الذى يتّراس منذ عدّة سنوات معهد دراسات الأرض المقدّسة وهو مدرسة أنشأها ويديرها الإنجيليون الأميركيّون لإجراء دراسات أركيولوجية ونظرية .

أبلغنى جياكو ماكيس وهو أميركى من أصل يونانى ، أنّ ستانلى غولد فوت يعمل على إعادة بناء الهيكل . وأنّه إذا تطلّب ذلك العنف فلن يتردّد باستعماله . لقد زار غولد فوت بتمويل من ريزنهوفر الولايات المتّحدة عدّة مرّات حيث تحدّث عبر أجهزة الرّاديو والتلفزة الديّية وفى الكنائس البيروتستنتية داعياً المسيحيّين لتقديم العطاءات والتبرّعات لبناء الهيكل دون أن يذكر أنّ ذلك يتطلّب تدمير مسجدين فى نفس المكان .

يعترف غولد فوت أنه حصل على أموال من «السفارة المسيحية السدولية» يعتقد الكثيرون أن تمويلها يأتي من جنوب إفريقيا. وعندما سئل الناطق باسم «السفارة» جان وليم فان درهوفن عن ذلك نفى أن تكون السفارة متورطة بشكل مباشر فى جهود إعادة بناء الهيكل. ولكنه قال عندما يتطوع المؤيدون للتبرع من أجل بناء الهيكل فإنه يوجههم إلى غولد فوت. مع ذلك فقد أعدت السفارة شريطاً تباع النسخة منه بخمسة دولارات يتضمن رسالة مسجلة حول خطط إعادة بناء الهيكل فى مكان الحرم الشريف. وأحد المتحدثين فى هذا الشريط هو فان درهوفن نفسه.

فى واشنطن التقيت بالقس جيمس ديلوخ راعى الكنيسة المعمدانية الثانية فى هيوستن ، وقد أعطانى اسمه وعنوانه تيرى ريزنهوفر وغولد فوت فسألته : إن غولد فوت يريد أن يدمر المسجد أليس كذلك ؟. فأجاب : «فى الواقع إن كل يهودى ممن أعرف يريد أن يرى المسجد وقد أزيل. ولكنهم أخبرونى أنهم يعتقدون أن المسجد سوف يدمر بأمر من الله . بهزة أرضية أو بشيء آخر ، بحيث إنهم لن يقوموا هم باى عمل». وسألته : ولماذا يعمل وهو المسيحى من أجل بناء هيكل يهودى ؟ فيجيب : اهتمامى فى مؤسسة هيكل القدس ليس اهتماماً بالمعبد فى الدرجة الأولى . إن اهتمامى الأساسى هو الحرية الدينية . إن ما يقلقنى أكثر من أى شىء آخر أنه فى أرض إسرائيل أكثر الأماكن قدسية لدى المسيحيين واليهود والمسلمين يوجد جبل الهيكل ، والمسلمون يمنعون المسيحيين باستمرار من أداء صلواتهم . على هذا التل فى المكان الذى ولد فيه المسيح . نحن الذين نؤمن بالحرية المسيحية ، وهذا يعنى أننا نؤمن بالحرية الدينية. ومن ثم فإن من حق أى إنسان متدين أن يمارس طقوس ديانته بحماية كاملة من القانون. أى إنسان ، سواء كان مسيحياً إنجيلياً ، أو يهودياً ، أو كاثوليكياً ، أو مسلماً . غير أنه فى القدس ، أحد أقدس المناطق ، فإنه ممنوع على المسيحيين الصلاة . وباستثناء الحرية الدينية ليس لى اهتمام آخر فى المعبد . . أما عن ريزنهوفر فإننى لا أعرف تماماً نيته وحقيقة إيمانه .

رغم أن ريزنهوفر مسئول عن مشروع الدعم الذى يصل إلى مائة مليون دولار فى السنة ، فهل يعقل أن يكون ديلوخ جاهلاً نيته وحقيقة إيمانه؟ . . . يجب ديلوخ :

«إن الله أعطى تيرى نعمة القدرة على جمع الأموال. وهو كريم فى تقديم الهدايا . وكمثال على كرمه فإن ريزنهوفر جمع أموالاً كبيرة للمحامين الذى رافعوا

عن ٢٩ مسلحًا إسرائيليًا قصفوا المسجد الأقصى في عام ١٩٨٤ . وقد تمكن المحامون من تبرئتهم وإطلاق سراحهم بعد اعتقالهم ومحاكمتهم . لقد كلفنا تحرير هؤلاء مبالغ طائلة من الأموال .

وأبلغني ديلوخ كذلك أن جماعة ريزنهوفر يقدمون الدعم إلى معهد ميشيفا الذى يعد الكهنة للخدمة فى المعبد الذى يأملون فى بنائه . إن ٢٥ طالبًا من طلاب يشيفا يخصصون ساعة فى كل يوم وبعد ظهر كل يوم من كل أسبوع ، للتركيز على دراسة أنظمة العبادة فى الهيكل . ويقوم ثلاثة معلمين بتدريس الطلاب كيف يحرقون البخور وكيف يلتزمون بقوانين الطقوس الدينية فى الهيكل بما فى ذلك كيفية تقديم القرابين الحيوانية .

وسألت أخيراً ديلوخ، ماذا إذا نجح الإرهابيون اليهود الذين يؤيدهم فى تدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى وأشعلوا فتيل حرب عالمية ثالثة وإبادة نووية ، ألا يكون مع ريزنهوفر مسئولين؟ .

فأجاب بالنفى . وقال : لأن ما يقومون به هو إرادة الله .

مارس الصهاينة الوطنيون ضغوطاً متواصلة على الحكومات الإسرائيلية من أجل بسط سيطرتها على الحرم الشريف . إن البرلمان الإسرائيلى شأنه شأن مجلس القضاء الأعلى، خوفاً من أن يؤدي تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة إلى حرب عالمية ثالثة، يقول إن القرار لا يقع فى إطار سلطاته إنما يقع فى إطار - هالاشا - أو القانون الدينى .

وينص قانون هالاشا بوضوح على أنه لا يسمح لأى يهودى بدخول الجبل المقدس إلى أن يأتى المسيح اليهودى . هكذا قضى الحاخام والفيلسوف ميمون الذى عاش فى اسبانيا فى القرن الثانى عشر، وكذلك كبير الحاخامين إبراهيم إسحق حاكوهن كوك . ومع أن معظم اليهود الأرثوذكس يلتزمون بهذا الحظر، فإن كثيرين آخرين من اليهود الأرثوذكس والعلمانيين لا يلتزمون به .

منذ عام ١٩٦٧ - عام السيطرة العسكرية الإسرائيلية على القدس، فإن الوطنيون اليهود، والكثير منهم حاخامات إسرائيل، ومن الموظفين والجنود والطلاب الدينيين قصفوا أكثر من مائة مرة المواقع الإسلامية . إن حاخام القوات المسلحة شلومو غورن (الذى أصبح فيما بعد أكبر الحاخامين فى إسرائيل) كان فى مقدمة الذين عصوا حظر هالاشا الذى حذف قبل عدة قرون . ففى أغسطس

١٩٦٧ ، قاد خمسين متطرفًا مسلحًا إلى الموقع من أجل - كما ادعى - إقامة قداس ديني .

إن عمليات الهجوم التي تعرض لها الحرم الشريف كان يقودها كهنة مسلحون . ويقول الحاخام شلومو آمين : «يجب ألا ننسى أن السبب الرئيسي للعودة من المهاجر ولإقامة دولتنا هو بناء الهيكل . إن الهيكل هو قمة الهرم» .

طوال العقدين الماضيين (١٩٦٧ - ١٩٨٦) فإن جميع عمليات التخريب التي تعرض لها المسجد على أيدي اليهود المسلحين ، لم تتعرض للإدانة من قبل كبير الحاخامين السفريين أو الإشكناز .

ويقول صحفى إسرائيلي: إن كبار الحاخامين الذين يتلقون روايتهم من الدولة ، لم يدينوا أبدًا العنف وهذا دليل على أن الأمر ليس فظيعةً .

منذ عدة سنوات أبدت السلطات الإسلامية مخاوفها من أن تؤدي أعمال اليهود المسلحين والحفريات التي تجرى تحت المسجد ، إلى تدمير هذه الأماكن المقدسة ، ولقد تحدث الشيخ محمد شقرا مدير المسجد الأقصى في مؤتمر صحفى فى عام ١٩٨٣ فقال: إن الحفريات الأثرية الإسرائيلية تحت المسجد لم تسفر إلا عن إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية . ولم يجد الإسرائيليون أية أدلة تؤكد أن معبدًا أقيم فى أى وقت فى هذا المكان .

منذ مطلع السبعينات ووزارة الشؤون الدينية الإسرائيلية تقوم بحفر نفق على طول الحرم، وتحت عدد من الأبنية التاريخية . وهدفها هو العثور على أدلة بأن الهيكل الثانى شيد فى هذا الموقع . واستنادًا إلى عدنان الحسينى المسئول عن الممتلكات الإسلامية ، فإن النفق الآن يمتد ألف قدم (أكثر من طول ثلاثة ملاعب لكرة القدم) . ومن وجهة نظر هندسية فإن النفق لم يشق بصورة علمية . إن خمسة مبان بما فيها عدة مدارس ومكاتب تابعة للسلطات الإسلامية تواجه الآن مشاكل نتيجة التصدع . ويزداد هذا التصدع مع التقدم فى شق النفق .

أجريت فى القدس مقابلة مع عالم الآثار الأمريكى غوردن فرانز - من نيوجرسى - الذى أمضى عامين فى أعمال الحفريات مقيمًا فى (معهد الأرض المقدسة « فى القدس . عندما زرته فى غربى القدس كان برفقته مجسم للقدس القديمة فى عهد المسيح ، أو كما يقول : الإسرائيليون فى عهد الهيكل الثانى . وفيما كنا نتفرج على المجسم الذى يحتل مساحة غرفة كبيرة ، سألته : هل هناك أية دلائل على أن الهيكل كان قائمًا حيث يضعه المصمم فى هذا المجسم ؟ أى فى الموقع الذى يقع فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة؟ .

أجابني : «لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك أو أنه لم يكن هناك . إن بعض الناس يعتقد أنه كان هناك .

وسألته : هل يعنى بذلك «ايغى يوناه» اليهودى الإسرائيلى الذى صمم المجسم؟ فرد قائلاً :

«هناك عدة نظريات حول الهيكل . كثيرون يقولون : إنه يقع حيث تقع قبة الصخرة اليوم . ولذلك يقول الصهيونيون يجب إزالة المسجد . ويقولون : إن إرادة الله ، مثل هزة أرضية سوف تدمره ، أو إن شخصاً ما سوف يقوم بنسفه بالديناميت . إن كبير الحاخامين الإشكناز الحاخام غوردن يعتقد أن الهيكل كان يقع إلى الشمال قليلاً من قبة الصخرة . وثمة نظرية ثالثة تقول : إن الهيكل كان يقع على الجانب الشمالى من الساحة . وهم يعتقدون أن قدس الأقداس يقع قرب قبة الروح القدس . والرأى الرابع أن الهيكل قد سبق أن تم بناؤه ، على شكل كنيس ضخم فى شارع جورج الخامس فى غرب القدس . والذين يتمسكون بهذه النظرية يستشهدون بقول إسحق ، عندما سئل أين بيتى؟ ويفسرون هذا النص بأنه يعنى أن الهيكل لم يكن فوق الأرض الإسلامية اليوم ، ولكنه كان فى مكان آخر» .

وعدت إلى السؤال : أين كان موقع الهيكل قبل ٢٠٠٠ سنة كما تعتقد؟ فرد قائلاً : «انى لا أعرف . لا أحد يعرف . كل ما نعرفه هو أن كل أولئك الذين يقولون : إنهم يريدون الهيكل ، يريدون فى الدرجة الأولى تدمير المسجد . ليس لدى أية فكرة كيف سيتم التدمير . ولكنه سيحدث . . إنهم سيبنون هيكلاً هنا . كيف ومن ومتى وأين لا تسألينى؟! .

ويؤكد إسرائيلى يهودى مهاجر من اسكوتلندا ويدعى أشرف كوفمان أن لديه أدلة ثابتة بأن المعبد الهيكل اليهودى لم يكن قائماً فى الموقع الحالى لقبة الصخرة إنما إلى الجنوب منه . وعلى الرغم من أن كوفمان ليس عالماً فى الآثار إلا أنه أستاذ للفيزياء فى الجامعة العبرية . وقد كتب مقالا مطولاً حول هذا الموضوع نشر فى مجلة «الآثار التوراتية» ؛ واعترف فى المقال أن الحكومة الإسرائيلية موّلت دراسته .

ولتحليل مقالة كوفمان تحدثت مع البيولوجى الأمريكى جيمس جانغ الذى يعيش فى شيكاغو والذى سبق له أن أجرى دراسات جيولوجية كبيرة فى مصر والأردن وفلسطين . سألته إذا كان يوافق على نظرية العالم الفيزيائى؟ فقال :

إننى أشعر بقوة أن وراء الدراسة دوافع سياسية . إن بحثاً سليماً يمكن أن يؤدى إلى اعتراضات لا حصر لها .

إننى أعترض بشدة على الطريقة وعلى استعمال افتراضات خاطئة ومضللة وعشوائية . إننى أعتقد أن دراسة جديدة يمكن أن تؤدي إلى استنتاج مختلف . إن لكوفمان نظرية مثيرة ولكن لا يمكن القبول بأكثر من ٥٠ بالمئة منها» . وسألته : ما هى الفوائد السياسية لإسرائيل من وراء الدعم والترويج لدراسة تقول للعالم : إننا لا نريد تدمير المسجد لبناء الهيكل ، وإننا سنقيمه إلى جانب قبة الصخرة ؟ . فرد قائلاً :

«كثير من الصهاينة الإسرائيليين يفضلون المضى فى المخطط خطوة خطوة . فإذا لم ينسفوا المسجد فإنهم يتسمنون أن ينظر إليهم كمعتدلين ، بدلا من مخاطر الدخول فى حرب مقدسة ١٥٠ مليون مسلم يحيطون بإسرائيل . إن بعض قادة إسرائيل يختبرون الأجواء السياسية لبناء الهيكل إلى جانب المسجد . فإذا حققوا ذلك ، فإنهم قد يعمدون لا حقًا إلى إزالة الحرم الشريف . إنها لعبة القوة السياسية .

أخبرنى مستوطنو غوش - وثلاثهم يحملون الجنسية الأمريكية والإسرائيلية ، «إنه إذا كان تدمير المسجد من أجل بناء الهيكل سوف يتسبب فى نشوب حرب كبيرة ، فليكن ذلك» . إنهم «كرواد» يحملون سلاحًا مرخصًا به ، يتطلعون إلى الإثارة والمقاومة والتحدى الجديد . وقال لى أحدهم وهو بوبى برادن من بروكلين : «عندما بدأنا عملياتنا بمصادرة الأراضى باعتماد تكتيك حرب العصابات ، من أجل إقامة المستوطنات ، بدأ لنا ذلك مثيرًا . وقال : أما الآن فقد بدأنا نضجر . إننا مسلحون تمامًا . ونشعر بأن وجود مسجد وسط أرضنا يشكل وصمة لنا . إذا نظرت إلى أية صورة من صور القدس تجد هذا المسجد . يجب إزالة هذا المسجد . يوما ما سنبنى معبدنا هناك . يجب أن نفعل ذلك لنبين للعرب وللعالم كله أن لليهود السيادة على القدس ، والسيادة على كل أرض إسرائيل» .

كنت أجالس براون فى منزل (من المنازل المصنوعة مسبقًا فى مستعمرة «تاكوا» قرب بيت لحم . اعترف براون بأنه ومجموعة أخرى من المهاجرين صادروا أرض المستعمرة بالقوة المسلحة من الفلسطينيين . فى ذلك العام ١٩٧٩ ، أخبرنى براون أنه مع غيره من مستوطنى غوش سوف ينغمسون جدًا فى السياسة . وقال سيكون لنا حزبنا ويدعى «تحيا» . وسوف نستعمل أعضاء الحزب كقوة ضغط لإقرار مشروع بناء الهيكل» .

قلت له : إن بناء هيكل للعبادة شئ ، وتدمير المسجد شئ آخر ، ذلك أن

التدمير يمكن أن يؤدي إلى حرب بين إسرائيل والعرب. فرد قائلاً : «تماماً، إن هذا ما نريده أن يحدث. لأننا سوف نربحها . ومن ثم سنقوم بطرد العرب من أرض إسرائيل. وسنعيد بناء الهيكل ونتنظر مسيحنا».

فى مطلع عام ١٩٧٩ التقت مجموعة من اليهود الأرثوذكس المتطرفين من حركة غوش ايونيم فى شقة قائدهم الروحى فى مستوطنة كريات أربع (وهى مستعمرة يهودية أقيمت فى قلب مدينة الخليل العربية)، وكان موضوع اللقاء بحث تخريب اتفاقيات كمب دايفيد. قال لى براون : «لقد خفنا أن تؤدي هذه الاتفاقيات إلى قيام دولة فلسطينية». كان المرشدان الروحاني لهؤلاء المستوطنين الحاخام موش لا فينغر ، والحاخام اليعازر والدمان وهو عضو فى البرلمان عن حزب تحيا.

إن أعضاء حركة غوش الذين عقدوا الاجتماع كانوا يتألفون من ضباط فى الجيش ومن شخصيات يمينية بارزة ، ومن أصحاب نفوذ فى حكومة بيغن . ولقد قرروا فى بداية الاجتماع نسف قبة الصخرة . ولم تعرف أسماء الإرهابيين اليهود وتفاصيل عملياتهم إلا فى عام ١٩٨٤ ، بعد محاكمة أقروا خلالها باعترافات عن الجرائم التى اتهموا بارتكابها.

وفى مجلة «صوت القرية» الصادرة بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٨٥ نشر روبرت فريدمان تفاصيل مخطط تدمير المسجد كما يلى :

حصل منحيم ليغنى - قائد وحدة احتياط فى فرقة الهندسة فى الجيش الإسرائيلى وقائد الحركة السرية فى منظمة غوش - على صور حديثة للمسجد . واتفق مع طيار من سلاح الجو على سرقة طائرة لقصفه. غير أن ليغنى فضل بعد ذلك الهجوم الأرضى». مجموعة من اليهود الخبراء بالمتفجرات قاموا بقياس جدران المدينة القديمة حتى ساحة المسجد. وبُنى نموذج عن المسجد، وأجريت تجارب لتحديد الوقت اللازم للعملية. وجرى تجربة تفجير القنابل المصنوعة فى الصحراء . وحدد ليغنى اتجاه انهيار المسجد بعد نسفه والمدى الذى ستتأثر فيه أشلاؤه . كان المهم عدم إلحاق الأذى باليهود فى المناطق المجاورة ، كما كان المهم عدم إلحاق أى ضرر بحائط المبكى - الحائط الغربى - وأخيراً حصل المتآمرون على إجازات لحمل رشاشات أوزى وقنابل مسيلة للدموع للتغلب على حرس المسجد من المسلمين».

فى الوقت الذى كان متطرفو غوش يخططون لنسف المسجد ، كانوا - فى الوقت نفسه - يخططون لاغتيال ثلاثة من رؤساء البلديات الفلسطينيين، إبراهيم

الطويل - البيرة ، وكريم خلف - رام الله ، وبسام الشكعة - نابلس - وذلك برزق قنابل في سياراتهم . لقد نجا الطويل دون إصابة ، غير أن القنبلة انفجرت في مرآب سيارته وأدى انفجارها إلى إصابة خبير متفجرات إسرائيلي بالعمى . أما خلف فقد فقدَ أحد قدميه . وكانت إصابة الشكعة الأخطر ، فقد فقدَ ساقيه . ويقدم لنا الصحفي فريدمان دلالات واضحة على أن مسئولين إسرائيليين كباراً نظروا إلى إيذاء رؤساء البلديات الفلسطينيين بارتياح . فقال في مقاله :

«بعد يومين من حادث التفجير في الضفة الغربية، عقد المجلس اليهودي المحلي في يهودا والسامرة - وهو لجنة منتخبة من قادة المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية - اجتماعه الشهري بمشاركة الجنرال بن اليغازر الحاكم العسكري في الضفة الغربية . واستناداً إلى اثنين من المستوطنين الذين حضروا الاجتماع ، أعرب اليغازر عن رضاه للهجوم على رؤساء البلديات قائلاً : إنه يأسف فقط لأن مهمة الاغتيال لم تكتمل فصولاً . ويذكر أحد أعضاء المجلس بنكوس ويلرشاين : أن كل من كان حول الطاولة كان سعيداً أو مبتسماً . . .» .

وذكر فريدمان في مقاله أن ناان ناثانسون أحد الذين زرعو القنبلة في سيارة الشكعة - ورئيس جهاز الأمن في مستوطنة شيلو ، غادر الاجتماع مطمئناً إلى أن الحركة السرية تتمتع بدعم الجيش والحكومة على أى مستوى . ونقل عن اليغازر قوله : إن الحركة السرية قامت بعمل من أجل مجد وسلامة الشعب الإسرائيلي» .

وقال بنزيون هاينمان الذى حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات لدوره في الحركة السرية لمنظمة غوش : إن جميع المستوطنين اليهود في كل أرجاء الضفة الغربية احتفلوا بالهجوم على رؤساء البلديات ، وعندما سمعوا في قيادة الأركان العسكرية بما حل بالشكعة في نابلس ، أجرى القادة والجنود احتفال «براها» على كأس من النبيذ .

في عام ١٩٨٣ استقال يهوديت كراب نائب المدعى العام الذى كلف بالتحقيق فى القضية . وقد اتهم كراب منحيم بيغن بطمس التحقيق لأسباب سياسية . وتساءل كراب : « كيف يمكن للحكومة الإسرائيلية أن تتخذ إجراءات ضد أى عربى يقذف حجراً ، وتتقاعس عن محاكمة المستوطنين - اليهود - الذين يفتحون النار على العرب؟» .

خلال المحاكمة قدمت هيئة الدفاع عن منظمة غوش «قنبلة سياسية دفاعية» .

وهى أن شين بيت - جهاز الاستخبارات الداخلى - كان يعرف هوية الإرهابيين اليهود فور قيامهم بالهجوم على رؤساء البلديات .

وكان الجهاز على علم مسبق بهجوم يهودى على كلية إسلامية . وقد فشل «شين بيت» فى اعتقال أى أحد . واستناداً إلى وكيل الدفاع يافى إسحق ، فإن السلطات السياسية والعسكرية العليا حثت الحركة السرية على اتخاذ إجراءات لا تستطيع أن تقوم بها دولة ديمقراطية» .

وخلال المحاكمة قدم الإرهابيون اليهود الأرثوذكس أنفسهم على أنهم مدافعون على الحقوق اليهودية فى الضفة الغربية . وقال يهودا أتزيون (المنظر الروحي للمتآمرين) أمام المحكمة : إنه بدأ عام ١٩٨١ يدرس إمكانية «تطهير» الموقع الإسلامى بإزالة الصرح الإسلامى القائم عليه ، وهى مهمة قال : إنه يعتقد أنه كان على الدولة أن تنفذها مباشرة بعد حرب ١٩٦٧ . ولما لم تقم الحكومة بذلك ، قال أتزيون فى اعترافاته ، أدرك أن عليه هو نفسه أن ينسف الصروح الإسلامية .

على الرغم من أهمية الجرائم فإن الأحكام التى صدرت كانت خفيفة بشكل مذهل . ولذلك ما إن أعلن القضاة عن هذا الأحكام حتى تحولت القاعة إلى كرنفال ، كما قال أحد الصحفيين الإسرائيليين . وبدأ المشاهدون والمتهمون يتبادلون قبلات التهاني ويغنون أغانى وطنية . المؤيدون فى مستوطنات الضفة الغربية وصفوا المتهمين بأنهم «أبطال إسرائيل» ودعوا إلى منحهم المداليات ، ذلك لأن الله اختارهم لتغيير القانون اليهودى لهذه البلاد . إن القانون بيد الله ، كما قال أحد المستوطنين اليهود الذى هاجر من نيويورك فى عام ١٩٣٥ وهو يقيم فى مستعمرة كريات أربع فى الخليل .

«لقد قلت لابنى : إن عليك أن تفعل كما فعل هؤلاء ، حتى يكون هناك مزيد من الناس الذين يريدون التخلص من العرب» .

على الرغم من أن الإرهابيين اليهود لا يشكلون فى ذواتهم قوة سياسية ، فقد أصبحوا نقطة ارتكاز للفاشية الإسرائيلية . فأتناء اعتقالهم لم يتقدم للدفاع عنهم سوى حزب تحيا وحركة كاهان كاخ . ولكن فى يوليو ١٩٨٥ فإن كل الأحزاب اليمينية والأحزاب الدينية وحتى بعض أعضاء حزب العمل كانوا يعملون من أجل إطلاق سراحهم .

أطلق أعضاء فى البرلمان مثل اريل شارون وغولا كوهين وغيرهما من كبار المسؤولين الإسرائيليين على المجرمين الذى حكم عليهم بأنهم «أبطال عظام» .

في ضوء الحكم الخفيف - الذي صدر ضده، واحتمال العفو عنه - قال اتزيون (٣٤ سنة) إنه كان يعرف أن محاكمته ستتم ولكنه واثق أنه في محكمة التاريخ سيكون - مئة بالمئة - غير مذنب لأن البناء (قبة الصخرة) سوف يزال .

جرى جمع التبرعات في الولايات المتحدة لتسديد بدل النفقات القانونية لإطلاق سراح الإرهابيين . ولم تصطدم هذه العمليات مع القوانين الأميركية التي تنص على تسجيل التبرعات التي ترسل إلى الخارج إذا تجاوزت ١٠ آلاف دولار في السنة ، علماً بأن التبرعات تجاوزت ١٠٠ ألف دولار .

حصدت منظمة غوش ايونيم التبرعات من أميركا التي تجاوزت مئات الآلاف من الدولارات . إن أكبر المساهمين كان ماركوس كاتس تاجر أسلحة مكسيكي ثري، كان يمثل صناعة الأسلحة الإسرائيلية في إيران ثم في أميركا الوسطى . ساعد كاتس كذلك على تمويل معركة قانونية شنّها إيرال شارون ضد مجلة تايم . أما سيريل شتين الذي يلقب بملك صناعة القمار في لندن ، فقد قدم مبالغ كبيرة من الدعم لمنظمة غوش ايونيم .

الخزينة الأميركية هي المصدر الأكبر لتمويل غوش ايونيم وتمويل مستوطناتها غير الشرعية في الضفة الغربية . إن مئات الملايين من دولارات دافعي الضرائب تمنح إلى المستوطنات اليهودية غير الشرعية ولتجهيزها بالبنية التحتية . وللدلالة على ذلك فقد وظفت الحكومة الإسرائيلية العديد من إرهابيي حركة غوش كموظفين في الضفة الغربية .

إن الدراسة التي أعدها روبرت فريدمان تشير إلى أن ماثير كاهانا - الحاخام من نيويورك - حقق نجاحاً أكثر من منظمة غوش من أجل الحصول على دعم اليهود الأميركيين . ومنذ إنشاء منظمة الدفاع اليهودية في عام ١٩٦٨ جمع كاهانا ملايين الدولارات من رجال الأعمال اليهود .

ومن بين أثرياء اليهود الذين دعموا منظمة الدفاع اليهودية ، روبين ماتيس مؤسس ورئيس شركة المثلجات هاغن - دايز - . ويعترف الحاخام كاهانا للصحفي فريدمان أن التبرعات التي يحصل عليها من الأثرياء اليهود تزايدت منذ انتخابه عضواً في الكنيست (البرلمان) . إن أهم القواعد لجمع التبرعات اليوم هي في نيويورك ولوس انجيلوس .

في أكتوبر ١٩٨٥ جردت وزارة الخارجية كاهانا من جنسيته الأميركية . ومع ذلك فقد استمر في التنقل بسهولة بين إسرائيل والولايات المتحدة . فقد أقام

كاهانا تحالفًا ليس فقط مع اليهود الأميركيين ، إنما مع الجناح اليميني من المسيحيين الإنجلييين في أميركا الذين يعتقدون مثله أن اليهود هم شعب الله المختار وأن عودة المسيح مرتبطة بعودة اليهود إلى إسرائيل وبطرد أعداء إسرائيل - العرب - .

بما أن أبحاثي تقودني إلى الاعتقاد بأن الشرق الأوسط الذى يتلقى من الأسلحة أكثر من أية منطقة أخرى فى العالم ، يمثل أخطر برمبل بارود لتفجير المواجهة النووية ، فإننى لا أفهم لماذا يساعد مسيحيون أمثال ريزنهوفر وديلوخ وهيلتون وساتون ودوغلاس كريك وشارلز لوترو الإرهابيين اليهود من أجل تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة . كذلك لا أستطيع أن أفهم لماذا يدعى أحدهم - ديلوخ أنه إذا فجر الإرهابيون اليهود حربا عالمية ثالثة فإنهم يحققون بذلك مشيئة الله .

لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الأمر أجريت مقابلة مع البروفسور «غوردون والتى» من جامعة رايت فى اوهايو ، وهو عالم اجتماع واختصاصى فى علم الأجناس . ولقد قام بعدة رحلات إلى الشرق الأوسط وألقى محاضرات حول موضوع دعم اليمين المسيحى لإسرائيل .

سألته ، هل من الأخلاق أن يرفض المسيحيون وجود حوالى بليون مسلم وأن يقدموا ملايين الدولارات من أجل تدمير أماكنهم المقدسة؟ أجابنى :

« إن الإنجلييين الأصوليين الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد يمارسون نفس العقيدة التى مارسها أجدادهم من قبل . لقد ظنوا أنه من الشجاعة والصواب والحق أن يربحوا الغرب ، وأن يذبحوا الهنود وأن يسيروا قدمًا بمدنية الأبيض . وبما أن «حدود» أميركا قد ذهبت ، فإنهم يعملون على إعادة خلقها فى مكان آخر . إن «صهيون الجديدة» حلم المستوطنين ، أصبحت صهيون القديمة الفلسطينية ، وكما أن بعض المستوطنين المسيحيين وجدوا أنه من الصواب قتل الهنود فإن بعض المسيحيين يجدون الآن أنه من الصواب تقديم المال إلى الصهاينة الذين يقتلون الفلسطينيين» .

وقال الدكتور والتى : «الآن وقد تم ربح الغرب ، فإن على ريزنهوفر أن يطير إلى إسرائيل :

وسألت : ماذا عن إعجاب القس ديلوخ بالعودة إلى التضحية الحيوانية لإرضاء الرب؟ فأجاب : «ألا تتصورين الجمار النارية ، ثغاء الخرفان التى تذبح ، الدماء ، رائحة اللحم المحترق ، كل ذلك من أجل إرضاء الله! . إن اليهود والمسيحيين الذين يريدون ذلك يتجاهلون أهم القيم النظرية والمفاهيم المعنوية لتقاليد النبوة

العبرانية . إن ما طالب به يهوه حقًا ليس دماء الخرفان والماعز ، ولكن باسم أموس ، طالب بالعدالة والحق .

أما فيما يتعلق بقول ديلوخ : إنه يؤيد إزالة الأماكن الإسلامية وبناء معبد يهودى حتى يمكن المسيحيون من ممارسة حرية العبادة وخاصة فى أماكن يفضل هؤلاء المسيحيون (المسيحيون المتشددون) استعمالها . ولكن هل يفضل هؤلاء المسيحيون (المسيحيون العضليون) استعمالها . ولكن هل يعتقد القس ديلوخ للحظة أنه ستكون عنده الحرية لتقديم قداس تبشيري فى أى مكان من الدولة اليهودية؟ هل يظن أنه ستكون لديه الحرية كمسيحي للهجرة إلى الدولة اليهودية؟ بما أن الجنسية محصورة باليهود فقط ، فلن تكون له هذه الحرية .

ولكن هل كان القس ديلوخ منافقًا عندما قال : إنه مهتم فقط بالحرية المسيحية للصلاة فى الحرم الشريف؟ أجاب البروفسور والتى : «ليس بالضرورة . إذا كان القس نموذجًا للمسيحيين المتشددين» الذين أجريت دراسة عنهم فإنه لا يستطيع أن يكون منافقًا . إنه يقنع نفسه بأنه إذا استعملت الأموال التى تقدم للإرهابيين اليهود من أجل تدمير المسجد فإن ذلك سيكون تنفيذًا لإرادة الله .

فى عام ١٩٨٤ نشر استقصاء للرأى فى إسرائيل أظهر أن ٧ و ١٨ بالمائة من الرأى العام الإسرائيلى يؤيد الأعمال الإرهابية التى تقوم بها جماعات يهودية متطرفة . وفى تعليق على هذا الاستقصاء أشار الكاتب الإسرائيلى ياهوش سوبول إلى أنه فى عام ١٩٣٨ وجدت مجموعة مختارة من أعضاء الحزب النازى أن ٦٣ بالمائة منهم كانت تعارض إيذاء اليهود ، و ٣٢ بالمائة أعربت عن لامبالاتها بهذا الموضوع ، ولم يؤيد سوى ٥ بالمائة فقط إيذاء اليهود . بعد أربع سنوات ، فى عام ١٩٤٢ ، عندما كانت إبادة اليهود تنفذ بسرعة ، أظهرت مجموعة مختارة من أعضاء الحزب النازى أن أولئك الذين يعارضون مهاجمة اليهود قد تضاءلوا إلى ٢٦ بالمائة . بينما زاد عدد اللامبالين إلى ٦٩ بالمائة . وبقي عدد النازيين المؤيدين لإيذاء اليهود كما هو : ٥ بالمائة .

إن دراسة دقيقة لتوزع وجهات النظر والمواقع فى المجتمع الألمانى خلال الفترة النازية لا تتحرك عذراً لأى شخص اليوم للدعاء بأنه طالما أن الأفكار العنصرية تخص أقلية صغيرة فقط ، فلا يوجد أساس للحديث عن تحول المجتمع كله إلى مجتمع فاشستى .

إنّ العكس هو الصحيح : فالتجربة الألمانية تثبت بأنّ تحويل المجتمع إلى مجتمع فاشسىّ تبدأ عندما تكون الأفكار العنصريّة والشوفينيّة المتطرّفة مسيطرة على أقلّيّة صغيرة في الجناح اليميني المتطرف الذي يقوم بعملياته ضده الأكثرية اللامبالية .

إنّ المتعصّبين الذين ينتمون إلى ما تصفه الأكثرية من المسيحيّين واليهود بالأقلّيّة المجنونة - والتي لا يزيد عددها على ٥٪ فقط في الشعب الإسرائيليّ - قادرون مع ذلك على تدمير أكثر الأماكن الإسلامية قدسية في القدس، وهو عملٌ يمكن أن يفجّر حرباً عالمية تتورّط فيها الولايات المتحدة وروسيا .

إنّ الشرط الضروري حتى يحدث ذلك هو وجود أكثرية لا مبالية . إنّ الاتجاه العام لليهود الإسرائيليين والأميركيين مع المسيحيّين الأميركيين غير الصهيونيين يمكن أن يمثّل هذا الأكثرية اللامبالية .

إنّ هذه الأكثرية تُوفّر الأرض الخصبة للمتطرّفين الدينيين . إنّ تصنيف الإرهابيين على أنّهم أبطال يتزايد باستمرار . وإذا حكم عليهم فإنهم لا يقضون كلّ فترة عقوبتهم في السّجن . ففي الثامن من ديسمبر ١٩٨٥ أصدر الرئيس الإسرائيليّ حليم هرزوك العفو عن اثنين من الإرهابيين اليهود الذين حكم عليهم بالسّجن بسبب التّأمّر لنسف أكثر الصّروح الإسلاميّة قداسة في القدس . والسّجينان اللذان أطلق سراحهما هما دان بيرى (٤١ سنة) ويوسف ذوريا (٢٦ سنة) اللذان حكم عليهما بالسّجن ثلاث سنوات لتأمّرهما على نسف قبة الصّخرة والمسجد الأقصى .

واستناداً إلى سجلات المحكمة فإنّ الإرهابيين خطّطوا لنسف هذه الأماكن بالديناميت من أجل إثارة العالم الإسلاميّ في حربٍ مقدسةٍ ضدّ إسرائيل . إنهما الآن حرّان لمواصلة خطّتهما .

الدليل المسيحي الممنوع

خلال جولة ١٩٨٣ كنت واحدة من بين ٦٣٠ حاجًا ، دفع كل منا ألف دولار مما يساوي ٦٣٠ ألف دولار. وفي جولة ١٩٨٥ كنت واحدة من بين ٨٥٠ حاجًا دفع كل منا ١٣٠٠ دولار، مما يساوي أكثر من مليون دولار ربع هذا المبلغ لفولويل والباقي للدولة الإسرائيلية وليست هذه المجموعة سوى واحدة من بين مئات المجموعات من الحجاج.

منذ إنشائها في عام ١٩٤٨ وإسرائيل تستفيد باستمرار من السياحة ففي عقد من الزمن (١٩٦٧ - ١٩٧٧) ازدادت السياحة الدولية بنسبة ٧٥ بالمئة متمثلة في ٢٤٣ مليون سائح دولي حتى عام ١٩٧٧ . وبين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٥ تضاعفت عائدات السياحة الدولية من ١٨,٢ بليون دولار إلى ٣٨,٨ بليون.

خلال السبعينات كانت عائدات السياحة تعادل تقريباً عائدات الإنتاج العالمي من الألومنيوم والرصاص والنحاس والحديد الخام مجتمعاً . ورغم الركود والبطالة ، وأزمة النفط والتضخم ، والاضطراب السياسي ، فإن السياحة واصلت تصاعدها. ففي أواسط الثمانينات كانت السياحة تضخ من المال أكثر مما يضحخه النفط . وكانت تشغل من الأيدي العاملة أكثر من أى عمل آخر . فقد احتلت المكانة الأولى بين سائر الصناعات .

يزور القدس سنوياً حوالي ١٠٠ ألف سائح . وبما أن كل زائر ينفق أكثر من ٧٠٠ دولار في إسرائيل ، فإن ذلك يمثل بليون دولار في السنة . إن السياحة تمثل ٦ بالمئة من الدخل القومي ، وهي مصدر مهم من مصادر العملة الصعبة للاقتصاد الإسرائيلي المطوّق .

طوال ألف سنة كان المسيحيون والمسلمون واليهود يتوجهون إلى القدس كسائحين . ولكن منذ عام ١٩٦٧ عندما سيطر الإسرائيليون بالقوة العسكرية على القدس ، لا يتوجه إليها كسائحين سوى اليهود والمسيحيين وبأعداد كبيرة . بينما هناك بليون مسلم في العالم ينظرون إلى القدس على أنها من أكثر المناطق قدسية ،

ويتمنون السفر إلى هناك. غير أن معظمهم لا يستطيع أن يفعل ذلك لان الدول العربية - باستثناء مصر - لم تعترف أبداً بأن إسرائيل كيان أصيل . (إن مواطنى اندونيسيا ، وهى أكبر دولة إسلامية فى العالم - يمكن أن يتوجهوا إلى القدس ، ولكنهم يمتنعون عن ذلك طالما أن الجنود الإسرائيليين يفرضون الاحتلال العسكرى على المدينة).

إن إسرائيل تستطيع أن تجتذب عدداً محدوداً من السياح اليهود . إن عدد اليهود فى العالم هو ١٤ مليوناً فقط، ومن بينهم حوالى ثلاثة ملايين يحملون الجنسية الإسرائيلية. ومن أجل زيادة الدولارات السياحية فإن على الإسرائيليين أن يتطلعوا إلى المسيحيين الذين يبلغ عددهم حوالى البليون ويؤمنون عائدات إسرائيل السياحية. ومعظم هذه العائدات تأتي من مسيحيين محافظين بمن فيهم الإنجلييون والأصوليون...

وتفيد إسرائيل كذلك من «السفارة المسيحية العالمية» التى أنشئت فى عام ١٩٨٠. فى ذلك العام ضم مناحيم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية بصورة غير شرعية شرقى القدس العربية. واحتجاجاً على ذلك نُقلت سفارات ١٣ دولة أجنبية من غربى القدس إلى تل أبيب. ومن أجل التغلب على معارضة القوى العلمانية، شجع الإسرائيليون الإنجلييين على إنشاء «السفارة» للإعراب عن الموافقة والتأييد. وقد حضر حفلة الافتتاح بالإضافة إلى مسئولين قياديين إسرائيليين ألف شخصية مسيحية تمثل ٢٣ دولة أعربت عن دعمها.

إن تدفق الأموال من نيوزيلنדה وأستراليا وهولندا وأميركا على السفارة كان موضع اتهامات ومحاكمات واسعة ، ذلك أن هذه الأموال كانت تنقل إلى الجماعات العسكرية الإسرائيلية لمساعدتها على طرد الفلسطينيين وإزالة معالم الأماكن الإسلامية المقدسة فى المدينة القديمة ، من أجل إعداد الأرضية لبناء المعبد اليهودى . كما أن الأموال أنفقت على مشاريع من أجل زيادة عدد السياح المسيحيين إلى إسرائيل .

اختارت السفارة يوماً يهودياً أساسياً ، هو عيد الهيكل لتقييم حوله حركة سياحية واسعة. وبالعامل مع دائرة السياحة الإسرائيلية نظمت السفارة برنامجاً من عشرة أيام للمسيحيين لزيارة إسرائيل يشمل السفر بالطيران الإسرائيلى والإقامة فى الفنادق والقيام بجولات سياحية. وتخصص السفارة هذا البرنامج للمسيحيين الإنجلييين الذين يؤمنون بنظام دينى يقول : إن الله بدأ عملية العد العكسى لنهاية

التاريخ ، وإن أحداثاً هامة تقع في إسرائيل . في عام ١٩٨٢ نقلت السفارة المسيحية إلى إسرائيل أكثر من ألفي حاج وفي عام ١٩٨٣ نقلت حوالي ثلاثة آلاف ، وفي عام ١٩٨٥ نقلت أكثر من خمسة آلاف حاج من المسيحيين معظمهم من الأميركيين .

ويبلغ مجموع ما ينفقه هؤلاء ٣,٥ مليون دولار . أما احتفالات عيد الهيكل في عام ١٩٨٥ فقد أدت إلى عائدات سياحية تراوحت بين ١٥ و ٢٠ مليون دولار أنفق معظمها في إسرائيل وذلك استناداً إلى المسئول المالي في السفارة المسيحية . ويقول وزير السياحة : إن كل دولار أنفقته الدولة لتشجيع السياحة حقق للدولة أرباحاً بقيمة ١٥٠ دولاراً . وتنفق إسرائيل - منذ عام ١٩٨٥ حوالي ٣ ملايين دولار لتطوير السياحة .

خلال كل جولة نظمها فولويل كنا نستمع إلى خطابات من الجنرالات ومن السياسيين ، وكنا نزرع المزارع الإسرائيلية وساحات المعارك ونصب الموتى . قد تبدو هذه الزيارات طبيعية في الدول الأجنبية ، أما في الأرض المقدسة ، فإننا نأتى إلى هنا لتجديد روحانياتنا وليس لمزيد من الانغماس السياسي كما فعلنا من خلال التعرف على المشاكل اليومية للدولة .

استناداً إلى القانون الإسرائيلي ، على كل مجموعة سياحية تسافر إلى إسرائيل أن يرافقها دليل إسرائيلي ، مرخص له من مكتب السياحة الحكومي . ولكن حسب البروتوكول الدولي فإن الحجاج لا يعتبرون سياحاً ، ويمكن أن يرافقهم دليل الحجاج . إلا أن فولويل لا يريد أن يصنف نفسه كحاج .

في كل جولة كنا نقوم بها ، كان فولويل يبدي اهتماماً كبيراً لترويج فكرة حاجة إسرائيل إلى مزيد من الأسلحة الأميركية ، (تملك إسرائيل من الدبابات أكثر مما تملكه فرنسا وألمانيا ، كما أنها تملك ثالث أكبر سلاح جوى في العالم) أكثر من اهتمامه بتقدير فكرة التقارب والسلام .

في كل جولة تعمدت تحديد الساعات التي كنا نقضيها في زيارة الأماكن المسيحية المقدسة والاستماع إلى شيء عن المسيح ، كما تعمدت تحديد الساعات التي كنا نقضيها للتعرف على الإنجازات السياسية والعسكرية للدولة الصهيونية . وخرجت بنتيجة واحد إلى ثلاثين . أى أنه مقابل كل ساعة لتعاليم المسيح ، كنا نقضى ٣٠ ساعة لأوجه الحياتين السياسية والعسكرية الإسرائيليتين .

لماذا يبادر قساوسة مسيحيون أمثال فولويل وهيلتون ساتون من تكساس ،

وتشاك سميث من كاليفورنيا، إلى نقل مسيحيين إلى أرض المسيح ويؤثرون عدم إرشادهم إلى المواقع التي ولد فيها المسيح وأقام فيها الصلاة ، ومات ؟ إنى أفكر فى ثلاثة أسباب :

أولاً : إن بعض القساوسة يشتركون فى الرحلات المنظمة من أجل المال .
ثانياً : بعض القساوسة ، يؤثرون المديح مثل سائر الناس . .

إن معظم القساوسة المسيحيين الأميركيين الذين يشتركون فى الرحلات إلى الأرض المقدسة ، ينظر الإسرائيليون إليهم على أنهم رؤساء محتملون لرحلات قادمة . ويقدم الإسرائيليون إلى هؤلاء هبات مغرية للسفر ، ويفرشون أمامهم سجادة حمراء من الضيافة والأسعار المخفضة وبطاقات السفر المجانية على طائرات العال - إن معظم القساوسة الذين يسافرون إلى إسرائيل لم يسبق لهم أن قابلوا قادة دول . إن الإسرائيليين يوفرون الوقت لمقابلتهم وللتحدث معهم عن الاستراتيجية العسكرية . ويقدم لهم الإسرائيليون طائرات الهليكوبتر والأدلاء للقيام برحلات مبرمجة إلى مرتفعات الجولان، وهم يرددون باستمرار أمام القساوسة أن إسرائيل هى الصديق الوحيد لأميركا فى الشرق الأوسط .

مثل هذا الاهتمام قدمه الإسرائيليون إلى القس بيلى سميث من كاليفورنيا بعد أن أبلغ اجتماعاً دينياً عقد فى «دالس» أن الله لا يستمع إلى صلاة اليهودى» . وبدلاً من تصنيفه كعدو دعاه الإسرائيليون إلى زيارة إسرائيل وعلى نفقتها الكاملة . قبل القس سميث الدعوة ، وبنهاية زيارته وعد : «فى الحسابات الأخيرة سوف تقرءون اسمى عدة مرات فى المستقبل فى نشاطات مؤيدة للشعب اليهودى وإسرائيل .» ومن ثم دشن عدة مشاريع معمدانية - يهودية بالإضافة إلى روابط اقتصادية .

بالإضافة إلى دوافع المال والمديح هناك سبب ثالث يحمل القساوسة على الذهاب إلى أرض المسيح من دون أن يتحدثوا عن المسيح ومن دون أن يلتقوا بالمسيحيين . إنهم يتنازلون عن الصلاة فى الجبل المقدس من أجل تعزيز إيمانهم واعتقادهم بأرض إسرائيل . وقد قالت لى سيدة فى مجموعة فولويل : «إن المسيح لا يستطيع أن يعود ما لم تكن هناك إسرائيل يعود إليها» .

خلال تنظيم الرحلات المنظمة مع فولويل وغيره من القساوسة المسيحيين اليمينيين يصر الإسرائيليون على أن يسافر السياح المسيحيون مع شركة الطيران الإسرائيلية . وكانت هذه الشركة قد شكت من جرأ خسارتها لمصلحة شركة

الطيران الأردنية «عالية» وأعلنت إفلاسها . فى السابق كان كثيرٌ من السياح يسافر مع الطيران الأردنى إلى عمان وبعد يومين أو ثلاثة فى الأردن كانوا يتابعون طريقهم بالسيارات عبر جسر اللمبى على نهر الأردن إلى فلسطين المحتلة «الضفة الغربية» ومن هناك يجتازون مسافة قصيرة إلى القدس . بعد قضاء بعض الوقت فى القدس وبيت لحم ونابلس وغيرها من المواقع يعود السياح إلى عمان للمغادرة جوا . إن ٦٠ ألف شخص فى السنة، أو ما يعادل ٦ ٪ تقريباً من عدد سياح الأراضي المقدسة سلكوا هذا الطريق .

فى عام ١٩٨١ أصدر رئيس الحكومة بينغن أمراً بإغلاق جسر اللمبى ذهاباً وإياباً . وعلى الرغم من أن هذا القرار قد ألغى إلا أنه أقام حالة اضطرر بموجبها وكلاء السفر أن يعتمدوا على الطيران الإسرائيلى لحجز مقاعد للسياح إلى الأرض المقدسة .

لقد ألحّت «العال» على بينغن لأسباب اقتصادية أن يشجع السفر على متن طائراتها بصورة مطلقة واستجاب بينغن ليس لأسباب اقتصادية فقط وإنما لأسباب سياسية أيضاً كما قال لى أحد وكلاء السفر فى القدس من العرب المسيحيين : «إن بينغن يريد يهوداً إسرائيليين وليس مسيحيين عرباً أو مسلمين عرباً - لتمثيل الأرض المقدسة . وطالما أن السياح يستطيعون أن يحجزوا جولة إلى القدس من خلال وكالات موجودة فى الأردن ، فإن بينغن يخشى أن يستثمر العرب هذه الفرص ، أى أن يخبروا السياح وجهة نظرهم من الصراع الفلسطينى الإسرائيلى» .

وقال لى أيضاً : إن جميع أصحاب مكاتب السفر العربية فى القدس مجمعون على أن بينغن لم يغلّق طريق المرور عبر جسر اللمبى - مما تسبب فى معاناتنا الاقتصادية - لأننا ننافس مكاتب السفر السياحية فقط، ولكن لأنه يريد أن لا يقابل السياح سوى اليهود، وأن لا يجرؤ أى اتصال معنا» .

وفى العام نفسه، ١٩٨١، بدأت وزارة السياحة الإسرائيلى إجراءات تفرض على كل مجموعة سياحية أن يرافقها دليل يحمل إجازة من دائرة السياحة الإسرائيلىة . وتوقفت شركات النقل الداخلى عن تأجير سياراتها إلى أية مجموعة سياحية ما لم يكن يرافق المجموعة دليل سياحى يحمل إجازة إسرائيلىة . رجال الدين المسيحيون الذين كانوا يرافقون مجموعات من الحجاج فى جولات دينية تعرضوا لمضايقات البوليس الإسرائيلى بحجة أنهم لا يحملون الإجازة الإسرائيلىة .

(ويتجاهل الإسرائيليون بذلك البروتوكول الدولي الذى يقول : إنه يمكن لمجموعات الحجاج أن يرافقها أدلاء من الحجاج).

ويتساءل الأخ لوين شتاين من البعثة الكاثوليكية فى القدس : «لماذا يجب على أن أستأجر دليلاً إذا كنت أرافق مجموعة من المسيحيين تريد تأدية الصلاة يوم الأحد فى كنيسة المهدي؟ إن الإسرائيليين يفرضون ذلك ليس فقط لأسباب اقتصادية، وإنما لأسباب سياسية فى الدرجة الأولى، وبهذه الطريقة فإنهم يراقبون ما يشاهده السياح. إنهم يريدون هؤلاء السياح أن يشاهدوا المعالم الحجرية والمواقع التاريخية وأن يتحدثوا إلى الإسرائيليين فقط».

الدليل الإسرائيلى يقدم لهم خريطة إسرائيل التى تشمل الضفة الغربية وغزة كجزء من إسرائيل . وفى الواقع فإنه محظور طبع خريطة فى إسرائيل تظهر أى جزء على أنه من فلسطين المحتلة . وإذا سأل أحد عن فلسطين، فإن الدليل الصهيونى يقول : «لا يوجد شىء اسمه فلسطين». وإذا سأل أحد عن الفلسطينيين يجب الدليل : «إنهم كلهم إرهابيون» . وانتهى الأخ لوين شتاين إلى القول : «لقد نجحوا فى تقديم جانب واحد من الحقيقة فى الأرض المقدسة إلى ٩٥ بالمائة من الأميركيين».

ريتشارد بكلر الناطق باسم المجلس الوطنى لكنائس المسيح فى الولايات المتحدة يقول : إن ما يسمى بالرحلات غير السياسية هو مستحيل . إنها فى الواقع سياسية جداً من حيث ما لا يراه الناس . إن تجاهل شعب المنطقة، وتجاهل مشاكلهم واهتماماتهم وآمالهم ليسا من الروحانية فى شىء، ودعا بكلر إلى وجوب اتصال المسيحيين الأميركيين الذين يزورون الأرض المقدسة بكنائس المنطقة ، للوقوف على وجهات النظر المختلفة، وإلى عدم حصر اتصالاتهم بمجموعة واحدة من الناس وحصر الاستماع إلى وجهة نظر واحدة ، كما يفعل الآن معظم السياح المسيحيين .

فى مارس ١٩٨٤ انتقدت لجنة الحجّ المسيحية فى الأرض المقدسة الحكومة الإسرائيلىّة بسبب القيود التى تفرضها على الزيارات الدينيّة المحليّة . وقال ناطق بلسان اللجنة : «إنّ الإسرائيليين بإصرارهم أنّ على جميع المجموعات أن يكون لها دليل إسرائيلى ، ينتهكون بذلك حرية الحجّ التى تتمتع بها المسيحيون مدة ألفى سنة . وقال لم يسبق لأية حكومة من قبل أن حاولت تقييد حرية الحجّ فى الأرض المقدسة» .

ورغم هذا الانتقاد فإنّ الإسرائيليين يواصلون الإصرار على وجوب أن يرافق

مجموعات الحجّاج دليل يتمتّع بالإجازة الإسرائيليّة وليس عربيًا . منذ عام ١٩٦٧ لم يصدر الإسرائيليّون سوى إجازتين رسميتين فقط للعرب .

وقد نقل إلى مسيحيّ عربي رفضت السّلطات الإسرائيليّة منحه إجازة دليل سياحيّ ، أن وزير الدفاع السابق موسى ديان قال : «إنه من الأسهل على العرب أن يصبحوا طيارين في السّلاح الجوّي الإسرائيلي من أن يصبحوا أدلاء سياحة» .

في ٣ فبراير ١٩٨٥ نشرت صحيفة بوست التي تصدر في القدس موضوعًا قالت فيه : «إنه منذ عام ١٩٦٧ لم يتأهّل سوى اثنين من العرب كأدلاء سياحة . وأن أولئك الذين تأهلوا قبل هذا التاريخ يحتفظون بإجازاتهم على أساس القانون الدولي الذي يتعلّق بالاحتلال العسكري . وقالت الصّحيفة إن معظمهم يخاف أن يتحدّث عمّا يتعرّض له الفلسطينيون من قمع . والدليل السّياحي الذي تجرأ على ذلك في عام ١٩٨٥ منع من العمل مدّة ثلاثة أشهر بحجّة أنّه واستنادًا إلى وزارة السياحة الإسرائيليّة ، «أظهر قلّة معرفة بتاريخ الشّعب اليهودي في أرض إسرائيل وأساء للدولة» . أخبرني الدكتور غلين براونمان وهو عالم اجتماعي انثروبولوجي في جامعة أكسفورد ويعمد كتابًا عن الحجّ المسيحيّ إلى الأرض المقدّسة ، «إن الإسرائيليّين لا يريدون أن يقوم المسيحيّون بدور الأدلاء - فالأدلاء الإسرائيليّون يحذّرون السّياح المسيحيّين بوجوب تجنّب أصحاب المحلات الفلسطينيّين . ويحذّر الدكتور براونمان من أن إقصاء المسيحيّين الأميركيّين عن المسيحيّين الفلسطينيّين سوف يقودنا إلى التطورات الآتية :

أولاً ، من خلال حثّ إسرائيل على شنّ مزيد من الحروب وعلى مصادرة مزيد من الأراضي العربيّة فإنّ المسيحيّين الأميركيّين يضغطون على المسلمين العرب نحو أصوليّة أكثر عسكريّة وتزمنا .

إنّ عدم تأمين الدّعم للمسيحيّين الفلسطينيّين سوف يجعلهم في متناول يد أكثر الحركات الإسلاميّة تطرّفًا ، التي في سعيها للثأر من الغرب قد تتوجّه أيضًا نحو المواطنين المسيحيّين ناظرة إليهم كملحق بمضطهديهم .

ثانيًا ، إذا تواصل تدمير الوجود الفلسطينيّ المسيحيّ ، فإنّ الكنائس المسيحيّة ستفقد وجودها وستفقد الدور الذي تلعبه في الأرض المقدّسة .

أخيرًا ، ستحلّ مسيحيّة معسكرة محلّ مسيحيّة قيم التسامح والمحبة والتّفاهم . وحذّر الدكتور براونمان من أنّه سيكون للمسيحيّين فقط إله للحرب . ويعتقد الدكتور براونمان «أن مصير المسيحيّين سوف يحدّد أيّ دور ، إذا كان هناك من

دور، يمكن أن تلعبه الكنائس الأجنبية في مستقبل الأرض المقدسة . وكذلك ربما في مجتمعاتها أيضاً» .

إنّ المسيحيين الفلسطينيين يشعرون بصورة متزايدة أنّهم في موقع لا يحسدون عليه . إنهم يعرفون أنّ الكثيرين من المسلمين الذين يسمعون الشيء الكثير عن فولويل وروبرتسون ينظرون إلى هؤلاء على أنّهم يمثلون مسيحية اليوم . إنّ محطة تلفزيون «صوت الأمل» في جنوب لبنان التي يمولها روبرتسون تبث رسائل معادية للعرب ومعادية للمسلمين ، وتدعم سيطرة إسرائيل على الأراضي العربية . ولقد قال لى مسيحي فلسطيني: «إنّ المسلمين الذين يستمعون إلى هذه الرسائل المسيحية المعادية للعرب يسألوننا كيف يمكن لكم أن تكونوا مسيحيين؟» .

أخبرني إلياس نستاس أنّه وأسلافه ولدوا وعاشوا في بيت لحم منذ وعى الذّاكرة، منذ أن كانت المدينة مسيحية . وقال عندما كنت يافعاً كان تسعون بالمئة من سكّان بيت لحم مسيحيين . الآن أقل من عشرين بالمئة من سكّانها هم من المسيحيين . لقد بدأ ذلك يحدث مع إقامة إسرائيل . أراد الإسرائيليون دولة صافية، تكون اليهودية فيها الديانة الرسميّة . الآن يهاجر المسيحيون من بيت لحم ومن الناصرة ومن القدس ومن كلّ الضفّة الغربيّة وغزّة ومن إسرائيل .

إنّ الإسرائيليين يشجّعون هذه الهجرة الجماعيّة فكثير من اليهود يقولون إنّ هدفهم هو التخلص من كلّ الفلسطينيين المسيحيين منهم والمسلمين ، إن المسيحيين الذين نعرفهم والذين يغادرون هم من المثقّفين ولا يريدون أن يعملوا وأن يعيشوا تحت الهيمنة اليهوديّة . لم يبق لهم سوى القليل هنا، «إننا لا نستطيع أن نتابع حياتنا هنا» . وقد توقّع نستاس عدد الذين هاجروا منذ الاحتلال اليهودي للضفّة الغربيّة في عام ١٩٦٧ بحوالي مئة ألف مسيحي . إنّ الأرقام التي تشير إلى هجرة المسيحيين من القدس معبّرة تماماً . في عام ١٩٤٠ كان يوجد في المدينة ٤٥ ألف مسيحي يعيشون فيها . مع عام ١٩٦٠ انخفض الرّقم إلى ٢٥ ألفاً . وفي عام ١٩٨٥ لم يبق في مدينة القدس سوى ١٠ آلاف مسيحي . في مطلع عام ١٩٨٦ بقي في منطقة الانتداب البريطاني على فلسطين (أى إسرائيل اليوم والأراضي المحتلة) ١٢٠ ألف مسيحي فقط . أمّا أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين ، فقد كان المسيحيون يشكّلون ١٥٪ من السكّان . مع مطلع عام ١٩٨٦ انخفضت هذه النسبة إلى ٨ ٪ . لقد أخبرني كلّ مسيحي قابلته «إذا استمرت هذه الهجرة فلن يبقى هناك مسيحيون في أرض المسيح» .

البحث عن صهيونية غير يهودية

فى أواخر أغسطس ١٩٨٥ طرت من واشنطن إلى سويسرا لحضور المؤتمر المسيحى الصهيونى الأول فى بازل . كنت واحدة من بين ٥٨٩ شخصاً حضروا المؤتمر من ٢٧ دولة برعاية السفارة المسيحية العالمية فى القدس . توجهت إلى المؤتمر على أمل الحصول على تعريف وعلى خلفية للصهيونية السياسية .

الأستاذ مارفن ولسون من كلية غوردن فى ماساتشوستس وكان أحد الخطباء ، أشار إلى أن هناك تعريفات وتفسيرات متعددة لليهودية الصهيونية بين اليهود أنفسهم .

لقد كان يوجد فى الماضى ، ويوجد اليوم يهود متدينون بعمق ويشيرون إلى أنفسهم كصهاينة، وكان يوجد فى الماضى ويوجد اليوم صهاينة علمانيون - يهود لا يؤمنون بالله - ثيودور هرتزل الصحفى التمسوى الذى دعا فى عام ١٨٩٧ إلى المؤتمر اليهودى الصهيونى الأول الذى عقد فى المسرح الموسيقى فى بازل حيث اجتمع المسيحيون الصهاينة فى عام ١٩٨٥ كان يهودياً علمانياً ، كما كان دافيد بن غوريون، أول رئيس حكومة فى إسرائيل . إن أكثرية اليهود الإسرائيليين اليوم يقولون إنهم لا يؤمنون بالله ويصفون أنفسهم بأنهم يهود علمانيون . مجلة نيوزويك (٣٠ نوفمبر ١٩٨٥) قالت : إن ٥٤٪ من الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم صهاينة علمانيين . مراجع أخرى ترفع هذا الرقم إلى ٦٠ - ٦٥٪ .

فى المؤتمر الصهيونى الأول ، وجه هرتزل ، الذى يعرف بأنه أبو الحركة الصهيونية اليهودية السياسية نداء إلى اليهود ليعيشوا بصورة كاملة بين اليهود ، وقال إن كل العالم يكره اليهود وإن اليهود لا يمكن أن يكونوا آمنين إلا بين بعضهم .

بعد ٨٨ سنة فى بازل وأمام لوحة كبيرة لهرتزل استمعت إلى خطباء مسيحيين ويهود إسرائيليين يرددون بابتهاال نداء هرتزل : إن كل العالم يكره اليهود وإنه طوال التاريخ كرهت شعوب العالم اليهود . وإنه يوجد حل واحد : إن على اليهود أن يعيشوا بشكل كامل بين اليهود وأن يكونوا أقوياء عسكرياً .

إن كل خطيب شدد على الأهمية المركزية للصهيونية السياسية : إن كل العامة

(جنتيل) تعانى من مرض يدعى العدا للسامية «بدقة أكثر، العدا لليهودية» وهو مرض غير قابل للشفاء .

قال هرتزل : علينا أن نعترف أن هذا القانون غير قابل للتغيير . وليس له بداية ، وليس له نهاية وليس له تفسير . ببساطة ، إنه موجود . لقد استمعت إلى تاريخ الاضطهاد المسيحى الطويل لليهود : المسيحيون طردوا اليهود من إنكلترا فى القرن السادس عشر، من فرنسا فى القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا وتوابعها بما فى ذلك سردينيا وصقليا وناپولى فى عام ١٤٩٢ . ولكن هل كان اليهود وحدهم الضحايا فى تلك العصور من المعاناة؟ .

فى عام ١٤٩٢ طرد فرديناند وإيزابيلا المسلمين المغاربة . الأقلية اليهودية ذهبت معهم وأقام معظمها فى الدول الإسلامية . الملكية الإسبانية عذبت حتى الموت أولئك المسيحيين الذين لم يتفقوا معها وأرسلت الغزاة إلى نصف الكرة الغربية لنهب سكانها وقتلهم . لقد خيروهم بين أمرين إما أن يتحولوا (إلى المسيحية) أو أن يقتلوا .

استمعت إلى خطباء مسيحيين يعيدون إلى الذاكرة مجزرة النارية ضد اليهود ، وهى المجزرة التى أثارت نمطاً عالمياً أدى إلى خلق الدولة اليهودية . لم يشر أى متحدث سواء كان مسيحياً أو يهودياً إسرائيلياً إلى أننا جميعاً بشر يجب أن نتعلم كيف نعيش كجيران طبيين فى العصر النووى . وبدلاً من تقديم الأمل من خلال اقتراح خطوات يستطيع منها العرب واليهود وكل الأعداء أن يصلوا إلى التلاقى والسلام، فإن كل متحدث شدد على المخاوف التى تطارد اليهود بدلاً من التشديد على ما هنالك من عناصر مشتركة بين العرب واليهود - وفى الواقع كم يوجد من عناصر مشتركة بين بنى البشر! إلا أن العديد من المتحدثين أخبرونا: أن اليهود مختلفون ، وأن عليهم أن يعيشوا فى حب بين أنفسهم . أصدرت الوفود بعد ثلاثة أيام من الاستماع إلى الكلمات السياسية مجموعة من المقررات التى كتبها مسبقاً (فان دير هوفن) من هولندا وهو الناطق باسم الكنيسة المسيحية العالمية (وجوهان لاك هوف) مدير السفارة وهو من جنوب إفريقيا ، والدكتور (جورج جياكوماكس) المدير السابق بمعهد دراسات الأرض المقدسة فى القدس ، (وريتشارد هيلمان) ممثل السفارة المسيحية فى واشنطن العاصمة ، وغيرهم .

فى أحد هذه المقررات حث المسيحيون الصهاينة كل اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل على ترك الدول التى يعيشون فيها الآن إلى الدولة العبرية . فى هذا القرار

أعلن المسيحيون أنهم يدركون (المعاناة الرهيبة التي واجهها اليهود وأنه بما أن اليهود لا يزالون يواجهون قوى معادية ومدمرة فإن عليهم جميعاً - على كل اليهود في أميركا وفي كل دولة أخرى في العالم - أن ينتقلوا إلى إسرائيل. وأنه على كل مسيحي أن يسهل ذلك).

وحت المسيحيون إسرائيل أيضاً على ضم ذلك الجزء المحتل من فلسطين الذي يدعى الضفة الغربية بسكانه المليون فلسطيني تقريباً .

وقبل التصويت وقف يهودى إسرائيلى كان جالسا بين الحضور واقترح تعديل لغة القرارات . وأشار إلى أن استقصاء للرأى فى إسرائيل أظهر أن ثلث الإسرائيليين يفضلون مقيضة الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ بالسلام مع الفلسطينيين .

فان دير هوفن رد مُعلِّقاً : «إننا لا نهتم بما يصوت عليه الإسرائيليون، إننا نهتم بما يقوله الله، والله أعطى هذه الأرض لليهود».

بعد هذا الإنجاز العاطفى صوت الصهيونيون بما يشبه الإجماع لمصلحة القرار .

كذلك حث المسيحيون الولايات المتحدة وجميع دول العالم على أن توافق على الإجراءات غير الشرعية التى قام بها رئيس الحكومة السابق بيغن لضم القدس العربية وذلك من خلال نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس . (وطالب المسيحيون الولايات المتحدة ، وألمانيا الغربية ودولا أوروبية أخرى بالتوقف عن تسليح أعداء إسرائيل).

وأضافوا : إن على الولايات المتحدة حجب الأسلحة العسكرية التى وعدت بها مصر إلى أن تحترم مصر تماماً التزاماتها بموجب المعاهدة مع إسرائيل لإقامة علاقات طبيعية بما فى ذلك التجارة والسياحة . لقد اجتمعنا فى جلسات استغرقت ١٢ ساعة فى اليوم ولمدة ثلاثة أيام متتالية، وكان تقديرى أنه من بين ٣٦ ساعة قضيناها فى الجلسات فإن المسيحيين الذى أشرفوا على المؤتمر خصصوا أقل من واحد بالمئة من الوقت لرسالة المسيح وتعاليمه، بينما خصصوا أكثر من ٩٩ بالمئة من الوقت للسياسة . ولا يوجد فى الأمر ما يثير أى استغراب ، ذلك أن المشرفين على المؤتمر، برغم أنهم مسيحيون فهم أولاً وقبل كل شىء صهاينة ، وبالتالي فإن اهتمامهم الأول هو الأهداف السياسية للصهيونية .

من مطالعاتى فى كتب ودراسات عن الصهيونية يتبين أن (ثيودور هرتزل) الذى

يعرف بأنه أبو السياسة الصهيونية لم يخلق حركة تشجيع لليهود للانتقال إلى فلسطين. لقد فعل ذلك المسيحيون البروتستانت الإنجلييون قبل ثلاثة قرون من المؤتمر اليهودي الصهيوني الأول قبل الحركة الإصلاحية وكان جميع المسيحيين الغربيين كاثوليكًا. وكانوا يتقبلون بصورة عامة وجهة نظر القديس أوغسطين وغيره والتي تقول: إن مقاطع معينة من الإنجيل يجب أن تفهم معنويًا وليس لفظيًا. وكمثال على ذلك فإن القدس وصهيون مفتوحان لنا جميعًا في السماء وليسا مكانًا محددًا هنا على الأرض حتى يسكنه اليهود بصورة مطلقة.

مع القرنين ١٦ و ١٧ بدأ المسيحيون الأوائل شراء الأناجيل وتفسير نصوصها بأنفسهم ومن خلال ذلك بدءوا تعظيم مفهوم إسرائيل واليهود على أنهم المفتاح الأساسي للرؤى الإنجيلية.

قليل من العلماء بحثوا في أسباب التحول المفاجيء في دعم المسيحيين للفكرة التي تقول: بأنه على جميع اليهود أن يتوجهوا إلى فلسطين - وهذه فكرة لم ترد في النظريات المسيحية الأرثوذكسية.

كذلك فإن قليلًا من العلماء اهتموا بمعرفة الأسباب التي حملت البروتستانت على كتابة المؤلفات المطولة عن الرؤى التوراتية التي تعطي اليهود، (والذين ينظر إليهم على أنهم أعداء تقليديون للكنيسة)، موقعًا متميزًا في الفكر المسيحي، فبعد الإصلاح أصبح المسيحيون الأوروبيون أكثر اهتمامًا باليهود، وغيروا اتجاههم نحوهم.

يخبرنا بعض العلماء أن ذلك كان نتيجة التطورات في القانون الدولي الأوروبي التي قادت إلى مزيد من الليونة. علماء آخرون يشيرون إلى اتساع الدور الاقتصادي لليهود في التجارة العالمية. بعضهم يرى أن اهتمام حركة النهضة بالدراسات العبرية، وأن نظريات الإصلاح بتأكيداتها على العهد القديم ركزت الاهتمام على اليهود بدرجة كبيرة حتى إن الطوائف اليهودية ذات النفوذ اليهودي القوي برزت من خلال الكنائس البروتستنتية الإنكليزية.

بعض العلماء صنفوا الإصلاح على أنه إحياء لليهودية أو العبرانية، بحيث تقبل البروتستانتيون الأوائل مظاهر من التقاليد اليهودية مثل توقع عودة المسيح، والألفية أي حكم السلام لمدة ألف سنة على الأرض. ذلك أنه خلال الحركة الإصلاحية تقبل المسيحيون البروتستانت الكتاب المقدس على أساس أنه يشكل السلطة العليا للاعتقاد والسلوك.

فبدلاً من كنيسة معصومة كالتى يمثلها البابا فى روما وافق البروتستانت على كتاب مقدس معصوم وهو الذى ترجم الآن إلى لغات الناس العاديين .

مع ترجمة النصوص توجه البروتستانتيون الأوائل إلى العهد الذى يعرف على أنه إنجيل اليهود أو الإنجيل العبرانى ، وذلك ليتعرفوا على تاريخ وقصص وتقاليده وقوانين العبرانيين وأرض فلسطين .

لقد حفظوا عن ظهر قلب قصص العهد القديم وبدأ الكثيرون من البروتستانت يفكرون فى أن فلسطين أرض يهودية .

توجه البروتستانت إلى العهد القديم ليس فقط على أنه أكثر الكتب شهرة ولكن على أنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام . وبذلك قلعوا تاريخ فلسطين ما قبل المسيحية إلى تلك المراحل التى تتضمن فقط الوجود العبرانى . إن أعداداً ضخمة من المسيحيين وضعوا فى إطار الاعتقاد أنه لم يحدث شئ فى فلسطين القديمة باستثناء تلك الخرافات غير الموثقة من الروايات التاريخية المسجلة فى العهد القديم . إن محبى الكتاب المقدس من المسيحيين بدءوا ينظرون إلى العهد القديم على أنه التاريخ الوحيد الجديد فى الشرق الأوسط .

فى منتصف سنة ١٦٠٠ بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين . أعلن أوليفر كرمويل بصفته راعى الكومنولث اليريطانى الذى أنشئ حديثاً أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يهدد للمجىء الثانى للمسيح .

فى عام ١٦٥٥ أعلن البروتستانتى الألمانى بول فلجن هوفر (أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح على أنه مسيحيهم بمناسبة مجيئه الثانى) . وكتب فى كتابه (أخبار جيدة لإسرائيل) إنه مما يثبت ذلك - عودة المسيح - العودة الدائمة لليهود إلى بلدهم الذى منحهم الله إياه من خلال الوعد غير المشروط الذى قدمه إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب) .

فى عام ١٨٣٩ حث اللورد انطونى اشلى كوبر (الذى يعرف بالإصلاحى الكبير لقيادته عملية منح العمال الأطفال معاملة إنسانية أفضل وكذلك لاهتمامه بالمرضى عقلياً وبالسجناء) جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين . وفى مقال منشور بعنوان (الدولة وآفاق المستقبل أمام اليهود) أعرب عن اهتمامه بالعنصر العبرى . وعارض فكرة الذوبان على أساس أن اليهود سيبقون دائماً غرباء فى كل الدول التى يعيش فيها غير اليهود .

نظر اللورد كوبر إلى اليهود على أنهم يلعبون دوراً رئيسياً في الخطة الإلهية حول المجيء الثاني للمسيح . وكما فسر النصوص ، فإن المجيء الثاني للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود يعيشون في إسرائيل المسترجعة ، انطلاقاً من اعتقاده بأن عليه مساعدة الله لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلى فلسطين، فإن اللورد كوبر جعل همه إقناع الإنجليز بأن اليهود (رغم أنهم غلاظ وقلوبهم سوداء وغارقون في المعصية ويجهلون اللاهوت) ضروريون بالنسبة للأمل المسيحي في الخلاص . لم يهتم اللورد الإنجليزي بالبحث عما إذا كان الفلسطينيون يعيشون في فلسطين ، كما أنه لم يبال بحقيقة أن الشعب وأرضه لم يكونا ملكاً له حتى يتبرع بهما . لقد قال ببساطة : إن أرض فلسطين هي في متناول اليد، والنص الذي استعمله يقول : إن فلسطين (بلاد بدون أمة ، لأمة بدون بلاد) وقد استعمل هذه العبارة فيما بعد اليهود الصهاينة حيث رددوا : (أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض).

وفي مساعيه لنقل اليهود إلى دولة يهودية بالكامل، مارس اللورد الإنكليزي تأثيره على عمه، اللورد بالمرستون ، وزير الخارجية البريطاني، لفتح قنصلية بريطانية في القدس . ومن خلال تعيين الإنجليزي المتفاني وليم يونغ نائباً للقنصل في القدس في عام ١٨٣٩ ، فإن وزير الخارجية أعلن بصورة خاصة أن عليه حماية كل اليهود الذين يعيشون في فلسطين ، التي كانت في ذلك الوقت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . في ذلك العام، كان يعيش في فلسطين ٩٦٩٠ يهودياً . وكان هذا العدد يشمل المواطنين اليهود والغرباء منهم على السواء .

استناداً إلى الحقوق التي تتضمنها المعاهدات القائمة ، فإن حماية القنصلية البريطانية تطبق فقط على اليهود الأجانب - الذين يحملون جنسيات أخرى - ، الذين يقيمون في فلسطين .

ومن جهة ثانية ، فإن اليهود المواطنين بقوا خاضعين لحكم السلطان باعتبارهم رعايا الإمبراطورية العثمانية . مع ذلك ، فإن نائب القنصل البريطاني، رغبة منه في أن يعرف العبرانيين ، في فلسطين على مدى رعاية الحكومة البريطانية لهم ، وسع إطار الحماية لتشمل كل يهود فلسطين .

لم يكن للبريطانيين الحق في توسيع السيادة على مواطنين يهود يعيشون في فلسطين، أكثر مما كان لدى فرنسا وإسبانيا من الحق لتوسيع سيادتهما لتشمل مواطنين كاثوليكاً يعيشون في فلسطين . فالعمل البريطاني لم يكن فقط تدخلا في

الشؤون الداخلية لدولة أجنبية، ولكنه أقام حجر الزاوية للصهيونية: فقد أكدت على الوحدة الوطنية لجميع اليهود.

في عام ١٨٤١، كتب هنري تشرشل (ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط) إلى موسى مونتغيور، رئيس مجلس الممثلين اليهود في لندن: «لا أستطيع أن أخفي عليك رغبتى الجامحة في أن أرى شعبك يحقق مرة أخرى وجوده كشعب. إننى أعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقة، ولكن لا بد من توفر أمرين لا غنى عنهما، أولاً إن على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمى وبالإجماع، ثانياً إن على القوى الأوروبية أن تساعدهم».

في عام ١٨٤٥ اقترح إدوارد بتفورد من مكتب المستعمرات في لندن، «إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم». وقال: «إن دولة يهودية ستضعنا في مركز القيادة في الشرق بحيث تتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدى لهم عند الحاجة».

ومع ذلك فإن يهود أوروبا لم يظهروا سوى القليل جداً من الرغبة لتترك أوطانهم والهجرة إلى فلسطين.

لمدة ١٥٠ عاماً كان المسيحيون في الدرجة الأولى في بريطانيا وكذلك في مناطق أخرى من أوروبا، وبعد ذلك وبدرجة كبيرة في أميركا والمدافعين الوحيدين عن الصهيونية. البروتستانتيون عملوا منفردين في إصرارهم على أن فلسطين تخص اليهود، وعلى حد كل اليهود للتوجه إلى هناك والعيش منفصلين عن العامة (جنتيل). ولمدة قرن ونصف القرن، فإن المسيحيين قادة الحركة الاستعمارية الغربية لم يحصلوا على دعم من اليهود في حركتهم الصهيونية غير اليهودية.

إن المسيحيين الذين كانوا يتصدرون هذه الحركة، كانوا بدون استثناء، من البروتستانت المداومين على زيارة الكنائس. إن عبارة المسيحيين الصهاينة أو الجنتيل الصهاينة يمكن أن يساء تفسيرها، أو أنها قد تعنى صهيونية ذات دوافع توراثية أو لاهوتية. تقول رجينا شريف في كتابها «الصهيونية غير اليهودية» «بالإضافة إلى عامل النفوس فإن للمسيحيين الصهاينة أسباباً سياسية» وتذكر أن هذه الأسباب كانت منذ البداية أكثر أهمية من الاعتقادات الدينية.

بصرف النظر عن أسباب تأييد الحركة الإصلاحية البروتستانتية، فكرة إنكلترا

وأوروبية متحررتين من كل اليهود، فإن العديد من اليهود الصهيونيين اليوم يقولون: إنهم مسرورون لتصرف المسيحيين بهذه الحرارة . إنهم ينسبون الفضل إلى المسيحية الصهيونية في مساعدة الصهيونية اليهودية الحديثة لتحقيق هدفها : خلق دولة يهودية حيث لا يرحب بغير اليهودى مواطناً فيها.

فى السادس من فبراير ١٩٨٥ ، ألقى سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة بنجامين ناتنياهو خطاباً أمام المسيحيين الصهاينة قال فيه : «... لقد كان هناك شوق قديم فى تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل . وهذا الحلم الذى يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين».

إن كتابا ورجال دين وصحفيين وفنانين ورجال سياسة إنكليز وأميركان ، أصبحوا محركين لعملية تسهيل عودة اليهود إلى وطنهم المهجور .

«على سبيل المثال ، كان هناك اللورد ليندسى الذى كتب فى عام ١٨٤٠ يقول : إن العرق اليهودى الذى احتفظ به بصورة مدهشة ، يمكن أن تكون له مرحلة ثانية من الوجود الوطنى ، ويمكن أن يحصل مرة ثانية على أرضه الوطنية» . وكان هناك جورج كراولر، الذى حث فى عام ١٨٤٥ على إعادة إحياء حقول فلسطين ومزارعها بواسطة شعب حيوى تنغرز عواطفه الحارة بالأرض .

وأضاف السفير ناتنياهو : «إن المسيحية الصهيونية لم تكن مجرد تيار من الأفكار . إن مخططات عملية وُضعت فعلا من أجل عودة اليهود . ففي عام ١٨٤٨ ساعد ودرر كريسون القنصل الأمريكى فى القدس على إقامة مستوطنة يهودية فى «وادي رقيم» بدعم من جمعية مسيحية - يهودية مشتركة فى إنكلترا . وتولى كلود كوتدور ، مساعد اللورد كيتشنر ، إجراء مسح شامل عن فلسطين مؤكداً «أن باستطاعة اليهود إعادة إصلاحها لتسترجع مجدها الغابر» .

وقال ناتنياهو أيضاً : «لقد قدم المسيحيون دعماً طويلاً متواصلاً وناجحاً للصهيونية، وهو دعم أعرب عن نفسه فى الأدب الإنكليزى مثل رواية جورج ايليوت عن الصهيونية التى تدعى «دانيال ديوندا» ، التى تنبأت بأن يقيم اليهود كياناً جديداً، يكون كياناً عظيماً ، بسيطاً كالكيان القديم... لأنه ستكون هناك بلاد فى الشرق تحمل ثقافة وعطف كل الأمم العظيمة ، فى قلبها» .

وقال ناتنياهو كذلك : «المسيحيون ساعدوا على تحول الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية» . وأضاف : تصوروا ، مثالا على ذلك ، القنصل الأمريكى فى القدس ادوين شارمن والس الذى كتب فى عام ١٨٩٨ : «إن الأرض بالانتظار .

والشعب على استعداد للمجىء . سيأتى فور أن تتأمن الحماية للحياة وللممتلكات . . . يجب أن نقبل بذلك ، وإلا فإن الرؤى العديدة التى تأكدت بإيجابية يجب أن تعتبر عديمة الجدوى . . . (ومع ذلك) فإن الحركات الحالية بين اليهود فى مناطق متعددة من العالم ، تشير إلى إيمانهم بما تؤكده هذه الرؤى . إن عيونهم تتجه نحو الأرض التى كانت لهم ، وإن قلوبهم تهفو إلى اليوم الذى سيستطيعون أن يعيشوا فى هذه الأرض كشعب بسلام» .

وقال ناتياهو : «إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأميركان ، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج أو ارثر بلفور ، وودرو ويلسون ، فى مطلع هذا القرن . إن الكتاب المقدس ذكر هؤلاء الرجال . إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال ، الذين لعبوا دوراً رئيساً فى إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية .

وهكذا فإن تأثير المسيحيين الصهاينة على الساسة الغربيين هو الذى ساعد اليهودية الصهيونية الحديثة على تحقيق هدفها فى إعادة ولادة إسرائيل .

«إنه الشعور بالتاريخ ، إنه الشعور بالشعر ، إنه الشعور بالأخلاقيات الذى اتسم به المسيحيون الصهيونيون والذى كان حافزهم قبل قرن من الزمن للكتابة ، والتخطيط ، والتنظيم من أجل إحياء إسرائيل . . . وهكذا فإن الذين سيستغربون ما يعتقدون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها من المسيحيين ، يعكسون جهل الأمرين معاً . إننا نعرف أفضل . نعرف الروابط الروحانية التى تشدنا بإحكام وبثبات . «نعرف الشراكة التاريخية التى أدت دورها بشكل جيد لتحقيق الحلم الصهيونى» .

لم يكن حلم هرتزل روحانياً . كان جغرافياً . كان حلمًا بالأرض والقوة والمناطق . وعلى ذلك ، فإن السياسة الصهيونية ضللت الكثير من اليهود .

من أجل مصادرة أرض فلسطين بضمير مرتاح ، كان على الصهيونيين أن يحسبوا أن الشعب الذى يملك الأرض لم يكن موجوداً . وقد ادعى الصهيونيون السياسيون أنه لم يكن هناك فلسطينيون يعيشون فى فلسطين . دهش المهاجرون اليهود عندما اكتشفوا أن سكان فلسطين الآخرين ، يشكلون ٩٣ بالمئة من السكان . ويروى الكاتب الإسرائيلى آموس آلون أنه فى عام ١٨٩٧ بكى أحد مساعدى هرتزل وهو يقول للقائد الصهيونى : «ولكن هناك عربا فى فلسطين . إننى لم أكن أعرف ذلك» .

يقول الكاتب اليهودى الأمريكى أى. اف. ستون: لقد كرهنا الاعتراف بأن العرب موجودون هناك، كنا نعرف بأنهم هناك ولكننا تظاهرنّا بأنهم غير موجودين. تصور لو كنت طبيب أسنان، أو طبيباً عادياً فى القدس أو فى حيفا، أو أنك تملك منزلاً عربياً صغيراً فى ريف يافا، (لقد كان هناك منازل عربية جميلة هناك)؛ أو تصور لو كنت مزارعاً، أو أن لك أعمالاً، أو أنك كنت تذهب إلى المدرسة، فجأة. أطيح بكل شىء. خسرت بيتك، وعملك، ومدرستك، وبلدك، إنك ستشعر بالمرارة، لا غرابة فى ذلك. وسوف يتملكك اليأس.

يقول موش مانوچين، والد عازف الفيولين يهودا مانوچين: إنه انتقل إلى الدولة اليهودية الجديدة على أمل أن يجد جنة روحية، ولكنه اكتشف أن الصهيونيين «لا يعبدون الله ولكنهم يعبدون قوتهم». وفى عام ١٩٨١ وجه مانوچين رسالة إلى وكان عمره ٨٨ سنة، شكّا فيها من «الانهيار المأساوى» للنبوة اليهودية التى استبدلت، كما قال، بالسياسة الصهيونية.

فى مقابلة مع صحيفة «بوست» المقدسية وصف عازف الفيولين اليهودى الأمريكى اسحق شترن الدولة الصهيونية بأنها «حلمى المطلق».

ويقول الكاتب مارك بروزونسكى الاختصاصى بالكمبيوتر وهو من مدينة واشنطن: إن السياسة الصهيونية هى حلم ملطخ. وقبل أن ينفصل عن الصهيونية عمل بروزونسكى مع المنظمات اليهودية الصهيونية. وهو يقول: إننى كسياسى ليبرالى كنت أنظر إلى الصهيونية بدرجة متفاوتة من الحماس، على أنها الترجمة اليهودية لتقرير المصير. أما لماذا غير رأيه فى الصهيونية؟

فيجيب: ببساطة، لقد تعلمت الكثير. بدأت القراءة. إن على اليهودى أن يعمل من أجل الصهيونية، ولكن ليس عليه أن يقرأ الكثير عنها. على اليهودى أن يتقبل تاريخ الصهيونية ولكن دون أن يدرسها حقيقة.

ولما سألته: كيف يمكن تعريف الصهيونية؟ أجاب:

«البعض يعرف الصهيونية على أنها نهاية المنفى وتجمّع كل اليهود.

معظم العرب يعرفون الصهيونية على أنها: نوع من العنصرية الاستعمارية. ولقد صوتت وفود الأمم المتحدة على إدانة الصهيونية كنوع من أنواع العنصرية.

جورج أوريول يقول : إن للصهيونية العناصر العادية للحركة الوطنية . غير أن الترجمة الأميركية لها تبدو أشد عنفاً وضرراً من البريطانية». المؤرخ البريطانى توينبى وصف الصهيونية بأنها «عبادة إله زائف»، إنها «ديانة وثنية» .

ولكن ما هو تعريف بروزونسكى للصهيونية؟ يرد بالقول : «إننى أعتبر الصهيونية حركة سياسية توسعية استعمارية. أدت إلى خلق إسرائيل . وأنا أعتبر الصهيونى بأنه الذى يوافق على أعمال إسرائيل بصرف النظر عن مدى خطورة أو خطأ هذه الأعمال» .

ومن خلال تعريفه أثير سؤال : هل يمكن تصنيف المسيحيين على أنهم صهيونيون؟. فرد بالإيجاب ، وقال : ما كان للصهيونية أن تنطلق لولا إرادة المسيحيين فى أن يضعوا اليهود فى «غيتو» يدعى دولة يهودية ، موقوف على اليهود وحدهم . إن المأساة هى أنه بعد أن قاوم اليهود هذه الفكرة ٢٠٠ سنة ، عادوا وتبنوها!

كما حث المسيحيون الصهيونيون الأوائل يهود أوروبا على التوجه إلى فلسطين لمصادرة كل ما يستطيعون مصادرته ، من الأرض ، كذلك فإن المسيحيين الصهيونيين أمثال جيرى فولويل ، يحثون اليهود على أن يذهبوا إلى ما يتعدى فلسطين ، وأن يطالبوا بكل الأراضى العربية التى تمتد من نهر الفرات فى الشرق حتى النيل فى الغرب .

فى السادس من فبراير ١٩٨٣ صرح فولويل لصحيفة كوريو تايمس - تلغرام ، فى تكساس ، أنه يفضل أن يصادر الإسرائيليون أجزاء من العراق ، وسوريا ، وتركيا ، والعربية السعودية ، ومصر والسودان ، وكل لبنان والأردن والكويت . وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين ، فهى كلها تخص اليهود . وقال فولويل فى هذه المقابلة : «لقد بارك الله أميركا لأننا تعاوننا مع الله فى حماية إسرائيل التى هى عزيزة عليه» .

لأن يهود أميركا - مثل اندى غرين - يعرفون أنهم يمكن أن يعتمدوا على دعم ٤٠ مليون مسيحي إنجيلي أصولي ، ولهذا فهم يصادرون الأرض من الفلسطينيين بقوة المسدس . ويقول غرين { الذى انتقل إلى إسرائيل فى عام ١٩٧٥ ولا يزال يحتفظ بجوازه الأمريكى } : ليس للعرب أى حق فى الأرض - فلسطين - إنها أرضنا على الإطلاق . هكذا يقول الكتاب المقدس . إنه أمر لا يناقش . من أجل ذلك فإننى لا أجدر أى مبرر للتحدث مع العرب حول إدعاءات منافسة لنا . إن الأقوى هو الذى يحصل على الأرض» .

«هانا بورات» ، وهو من قادة غوش المثقفين ، يقول : إن السيادة اليهودية على إسرائيل ، سرّ المملكة الكهنوتية، وكوننا أمة مقدسة، إن كل ذلك يشكل الشروط المسبقة أمام العالم حتى تتحد اليهود ثانية . وما لم يتم الالتزام بهذه الشروط المسبقة ، فلن يكون هناك سلام» .

جميع الصهاينة ، من المسيحيين واليهود وبصورة خاصة من قادة الحركات الإرهابية اليهودية كاخ وغوش امونيم - شاركوا - وجهة نظر بورات بالسر المسيحي . إنهم يرون أرض إسرائيل على أنها حقيقة مطلقة . يصر الصهيونيون المسيحيون واليهود على أن السرية الدينية هي جزء سليم من التراث الديني . إن الحاخام موش لفينغر، قائد الإرهابيين الذي أدين بتهمة التخطيط لاغتيال رؤساء البلديات الفلسطينيين ولتدمير قبة الصخر، يعرف الصهيونية لنفسه ولغيره :

«الصهيونية ، هي الإيمان بالغيب، تتلاشى الصهيونية إذا فصلتها عن جذورها الإيمانية الغيبية . الصهيونية هي حركة لا تفكر على أساس عقلاني، (على أساس السياسة العملية، والعلاقات الدولية ، والرأى الدولى والديمغرافى ، والديناميكية الاجتماعية) ، إنما على أساس الأوامر الإلهية . إن ما يهم فقط هو وعد الله لإبراهيم كما هو مسجل فى كتاب سفر التكوين .

لقد اقتطفت كلمات اندى غرين ، وهانا بورات ، والحاخام لفينغر من مقال نُشر فى صحيفة «صوت القرية» التى سبق أن أشرت إليها ، وعنوان المقال : داخل الحركة الإرهابية اليهودية السرية» الذى كتبه روبرت فريدمان .

زواج المصلح ..لماذا اعتقدت إسرائيل حلفاً مع اليمين المسيحيّ الجديد

ربما أكون نموذجاً للمسيحي الذي ترعرع قبل أن توجد إسرائيل على الخريطة . كل المسيحيين الذين أعرفهم في عام ١٩٤٨ رحبوا بخلق دولة يهودية في صلاتهم وتوسلاتهم . لم نقرأ ولم نسمع ولم نعرف سوى المظاهر الجيدة عن إسرائيل . كان تصوري للإسرائيليين نموذجياً إلى حد ما . كنت أنظر إليهم على أنهم شعب ، كادح ، منفتح العقل ، يحرثون ويحبون السلام . وباختصار تعاطفت معهم كالملايين غيري من الأميركيين لأنهم بدوا مثلنا رواداً أو أحفاد رواد خلقوا عالماً جديداً أفضل ، مما في منطقة متخلفة من الشرقيين ، كما كان يعتقد الكثيرون .

لم أكن أعرف شخصياً إسرائيليين في الخمسينات والستينات . وقد حصلت على تصوري عن إسرائيل وعن الإسرائيليين بصورة أساسية من اليهود الأميركيين الليبراليين الذين بذلوا جهوداً كبيرة من أجل قيام الدولة اليهودية . تعرفت على المستوطنين الأوائل من اليهود في فلسطين من خلال الكتب ومن خلال كتابات أخرى لكتاب يهود ، لقد كان تصورهم لوطن يهودي غنيا بالمثاليات . الصهيونيون الأوائل أعربوا عن تفانيهم من أجل إسرائيل تؤمن بالعدالة الاجتماعية لجميع مواطنيها وتحقق السلام مع جيرانها العرب الذين نزحوا عن أرضهم . اليهود الليبراليون مثل «هاأم ، وبوبر ، ومغنيز ومنوهين» اعتبروا الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين نقمة على الأرض ، واعترفوا بمعاناة الفلسطينيين الذين أصبحوا بلا مأوى ، وهكذا فإن اليهود الأميركيين ، ربما أكثر من أية مجموعة أميركية أخرى ، اعترفوا بمعاناة غيرهم من الأميركيين وعملوا على إزالتها ، كالسود والهنود الذين ذاقوا طعم التمييز .

كان لليهود الأميركيين الليبراليين روابط شديدة مع العمال الأميركيين وكان ينظر إليهم غالباً على أنهم عمود قوى في المؤسسة الليبرالية الشمالية حيث يأخذ

المسيحيون اليمينيون مبادراتهم على الأغلب . إن أفضل اليهود الليبراليين وأكثرهم حيوية يعيشون في الشمال الشرقي وفي مراكز مدينية رئيسة ، وخاصة في مدينة نيويورك ، لم يكونوا يهتمون ولم يكونوا يعرفون سوى القليل عن الأصوليين الإنجلييين ، الذين كانوا في أكثريتهم في الجنوب ، وفي الغرب والغرب الأوسط . كان بين المجموعتين القليل من القواسم المشتركة أو لعلّه لم تكن بينهما أية قواسم . معظم الأصوليين الجنوبيين كانوا محدودين وعنصرين بصورة علنية ، كانوا على اقتناع بأنهم كبروتستانت انجلوساكسون بيض البشرة، يتفوقون على السود والهنود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والهندوس والمسلمين ، واليهود .

إن من هؤلاء الأميركيين من آمن بشرعية الحقد والتفكير الضيق . إن مسيحي الجناح اليميني أمثال (جيرالد وينرود) الذي نشر في مجلته المدافع (ديفنذر) مبدأ ملحماً ضد اليهود وغيره من مسيحي الجناح اليميني بمن فيهم «جيرالد سميث» ، ووليم بيلي ، ووليم كلغرين ، ووسلى سويفت ، ووليم بلسينغ ، بشرروا بأن أميركا (مسيحية) ستكون أفضل بدون اليهود .

وفيما يتعلق باليهودى ، فإن الأصوليين الإنجلييين البيض ادعوا تفوقهم عليه ، ليس نتيجة للون جلدهم البيضاء كما هو الأمر بالنسبة للمسيحي الأسود، إنما لأنهم كمسيحيين آمنوا بالمسيح ، وبالتالي أصبحوا مخلصين ، بينما اليهودى - مع كل أولئك الذين يرفضون قبول ألوهية المسيح ، لا يؤمنون به .

بالإضافة إلى التباعد الجغرافى بين اليهود والأصوليين ، هناك أيضاً الاختلافات الايديولوجية والفكرية والتقليدية حول المسائل الاجتماعية ، فاليهود الليبراليون فى الشرق (من الولايات المتحدة) ومعهم العامة (الجتيل) يحتمون فى وجه البرنامج الاجماعى المحافظ والعدائى بالعديد من الأصوليين الإنجلييين مثل تأييدهم للمزيد من القنابل النووية ، والصلاة فى المدارس ، والإجراءات التى تمنع الاجهاض . اليهود الليبراليون الأميركيين تضافوا مع الليبراليين من الكاثوليك البروتستانت الأميركيين، لدعم إجراءات البناء ؛ وقد تزايدت صحة ذلك بعد قيام إسرائيل .

منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، اجتمع القادة اليهود الأميركيين بصورة منتظمة ومنسقة ، مع قادة كل من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك فى أميركا (الذى يمثل حوالى ٤٠ مليون كاثوليكى) والمجلس الوطنى للكنايس (والذى يمثل أيضاً حوالى ٤٠ مليون مسيحي). إن كنائس البروتستانت الليبرالية التى تمثل الكنائس المسيحية والكنائس الأسقفية، وكنائس الطريقة المتحدة - ميثوديست - كانت الأولى التى

شملت كتبها الدينية بين الأربعينات والخمسينات من هذا القرن - دراسات حول اللاسامية. لقد وافقوا على فصل الكنيسة عن الدولة ، وشجعوا العدالة السياسية ، وهو وضع شارك فيه معظم اليهود في أميركا.

في الستينات عندما كنت أعمل لمدة ثلاث سنوات في البيت الأبيض ، راقبت الرئيس جونسون وهو يحرك تشريعات الحقوق المدنية عبر الكونغرس للمساعدة على إنهاء التمييز ضد السود. وقد لاحظت أن اليهود كانوا أقوى مؤيدي هذه القوانين . فيما بعد ، عندما كتبت كتبًا تعالج موضوع معاناة الزنوج والهنود والعمال المكسيكيين غير المسجلين رسميًا ، علمت أن الليبراليين اليهود قدموا أكبر دعم لكتبي . لقد كان ذلك طبيعيًا لأن الأكثرية الساحقة من الفكر اليهودي في أميركا ولعدة عقود من الزمن كان فكرًا ليبراليًا .

في طور هذا الواقع ، متى ولماذا حاول اليهود الأميركيون واليهود الإسرائيليون التحالف مع الأصوليين الإنجيليين الأشد تطرفًا مثل جيرى فولويل؟

إذا لم تكن العلاقة المشتركة هي التي جمعت بين الأصوليين الإنجيليين واليهود ، فما الذى جمعهما؟ إن الإنجيليين التلفزيونيين يخبروننا باستمرار أن الدولة اليهودية تقدم لهم مكانًا حيث يقابلون المسيح ويعتقدون ببركته الخالدة. ولكن طالما أن جيرى فولويل وجيمى سواغات وبات روبرتسون ومعظم الإنجيليين التلفزيونيين ، يعتقدون أن كل يهودى سوف يقتل أو يتحول إلى المسيحية ، لماذا يتطلع اليهود إلى التعاون معهم؟ لم يتخلى اليهود عن معتقدات فكرية وإنسانية يلتزمون بها بعمق ، لإقامة تحالف مع الأصوليين اليمينيين؟

الحاخام رابى مارك تانينوم ، وهو ضابط ارتباط يهودى مع المسيحيين الأميركيين ، يقول : إن إسرائيل ومؤيديها الأميركيين أرادوا التحالف الجديد؛ لأن الليبراليين المسيحيين تخلوا عنهم ، وبصورة خاصة المجلس الوطنى للكنائس . ولخص تانينوم التغيير على النحو التالى :

«منذ حرب ١٩٦٧ ، شعرت المجموعة اليهودية أن البروتستانت تخلوا عنها . كما شعرت أنه تخلى عنها أيضًا جماعات متحلقة حول المجلس الوطنى للكنائس ، الذى وبسبب تعاطفه مع قضايا العالم الثالث ، أعطى الانطباع بأنه يدعم منظمة التحرير الفلسطينية . عند حدوث فراغ فى دعم الرأى العام لإسرائيل ، يبادر الأصوليون والمسيحيون الإنجيليون إلى ملئه» .

قادة المجلس ينفون اتهامات تانينوم بالتخلى عن يهود أميركا وإسرائيل ؛ تحدثت

إلى أحد القادة البارزين فى المجلس الدكتور تراسى جونز الذى أقام علاقة وطيدة وطويلة مع الحاخام تانينوم . فقال : «إن المجلس فى سياساته ومواقفه الحقيقية بقى بقرار منه مواليا لإسرائيل». وقال القس هافرى والتس من الكنيسة المسيحية وأحد البارزين فى المجلس : «إن عدداً من القادة البروتستانت تورطوا فى معاناة الفلسطينيين المشردين وشمولهم فى نداءاتهم حول العالم للحصول على الدعم . كانت وجهات نظرهم متجانسة مع مجلس الكنائس العالمى فى جنيف والذى يمثل أكثر من ٣٠٠ كنيسة بروتستانتية وإنجيلية ، أرثوذكس وكاثوليك تقليديين من ١٠٠ دولة . وقال الدكتور والتس : «كان المجلس ينوى إعداد بيانات يظهر فيها اهتمامه بالمعاناة الفلسطينية . وكان جميع قادة المجلس حريصين على إصدار مثل هذه البيانات بحيث تكون بيانات منصفة لجميع أطراف الصراع وتوفيقية بقدر الإمكان . وجاهد قادة المجلس باستمرار من أجل الوقوف فى كل قضايا الشرق الأوسط خدمة لمصالح الجميع بما فى فى ذلك إسرائيل ، غير أن مؤسسة الأميركيين الصهاينة نسفت كل جهد متوازن ووصفته بأنه يفتقر إلى قدر كاف من التأييد ، وبالتالي فهو معاد» .

بالإضافة إلى ذلك ، أُجريت مقابلة مع الدكتور فرانك ماريا فى نيوهامشير الذى صرف حياته فى بحث العلاقات الإنسانية والتواصل ، فمن موقعه كعضو فى مجلس إدارة المجلس الوطنى للكنائس قاد ما وصفه «خطة الله للسلام» والتي تقوم على المعتقدات الروحية للديانات التوحيدية الثلاث فى المنطقة . سألت الدكتور ماريا ماذا عن اتهام الحاخام تونينهام بشأن تخلى المجلس عن موقفه من إسرائيل ؟ فأجاب : «قبل حرب ١٩٦٧ ، كان الحاخام تونينهام يفاخر بأن المجلس كان لا يذيع أى بيان من دون موافقته . إننى لا أريد أن أقول إن هيئة المجلس كانت مجرد أداة ختم بيد إسرائيل وكأنها كانت تتجاوب مع ضغوط ومع حماقات المجموعة اليهودية الأميركية ، كما كانت أقل أكثرأثماً مع استغاثات المسيحيين والمسلمين فى الشرق الأوسط». وقال أيضاً : «إن المجلس لم يتخلَّ عن الحاخام تونينهام وعن غيره من مؤيدى إسرائيل . غير أن إسرائيل ومؤيديها فى هذه البلاد قرروا أن باستطاعتهم الحصول على مساعدة أخرى - من الإنجيليين الأصوليين - معتقدين أنها ستكون ذات قيمة أكثر» .

تساءلت باستغراب ، لماذا تعتبر إسرائيل أن الإنجيليين الأصوليين مثل فولويل ، هم أكثر فائدة لها من الدكتور ترسى جونز وغيره من قادة المجلس الوطنى

للكنائس؟ رد الدكتور ماريا : (الذى ولد والداه فى سوريا) : «كل شىء تغير بعد حرب ١٩٦٧ . أصبح الأميركيون ينظرون بصورة عامة إلى إسرائيل نظرة مختلفة . حتى عام ١٩٦٧ كانوا يرون فى إسرائيل « داود الصغير » تستهدفه قوى عربية «-غوليا -» متفوقة عليه . وفجأة هاجم الإسرائيليون جيرانهم . ضربوا الطيران المصرى على حين غرة ودمروه على الأرض بهجوم مماثل لهجوم بيرل هاربور . دخل الإسرائيليون إلى سيناء ، وسيطروا على الضفة الغربية والقدس العربية وكل قطاع غزة ومرتفعات الجولان» .

«كنت أشاهد على التلفزيون ، كل يوم من أيام حرب ١٩٦٧ ، الإسرائيليين يقتلون المصريين وكأنهم نمل . وشاهدت إسرائيليين فى مرتفعات الجولان يقتلون سوريين يشبهون أمى وأبى» .

وأضاف الدكتور ماريا يقول : «شاهدت جنوداً إسرائيليين يحملون الحراب وهم يدفعون بالنساء الفلسطينيات وبالأطفال عبر جسر اللمبى إلى الأردن . لقد رأيت فى هؤلاء النسوة أمى وسقيقتى .

ومع ذلك كنت أعرف أنه فى الوقت الذى كان العرب يضطهدون ويقتلون على أيدى الإسرائيليين ، كان الكثير من الأميركيين من المسيحيين واليهود يتفرجون على التلفزيون مصفيين» .

«لقد ولدت فى هذه البلاد ، وحاولت كل حياتى أن أعيش كأمركى جيد . منذ عام ١٩٦٧ عملت مع مؤسسات تعنى بالشؤون الإنسانية والثقافية والنشاطات السياسية للمساعدة على إقامة سياسة موالية لأميركا وموالية للسلام فى الشرق الأوسط والتي أعتبر أنها تحتل الأولوية فى التحديات العالمية التي تواجه أميركا . ولكن أن يصفق الأميركيون لقتل المسيحيين والمسلمين لأنهم يعتقدون أن جميع العرب سيئون ، فإن ذلك أدى إلى اسوداد الدنيا فى عيني . إن شعورى بالعمل من داخل الكنائس المسيحية تعرض فى تلك اللحظة إلى اليأس الشديد .

دعا الدكتور ماريا فى عام ١٩٦٧ قادة مسيحيين أميركيين آخرين إلى مؤتمر عقد فى بوسطن ، ووجهوا نداء إلى الرئيس جونسون ليأمر إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية والقدس العربية وغزة ومرتفعات الجولان . ويقول الدكتور ماريا : «إن الانسحاب لم يحدث . ولكننا على الأقل استطعنا أن نجعل بعض الأميركيين يدرك أن هناك ظلماً تؤيده حكومتنا . وفى إحدى المرات ، عندما سأل أحد قادة إسرائيل الرئيس جونسون الاعتراف بأن المناطق التي انتزعت من العرب فى عام

١٩٦٧ هي جزء من إسرائيل أجاب الرئيس: «إنك تسألني الاعتراف بحدودك. إنك لم تحدد حدود إسرائيل أبداً».

شغل موضوع «حدود إسرائيل» الأمم المتحدة أكثر من أى موضوع آخر. لقد كانت الأمم المتحدة هي التي أوصت بإقامة إسرائيل كـفلسطين يهودية إلى جانب فلسطين عربية، وحددت حدود إسرائيل في عام ١٩٤٨. منذ ذلك الوقت، غيرت إسرائيل باستمرار هذه الحدود - كانت تطبع خرائطها الخاصة وتضمنها الأراضي التي كان بعض قادتها مثل مناحيم بيغن، يقول: إن الله أعطها إلى اليهود. لم تعترف ولم توافق أية أمة على الأرض بالحدود التي أعطتها إسرائيل لنفسها.

قادة العالم كافحوا من أجل الالتزام بالقرار ٢٤٢ الذي أقرته الأمم المتحدة. مثل بريطانيا في الأمم المتحدة اللورد كارادون وجمع عناصر القرار رقم ٢٤٢ الذي يشير إليه قادة دول العالم باستمرار على أنه الأساس الأفضل للسلام في الشرق الأوسط.

خلال زيارتي لـندن في عام ١٩٨٢ قابلت اللورد كارادون الذي توجه إلى القدس لأول مرة في العشرينات من هذا القرن، ليخدم بصفته أصغر عنصر في حكومة الانتداب البريطانية على فلسطين. وقد حدثني عن تلك الأيام فقال:

« في الأسبوع الأول من وصولي، شهدت اضطرابات حائط المبكى في عام ١٩٢٩. عملت في فلسطين خلال الثورة العربية في أواخر الثلاثينات والتي شهدت اضطرابات عنيفة. بقيت في نابلس حوالي عشر سنوات وفي عمان ثلاث سنوات. ومرة سرت وحيداً من صيدا إلى دمشق عبر قمة جبل حرمون. وكنت أستقبل بلطف من أهالي القرى. أعرف كل قرية إلى الشمال من القدس».

وتحدث اللورد كارادون عن سنوات المجازر في ألمانيا وشرح كيف أن العالم الغربي الذي شعر بتعاطف مع اليهود، حفر في فلسطين وطناً لضحايا النازية. «لقد فرض على العرب أن يدفعوا ثمن جرائم هتلر». إنه يعتقد أنه كان بإمكان العرب والإسرائيليين أن يبشروا بسلام لو توفرت في تلك الأيام العدالة للفلسطينيين. «لقد ازدادوا حرماناً بعد حرب ١٩٦٧» إن شرعة الأمم المتحدة وغيرها من القوانين الدولية، بما فيها اتفاقيات جنيف، تنص كلها على أنها لا يحق لأية دولة أن تحتفظ بأراضي احتلتها بالقوة العسكرية.

على أساس هذه القوانين الدولية بنى كارادون القرار (٢٤٢) الذي قال: إن

لكل دولة فى الشرق الأوسط ، بما فيها إسرائيل ، حق الوجود بسلام داخل حدود آمنة ، وقال أيضًا : إن على إسرائيل أن تعيد إلى السيادة العربية كل الأراضى التى احتلتها - إسرائيل - فى حرب ١٩٦٧ . ويذكر كارادون بحماس أنه بمجرد أن طرح الموضوع على التصويت رأى يد المندوب السوفياتى فاسيلى كورنتسو ترتفع مؤيدة القرار، إلى جانب يد المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة آرثر غولدبرغ . وهكذا فى نوفمبر ١٩٦٧ ، أقر مجلس الأمن القرار ٢٤٢ بالإجماع . وقال اللورد كارادون معلقًا : لقد مر الآن عقدان من الزمن منذ الموافقة على القرار ولم تتمتع إسرائيل خلال ذلك بيوم واحد من السلام» .

سألت لماذا ؟ فأجاب :

«إن الولايات المتحدة لم تطلب وحتى لم تشجع إسرائيل على الانسحاب من الأراضى التى تسيطر عليها بصورة غير شرعية . بل إن الولايات المتحدة زودت إسرائيل بالدعمين المالى والمعنوى الكاملين حتى تواصل أستمرار تجاهلها موجبات الأمم المتحدة فى إعادة الأراضى واستتج اللورد كارادون بعد ذلك : إن القرار ٢٤٢ مهم لأنه ينص على الضرورة الهامة لانسحاب إسرائيل من أراضى العرب فإذا تمكنا من تحقيق انسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية ، فإن كل شىء يمكن أن يحدث بعد ذلك» .

القائد الإنجلينى دوغلاس كريكر «من دنفربكولورادو» أعدّ ورقة تحليل مطول لإسرائيل والقادة اليهود الأمريكان ، أشار فيها إلى أنه نتيجة لحرب ١٩٦٧ العدوانية ، فإن إسرائيل تواجه خيارين اثنين : إما أن تحقق السلام من خلال الانسحاب من «أراض غنمتها بالحرب» ، وفق لغة شرعة الأمم المتحدة والقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ؛ وإما أن تواصل الاعتماد على قوة عسكرية تتعاضم باستمرار .

إذا عمل الإسرائيليون بالخيار الثانى، وواصلوا التضخم العسكرى ، (وهو ما يحثهم كريكر عليه بصفته مؤمنًا بالتدبيرية) فإن على الإسرائيليين والأميركيين اليهود أن يواجهوا خطر انفجار اللاسامية .

بسبب السيطرة الإسرائيلية العسكرية على أراض عربية، فإن ظهور اللاسامية فى الغرب يمكن أن ينطلق .

ويقول كريكر يمكن منع حدوث ذلك من خلال تحالفها - إسرائيل - مع اليمين المسيحى الجديد . وذكر قادة إسرائيل واليهود الأمريكيون أن الأصوليين الإنجلييين ، مثل اليهود الأرثوذكس ، مغرمون بالأرض التى وعد الله بها إبراهيم وذريته . وأن

إسرائيل تستطيع أن تستعمل الإنجيليين الأصوليين لتعكس من خلال شبكاتهم الإذاعية والتلفزيونية الواسعة صورة إسرائيل التي يريدها ويتقبلها ويؤيدها الأميركيون.

فوق ذلك ، يقول كريكر ، إن اليمين الدينى يستطيع أن يبيع الأميركيين فكرة «أن الله يريد إسرائيل عسكرية ومسلحة» . وأنه كلما أصبحت إسرائيل عسكرية أكثر ، فإن اليمين الدينى فى الولايات المتحدة يؤيدها أكثر ، ويصبح متعلقًا بها أكثر .

فى عام ١٩٦٧ دعا المجلس الوطنى للكنائس إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية . وقد اتخذت هذه المبادرة بصورة خاصة الكنائس السلمية فى المجلس ، - بما فى ذلك كنائس الكويكرز - ومينونايت وميثوديت التى أصبحت مع الوقت متشددة أكثر فى الحث على دراسة الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى .

افتتح المجلس الوطنى للكنائس مكاتب له فى مدينة واشنطن وتحديث أعضاؤه من وقت لآخر مع أعضاء فى مجلس الشيوخ ومع ممثلين عن قضايا الشرق الأوسط وأدلووا بشهادات أمام لجان الكونغرس حول ظروف الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية . ولكن لم تتضمن المطبوعات الكنسية مقالات تقدم لقرائها وجهات نظر الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى من الصراع إلا فى مرات قليلة .

بعد أن قدمت الكنيسة الأسقفية قراراً بشأن «انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان وللقانون الدولى» والذى دعا إلى قطع المساعدات الأميركية ، أرسل المجلس الوطنى للكنائس وفداً إلى الضفة الغربية لدراسة هذه الاتهامات ، وعلى أساس مقابلات عديدة مع سكان عن مختلف شرائح المجتمع ، أصدر المجلس بياناً فى عام ١٩٨٠ انتقد فيه سياسات الاحتلال الإسرائيلى ، وأيد إقامة دولة فلسطينية منفصلة فى غزة والضفة الغربية . وأصدر مجلس الكنائس العالمى فى اجتماعه فى فانكوفر فى عام ١٩٨٣ قراراً مماثلاً . وكان المجلس الوطنى للأساقفة الكاثوليك قد أصدر منذ عام ١٩٧٤ قرارات تحث على إيلاء الحقوق الفلسطينىة وإقامة دولة فلسطينية عناية أكبر .

بصورة عامة ، فإن استمرار الاحتلال الإسرائيلى غير المشروع للأراضى العربية ، لم يحظ سوى باهتمام قليل من قبل أكثرية المسيحيين الأميركيين الليبراليين . فقد بقوا على ولائهم لإسرائيل فى قضايا الشرق الأوسط . ومع ذلك ، مع أن احتفاظ إسرائيل بالأراضى العربية لم يغير صورة إسرائيل فى أذهان

معظم الليبراليين المسيحيين ، فإن مؤشراً على إمكانية التغيير كان كافياً لإزعاج الصهيونيين .

يقول ليون هادر في صحيفة «بوست» المقدسية ، «إن الخط العام من القادة المسيحيين استوعب إسرائيل على أنها دولة عنصرية وإمبريالية» .

حتى ولو كان ذلك صحيحاً (قادة المجلس الوطني للكنائس يصرون على أنه ليس كذلك) فإن القادة الإسرائيليين وقادة اليهود الأميركيين ، قرروا أنهم حتى إذا خسروا دعم المجلس كلياً ، فإن خسارتهم لن تكون فادحة . لقد كان ذلك صحيحاً لثلاثة أسباب : أولاً ، إن القادة الإسرائيليين وقادة اليهود الأميركيين كانوا على ثقة من أن الصف الأمامي من قادة الكنيسة لن يحتجوا بشدة على احتلالهم للأراضي العربية ، وهذا ما حدث بالفعل ، إن الصهيونيين يشعرون باطمئنان إلى أنه رغم أن بعض الأفراد الليبراليين من قادة البروتستانت والكاثوليك استهجنوا معاناة الفلسطينيين ، وذكروا ذلك في مناسبات نادرة ، فإن القضية بالنسبة لهم لم تكن أكثر أهمية من قضايا أخرى مثل التمييز العنصري في جنوب إفريقيا ، وسباق التسلح ، وانتهاك حقوق الإنسان في أميركا الوسطى .

وفي الوقت نفسه فإن قادة المجلس وقادة كنائس ليبرالية أخرى يحتفظون بأوثق روابط الصداقة مع مؤيدي إسرائيل من اليهود . ففي معظم المدن الأميركية ، يعمل قادة اليهود الأميركيين في المجالس البلدية وفي المستشفيات والجامعات والمجالس الإقليمية للرعاية .

عندما يلتقى قساوسة مسيحيون من الولايات المتحدة مع كهنة يهود لتطوير التفاهم بين المسيحيين واليهود في أميركا ، فإنهم يتجاهلون أى التزام بالمسيحيين والمسلمين العرب في الأراضي التي يحتلها إسرائيليون يهود .

لقد فضل القادة الصهاينة اليهود تغيير التحالفات من المسيحيين الليبراليين إلى المحافظين لسبب ثان ، وهو : كسب دعم أشد حرارة . إن المجلس الوطني للكنائس يمثل حوالي ٤٠ مليون مسيحي . الكنائس الإنجيلية الأصولية تمثل عدداً مماثلاً . ولكن إذا تحدث أحد المسيحيين الليبراليين من الأربعين مليوناً ضد مصادرة إسرائيل للأراضي العربية ، فإن هذا السلوك المفرد لن يكون له تأثير يذكر ، بالمقارنة مع الأربعين مليوناً إنجيلياً أصولياً الذين يؤمنون بقوة أن الله نفسه يريد أن تحصل إسرائيل على أى جزء من الأراضي العربية وعلى الأرض العربية التي تتمكن من مصادرتها .

أدرك قادة إسرائيل واليهود الأميركيين أنه لا يوجد في الصف الأمامي من المسيحيين ما يعادل التعصب العسكري للأصوليين . بالنسبة لهم تشكل إسرائيل اهتماماً دينياً قسواً مرتبطاً بخلاصهم . من بين كل القضايا السياسية فإنهم يعيرون إسرائيل أولوية مطلقة . من أجل ذلك يقدمون دعماً كاملاً لا يناقش للدولة الصهيونية .

وهناك سبب ثالث لتحول مؤيدي إسرائيل إلى ما يسمى بالمسيحية المتشددة أو الصلبة . وهو أن العديد من قادة المجموعتين يعتقدون بحاجة إسرائيل إلى مزيد من السلاح ، بجيوش أكبر ، بقنابل أكثر ، لتحقيق أهدافها بالقوة العسكرية .

منذ أن حصرت إسرائيل نفسها . مع بداية عام ١٩٦٧ ، بين ذراعى اليمين المسيحي الشديدين ، وبصورة برغماتية ، حملت العديد من قيادات الصهاينة اليهود في الولايات المتحدة على أن تحذو حذوها . «ناتان بيرلتر» من حركة بناي بريث يقدم لنا أكثر التوضيحات دقة حول أسباب العناق بين يهود الولايات المتحدة والأصوليين . ويقول أولاً : إنه يشعر أنه مثال لليهودى الأميركي من حيث إنه يقيس كل موضوع من مواضيع الحياة بمقياس واحد وهو : «هل هو صالح لليهود؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب انتقل إلى المواضيع الثانوية» .

يعتقد جيرى فولويل أن على اليهود الليبراليين تأييده لأنه يؤيد إسرائيل . ويحتل هذا الأمر المرتبة الأولى عند بيرلتر . فاليهود الليبراليون قد لا يتوافقون مع فولويل حول سياساته المحلية بشأن المزيد من القنابل النووية ، والإجهاض ، والصلاة فى المدارس . غير أن بيرلتر يقتنع بأن هذه مشاكل ثانوية . ففى كتابه «اللاسامية الحقيقية فى أميركا» يقول بيرلتر: يستطيع اليهود أن يتعايشوا مع كل الأولويات المحلية لليمين المسيحي التى يختلف معهم حولها اليهود الليبراليون ، لأنه ليس بين هذه الشؤون ما هو فى أهمية إسرائيل» .

ويلاحظ بيرلتر أن الأصوليين الإنجيليين يفسرون نصوص الكتاب المقدس بالقول: إن على جميع اليهود أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقتلوا فى معركة هرمجدون . ولكنه يقول فى الوقت نفسه : «نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل . . فإذا جاء المسيح ، فسوف نفكر بخياراتنا فى ذلك اليوم . أما فى الوقت الحاضر، دعونا نصلى للرب ونرسل الذخيرة» .

لقد تبنى بصورة متزايدة غيره من القادة اليهود هذا النهج . ويحث اريفينغ كريستول ، (وهو ناطق بارز باسم المجموعة اليهودية المثقفة فى نيويورك) اليهود

الأميركيين على تشكيل تحالف أوثق مع جيرى فولويل وغيره من الجناح اليميني المحافظ. ويكتب كريستول فى صحيفة كومنترى فى يوليو ١٩٨٤ قائلاً . . .

الليبرالية هى فى موقع دفاعى. وعلى اليهود أن يتعدوا عنها. إننا مكرهون على اختيار حلفائنا حيث نجدهم وكيفما نجدهم». ويعتقد أن أمام اليهود الأميركيين أولوية مطلقة، هى إسرائيل، بما أن فولويل و«الأكثرية المعنوية» تدعم إسرائيل، فإن على اليهود الأميركيين بالمقابل أن يؤيدوا تأييداً ساحقاً المحافظين الجدد. بالنسبة إلى كريستول، تصبح الدولة الصهيونية الالتزام المعنوى المطلق، وأساس كل المبادئ المعنوية الأخرى. ويقول فى كتابه: .

لو علم اليهود الأميركيون قبل ١٥ عاماً أنه ستقوم حركة نهضة بروتستنتية قوية محافظة كقوة سياسية ودينية، لتملكهم الذعر، ذلك أنهم كانوا سيتوقعون أن أية نهضة من هذا النوع ستكون معادية للسامية ومعادية لإسرائيل. غير أن «الأكثرية المعنوية ليست كذلك».

أكثر من ذلك أن كريستول (وهو أستاذ الفكر الاجتماعى فى كلية إدارة الأعمال فى جامعة نيويورك) يرى أن «الأكثرية المعنوية» مؤيدة لإسرائيل بقوة. وللتأكيد على ذلك يقول: أحياناً يردد المبشر الأصولى أن الله لا يستمع إلى صلاة اليهودى، ولكن «لماذا على اليهود أن يكثرثوا لنظريات المبشر الأصولى طالما أنهم لا يؤمنون للحظة واحدة، أنه يتمتع بأية سلطة حول موضوع تجاوب الله مع صلاة البشر؟ وماذا تعنى مثل هذه النظريات المبهمة مقابل الحقيقة الثابتة وهى أن المبشر نفسه يقف إلى جانب إسرائيل بقوة؟».

يحث كريستول اليهود على أن يوجهوا إلى أنفسهم السؤال التالى: كيف يكون الأمر لو كانت «الأكثرية المعنوية» ضد إسرائيل؟ إن الجواب سهل ولا يمكن التهرب منه. وهو: أن الفارق سيكون كبيراً جداً وسيكون الأمر بالنسبة لليهود مرعباً حقاً».

ويكتب كريستول قائلاً: صحيح أن «الأكثرية المعنوية» ملتزمة بعدد من المسائل الاجتماعية - الصلاة فى المدارس، ومنع الإجهاض، وعلاقة الكنيسة والدولة بصورة عامة - يمكن أن تشير رد فعل معادياً بين معظم (وليس جميع) اليهود الأميركيين، ولكن من خلال المقارنة بين حسنات ومساوئ هذا الأمر يتبين أن الأمور الاجتماعية «للأكثرية المعنوية» لا تحقق أى نجاح يذكر، بينما الشعور المعادى لإسرائيل كان يتصاعد، ودعم الأكثرية المعنوية يمكن فى المستقبل القريب،

أن يصبح حاسماً بالنسبة لوجود الدولة اليهودية . وعلى هذا الأساس حددت الحكومة الإسرائيلية خيارها من الأكثرية المعنوية . ومن الصعوبة رؤية أى سبب يجعل اليهود الأميركيين يصلون إلى خيار آخر .

ويقول كريستول : «أما فيما يتعلق بالقانون الدولي ، فلم يسبق لأية مجموعة وثنية أو دينية فى الولايات المتحدة أن أنجبت هذا العدد من العلماء فى ميدان القانون الدولي كما أنجب اليهود قياساً على عددهم . غير أنه لا يجوز أن يبقى اليهود أوفياء «لهذه المبادئ البراقة» ، إذ إنه على إسرائيل أن تكسر من وقت لآخر القوانين الدولية وأن تقرر لنفسها ما هو قانونى وما هو أخلاقى وذلك على قاعدة واحدة وهى ما هو جيد لليهود وما هو فى مصلحة اليهود» .

عندما قصفت إسرائيل ودمرت المفاعل النووى العراقى ، كتب كريستول يقول : إن معظم اليهود الأميركيين أدركوا أن هذا العمل كان معقولا وأنه لا يوجد فيه شىء غير قانونى أو غير أخلاقى . ففى عالم حافل بالصراع والوحشية ، يحث كريستول اليهود الأميركيين على احتضان القضايا الاجتماعية «للكثيرة المعنوية» . ويقول : على اليهود الأميركيين مراجعة تفكيرهم بشأن (على الأقل) بعض هذه القضايا الاجتماعية موضع الجدل ، حتى من زاوية المنفعة الخاصة . ويبدو أنه أصبح أكثر وضوحاً الآن أنه حان الوقت الذى يتحتم عليهم أن يفعلوا ذلك فى مطلق الأحوال ، سواء كانت هناك «الأكثرية المعنوية» أو لم تكن .

وتساءل كريستول : هل يستطيع أحد أن يشك أنه تحت حكم رئيس ديمقراطى ليبرالى ، فإن سفيرنا المقبل إلى الأمم المتحدة سيكون أقرب إلى اندرويونغ منه إلى جين كيرباتريك؟ .

كتب كريستول يقول : الاتحاد الليبرالى يتعد عن المصالح اليهودية ، مشيراً إلى «تزايد المحورية المأساوية بين اليهود والسود» وإلى المتغيرات داخل الاتحادات التجارية . الرئيس الحالى للاتحاد لين كيركلاند هو ليبرالى وعمل مع اليهود ولكن «من السهولة رؤية الأرض تتحرك تحت قدميه . إنه بالنسبة لليهود الأميركيين ، تحرك مشئوم» .

إن ما يسمى «بالاتحاد اليهودى» بدأ بالزوال . فعمال الملابس ، والعمال الدوليون للألبسة النسائية ، والفدرالية الأميركية للمعلمين ، إنها كلها لا تزال تحتفظ بقيادات يهودية هى على علاقات وطيدة مع المجموعة اليهودية . غير أن

عضويتها أصبحت في أكثريتها الساحقة من السود والشرقيين ومن جنوب أميركا . أما القادة المستقبليون فلن يكون لديهم أى سبب للاهتمام بصورة خاصة بالقضايا اليهودية» .

ويرى كريستول «أن التنظيم العمالي يتعد عن تقاليد اللاسياسية ، ويطور علاقات أوثق مع الحزب الديمقراطي . «وفيما يحدث ذلك ، فإن الاتحادات نفسها تتبع بصورة طبيعية أيديولوجية حلفائها السياسيين . وإذا أردنا أن ندرك معنى ذلك ، يكفي إن نظر إلى «المواد الثقافية» التي يعدها الاتحاد الثقافى الوطنى ونراقب كم هي «منصفة » لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وكم هي باردة ومشككة بالقيم الإسرائيلية . حتى إن وسائل الإعلام فشلت فى أن تكون دائماً موالية لإسرائيل . «إن وسائل الإعلام فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا هي أشد نقداً لإسرائيل وتعاطفاً مع منظمة التحرير» .

يرى كريستول فى هذه المتغيرات فى الاتحادات التجارية ووسائل الإعلام ، انجرافاً نحو الليبرالية ، ولكنه يضيف أن الانجراف الليبرالى نحو اليسار سوف يقف فى مكانه ، ولذلك فإن على اليهود الأميركيين الانضمام إلى اليمين الجديد . إن الجميع سيرون فى هذا الاتجاه .

إن مستقبل الحركة هو ضد النظام الاقتصادى والسياسى الليبرالى ، وضد المبادئ الليبرالية بالحكم الذاتى . وفى هذا العالم الواقعى «من الأفضل لليهود أن يدعموا المحافظين الجدد . ومهما يكن من أمر ، فمن الأفضل دعم الراحين لا الخاسرين . يؤيد اليك ريشنيك رئيس المنظمة الصهيونية فى أميركا ، التحالف اليهودى مع المحافظين ولقد قال فى «مؤتمر رؤساء القيادات » الذى عقد فى لندن فى يونيو ١٩٨٤ : «نحن نرحب ونوافق ونحى مثل هذا الدعم المسيحى لإسرائيل دون أن نورط أنفسنا فى قضاياهم المحلية» .

وشدد خطيب آخر فى المؤتمر هو هارى هورويتس الذى يعمل فى مكتب رئيس الحكومة على ترحيب إسرائيل بدعم الجناح اليميني الإنجيلي ، وأعلن : «إن المسيحيين الأصوليين هم أولاً وأخيراً مؤيدون لإسرائيل . وعندما يتعلق الأمر بتجيش الدعم لا نستطيع أن نكون انتقائيين» .

وإدراكاً من مجلس الحاخامين لأهمية التحالف مع الأصوليين المسيحيين ، عين المجلس الحاخام « رابى أبير وليس » كضابط ارتباط مع اليمين المسيحى ورعى تجمّعاً فى هيوستن من حوالى مائة يهودى ارثوذكسى وإنجيلي محافظ .

من بين قادة اليهود الأميركيين الذين يؤيدون إقامة حلف مع اليمين المسيحي الجديد، الحاخام سيمور (محافظ) والحاخام جوشوا هارمان (إصلاحى)، والحاخام يعقوب برونر، والدكتور هارون جاكوبس رئيس المجلس الوطنى للشبيبة الإسرائيلية (أرثوذكسى) والحاخام دافيد بانيتس من منظمة بنى بريث .

باختصار ، إن كلمات قادة اليهود واليمين المسيحي تخبرنا أنهم أقاموا تحالفًا يريدون منه ويكافحون به من أجل تحقيق نفس الأهداف . إن القادة فى المعسكرين يفضلون بناء قوة عسكرية غير محدودة من الأسلحة النووية . ومن غيرها من الأسلحة فى كلا الدولتين (أميركا وإسرائيل) . إن إسرائيل تملك حوالى ٢٠ سلاحًا نوويًا ، ويقول المحافظون الإنجيليون الذين تحدثت إليهم: إنهم يتمنون لو أن إسرائيل تملك أكثر من ذلك. إن قادة اليمين الإسرائيلى، واليمين المسيحي هم وطنيون عسكري يتاريون ، لكل منهم عقيدة تحتل الأولوية المطلقة فى حياتهم ، عقيدة متمركزة حول إسرائيل وعبادة الأرض .

إن تطور إسرائيل إلى قوة استعمارية وعسكرية بالإضافة إلى تحالفها مع اليمين المسيحي المتطرف ، يجعلان الكثيرين من اليهود الأميركيين الليبراليين يشعرون بالقلق وعدم التوازن . وقد لاحظ «اريفين هو» وبرنارد روزنبرغ فى كتابهما «المحافظون «الجدد» أن الأكترية الساحقة من الفكر ومن الكتابات اليهودية منذ عدة عقود كانت فى الاتجاه الليبرالى» ، غير أن الكاتبتين يضيفان أن اليهود الليبراليين مرتبكون الآن وأن إسرائيل هى السبب الرئيسى فى ذلك .

بعض اليهود الأميركيين شجب تعاضم الاتجاه بين قادة اليهود الأميركيين لوضع عبادة إسرائيل فوق أى شىء آخر . وتحذر روبرتا شتراوس فيورليخت من بروكلين وهى من أبوين يهوديين أرثوذكسيين ، من أن اليهود الأميركيين يتجهون نحو عبادة إله صهيونى مزيف وأنه يمثل هذا العمل فإنهم يهجرون معظم الأموال ويحولون قوة اليهود الأميركيين إلى «أوليغارشية صغيرة من الرجال اليهود» .

وفى كتابها الرائع «مصير اليهود» تشير «فيورليخت» إلى أن أول مساهمة لليهودية كان القانون الأخلاقى . وأن عظمة اليهودية لم تكن فى ملوكها إنما فى أنبيائها . وتذكرنا ، أن السياح يقدون إلى قلعة «ماسادا» التاريخية، حيث جرت عملية انتحار يهودية جماعية لتجنب الوقوع فى الأسر - ، وأن المسئولين يقسمون هناك بأنه لن تحدث «ماسادا» ثانية. ولكن الله لم يأمر اليهود بالموت، ولكنه

أمرهم بالحياة . وتنقل عن كلام الله : لقد وضعت أمامكم الحياة والموت . . .
ولذلك عليكم أن تختاروا الحياة» . ومع ذلك تضيف ، إن الإسرائيليين بوضعهم
مصيرهم بيد الجيوش والأسلحة وبتشريعهم الجنرالات أكثر من الأنبياء ، لا
يختارون الحياة ولكنهم يختارون الموت .

وتحذر من أن أولئك الذين يجعلون من إسرائيل عبادة يدفعوننا في هذا الاتجاه .

مكاسب إسرائيل من التحالف؛ المثال

تلخص أهداف إسرائيل الثلاثة في الولايات المتحدة على النحو الآتي:

- ١ - إن إسرائيل تريد المال .
 - ٢ - إن إسرائيل تريد الكونغرس أن يكون مجرد خاتم - مطاطي للموافقة على أهدافها السياسية .
 - ٣ - إن إسرائيل تريد سيطرة كاملة ومنفردة على القدس .
- اليمن المسيحي الجديد يساعد إسرائيل على تحقيق هذه الأهداف الثلاثة . لنبحث أولاً في المسألة المالية . كم نقدم إلى إسرائيل؟ وهل ما نقدمه لها هو على شكل هبات أو قروض مع فائدة تدفعها، أو إنها مجرد عطاءات؟ .

خلال جولة ١٩٨٥ مع فولويل ، ناقشت موضوع المساعدات الأميركية لإسرائيل مع أستاذ في الجامعة العبرية «إسرائيل شاهاك» رئيس المنظمة الصهيونية للحقوق المدنية والإنسانية . وهو أحد الناجين من معسكر الاعتقال في «برجن - بلسن» وناقد لسياسة إسرائيل التوسعية . وجه الدكتور شاهاك اهتمامه إلى المساعدات الأميركية لإسرائيل قائلاً: «إن دافع الضرائب الأميركي أرسل في عام ١٩٨٥ إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار . وهذا يعني أنكم أنتم الأميركيين ترسلون ما يعادل ١٧٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل ، وبكلام آخر، إنكم ترسلون حوالي ٨٠٠٠ دولار سنوياً لكل عائلة إسرائيلية من خمسة أشخاص . إنكم تقدمون لنا حوالي ١٤ مليون دولار يومياً، على مدى ٣٦٥ يوماً في السنة من دون أية قيود . إنكم لا تتوقعون أن نسدد لكم فائدة على هذه الأموال، ولا تطالبوننا بأن نعيد حتى الرأسمال . إنكم تجعلون من ملياراتكم هذه كلها هدية .

«يتساءل بعضنا في إسرائيل كما يتساءل بعض الأصدقاء الأميركيين من اليهود

والمسيحيين ما إذا كانت الهبات الضخمة تساعد إسرائيل على المدى الطويل . إننى أعتقد أن تقديم مليارات الدولارات إلى إسرائيل هو مثل تقديم مزيد من المخدرات إلى المدمن .

إن أميركا لا تشجعنا حتى أن نتحمل مسؤولية حياتنا ومصيرنا .

إن طبيعة الصهيونية هى البحث الدائم عن حام ومعييل . فى البداية توجه الصهونيون السياسيون إلى إنكلترا ، التى قدمت لهم ذلك . الآن يتوجه الصهونيون ويعتمدون كليا على الولايات المتحدة . ولقد أقاموا هذا الحلف مع اليمين المسيحى الجديد الذى يبرر أى عمل عسكري أو إجرامى تقوم به إسرائيل» .

وختم شاهاك قائلا : «حتى إذا أدرك قليل من الإسرائيليين والأميركيين أن التدفق غير المحدود لبلايين الدولارات الأمريكية يعطل ويؤذى إسرائيل ، فإن تحالف اليمين الإسرائيلى مع اليمين المسيحى سوف يصرّ على أنه عليكم أنتم الأميركيين أن تواصلوا إرسال المزيد من المساعدات» .

عندما عدت إلى واشنطن قابلت «بول فندلى» العضو الجمهورى السابق فى لجنة العلاقات الخارجية . كان ممثلا عن منطقة إيلينويس التى أرسلت إلى الكونغرس فى عام ١٨٤٦ إبراهيم لنكولن . كان فندلى يروج لكتابه «من يجرؤ على الكلام» والذى يتعلق بالكونغرس واللوبي الإسرائيلى .

أخبرت فندلى بما قاله لى بعض الأصوليين من أنه على الولايات المتحدة أن تقدم لإسرائيل كل ما تريده من المال «لأن الله يريد منا أن نفعل ذلك» . وسألته : هل من رأيه أن على الشعب الأمريكى أن يصوت على إرسال المزيد من بلايين الدولارات إلى إسرائيل؟ فرد قائلا :

«لا توجد فرصة أمام الشعب الأمريكى نفسه ليصوت على موضوع إرسال بلايين الدولارات كمساعدات خارجية . وقال إن التصويت يقوم به مجلسا الشيوخ والنواب . وفيما يتعلق بصفقات المساعدة لإسرائيل فإن الكونغرس يصوت دون استثناء وبأكثريه ساحقة على إرسال الكميات من الأموال التى تحتاج إليها (إسرائيل) .

الكونغرس يستطيع أن يسأل ، وهو يسأل بالفعل عن المساعدات التى ترسل إلى أية دولة أخرى ، أو عن المساعدات المخصصة للتغذية فى المدارس ، وللأمهات الحوامل ، أو لتطوير برامج الضمان الاجتماعى . غير أن الكونغرس يوافق دائما

على المساعدات لإسرائيل . إن إسرائيل بأربعة ملايين فقط من السكان هي بلا منازع المستفيد الأول من برنامج مساعدتنا . إنها تحصل على حوالى ثلث كل المساعدة الأميركية الخارجية .

وسألته : هل شاهد فندلى طوال ٢٢ عامًا فى تلة الكابيتول (الكونغرس) اقتراعًا ولو لمرة واحدة - أسقط طلب إسرائيل بالمساعدة؟ فرد بالنفى . وقال : إن ذلك لم يحدث أبدًا . وفى هذا الشأن فإن اللوبى الإسرائيلى هو الذى يعد بطاقته . وهو يحصل على كل الطلبات المالية التى يتقدم بها ، باستثناء مرتين أو ثلاث ، حيث كان الأمر يتعلق ببيع الولايات المتحدة أسلحة للدول العربية . إن اللوبى الإسرائيلى يقول ماذا يريد والكونغرس يصوت لإعطائه ويمكن القول : إن اللوبى الإسرائيلى أملى بصورة عامة سياستنا فى الشرق الأوسط « وسألته طالما أن اللوبى الموالى لإسرائيل عمل بصورة تقليدية مع الديمقراطيين الأميركيين ، وحصل على ما يريد من الكونغرس ، فماذا ربحت إسرائيل من إقامة التحالف مع اليمين المسيحى الجديد؟

فرد قائلاً : «إن اللوبى الإسرائيلى هو أكثر ذكاء من أن يحتفظ بأصدقائه التقليديين من الديمقراطيين الليبراليين، فى الوقت الذى يقيم صداقات مع المحافظين المتشددين من الجمهوريين الذين يتبعون جيرى فولويل وغيره من قادة اليمين المسيحى الجديد . وبوجود الديمقراطيين الليبراليين والمحافظين معًا فى جيبه ، فإن اللوبى الإسرائيلى يكون قادرًا على أن يحصل بالإجماع على إقرار السياسات التى يريدها إزاء الشرق الأوسط .

نقلت إلى - فندلى - ما قاله المبشر لينش فى حديث صحفى عقده فى القدس خلال جولتى فى الأرض المقدسة عام ١٩٨٣ من أنه سيأتى يوم فى أميركا لا يفوز فيه أى مرشح لمنصب فى الإدارة الأميركية ، إذا كان هذا المرشح غير صديق لإسرائيل . وسألته هل يعتقد ذلك ؟ فرد قائلاً : «إن هذا هو الواقع اليوم بالنسبة للكونغرس الأمريكى» وأضاف : «ليست المسألة مسألة عدم صداقة إسرائيل ، إن اللوبى لا يريد مشروعًا يقول : إن هناك طرفين فى الصراع العربى - الإسرائيلى بل يريد من كل مرشح أن يكومئه بالمثل إلى جانب إسرائيل وإلا فيجب إسقاطه» . وأعطى أمثلة على ذلك قائلاً :

إننى وتشاك بيرسى مثالان واضحان» .

وسألته لماذا خسر هو بالتحديد مقعده فى الكونغرس؟ فأجاب : «لقد دعوت

إلى معالجة متوازنة لمشكلة الشرق الأوسط . غير أن اللوبي الإسرائيلي فسر أقوالى بأن هناك طرفين فى الصراع العربى الإسرائيلى ، بأنه انتقاد لإسرائيل . إن هذا اللوبي يريد منع أى انتقاد لإسرائيل فى الكونغرس، وفى الصحافة وفى الجامعات . وهو لا يتسورع عن خنق حرية الكلام من أجل ذلك . بالنسبة للوبي الإسرائيلى فإن انتقاد إسرائيل أو حتى مجرد ذكر كلمة الفلسطينيين ، هو أمر مساو للاسامية .

لقد قدمت ٣١ لجنة سياسية - يهودية لخصمى السياسى الذى يكاد لا يعرف ٣٢٥, ١٠٤ دولاراً . وفى ذلك الوقت كان هذا التنافس الانتخابى هو الوحيد الذى تقدم من خلاله مثل هذه الجمعيات مبلغاً يفوق مائة ألف دولار . أستطيع أن أقول بثقة: إنه لو رفع اللوبي الإسرائيلى يده عنى لربحت الانتخابات .

وسألته بعد ذلك : ماذا فعل تشارلز بيرسى الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية حتى يفجر اللوبي الإسرائيلى ضده جام غضبه ؟ فرد قائلاً : لقد صوت بنعم عام ١٩٨١ على صفقة طائرات الإنذار المبكر أواكس - للعربية السعودية . هذا التصويت أدى إلى إسقاط بيرسى - رغم أنه كان مؤيداً لكل تشريعات المساعدة لإسرائيل . إن شبكة لجان العمل اليهودية - باك - أقرت ١, ٢٨ مليون دولار لمرشحى مجلس الشيوخ فى انتخابات عام ١٩٨٤ ، وانفق ٤٤ بالمئة من هذا المبلغ على خصوم خمسة مرشحين فقط - بينهم بيرسى - لأنه صوت إلى جانب بيع الأواكس . قدمت اللجان اليهودية - باك - ٣٢٩, ٨٢٥ دولاراً لسبب واحد ، وهو هزيمة بيرسى . فوق ذلك أنفق مايكل غولاند ، وهو مستثمر عقارات فى كاليفورنيا تشده روابط إلى - الباك - اليهودية ١, ١ مليون دولار على برامج التلفزيون «المستقل» وعلى توجيه الرسائل البريدية، وحملات اللوحات الإعلانية ضد السيناتور بيرسى .

وسألته : لقد كان معلوماً أن الصهيونيين الإسرائيليين أرادوا إقصاء بيرسى . ولكن كيف استفادوا من تحالفهم مع اليمين المسيحى الجديد فى ذلك؟ أحاب:

«لقد استفادوا خاصة فى هذه الحالة . اللوبي الإسرائيلى عمل مع مساعد فولويل ريتشارد فيغارى ، وهو أحد مؤسسى «الأكثرية المعنوية» . وأدلى فيغارى ببيان قال فيه : إنه يريد أن يرى بيرسى مهزوماً . وهكذا دفع المحافظون المتطرفون فيغارى وفولويل بكامل ثقلهما لدعم مرشح ديمقراطى ليبرالى هو بول سيمون ، لأنه كان مؤيداً لإسرائيل مئة بالمئة ، أصبح المرشح الذى يفضلهُ اللوبي الإسرائيلى .

استعمل اللوبي الإسرائيلي اليميني المسيحي ليس فقط لإلحاق الهزيمة بمرشحين ، إنما لتغيير عقول وقلوب مشرعين لم يكونوا صهيونيين . ويمثل جيس هلمز مثالا على ذلك .

حتى عام ١٩٨٥ ، كان السيناتور هلمز لم أحد أقرب حلفاء ، فولويل فى القضايا المحلية ، ويقال داعم مالى لكنيسة فولويل لم معروفاً بأنه واحد من أكثر منتقدي العلاقة الخاصة القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وكان انتقاده ينصب بصورة خاصة على الكميات الكبيرة من الدولارات الأمريكية التى يرسلها دافع الضرائب إلى إسرائيل . لقد كان هلمز يصوت باستمرار ضد المساعدات الخارجية من حيث المبدأ ، وله سجل حافل بتعطيل وبمهاجمة مبادرات أخرى مهمة لليهود . إن سجل تصويته يجعل الإسرائيليين وأصدقاء إسرائيل يصنفونه كواحد من أشد المعادين للصهيونية إن لم يكن أكثر المشرعين عداء للصهيونية .

فى عدد ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ من صحيفة «صوت القرية» كتب الكاتب الأمريكى - الإسرائيلي اليهودى سول شترن هذا التحليل : « إن هلمز هو أكثر سيناتور رجعية خلال العقود الثلاثة الماضية . . إن له أسوأ سجل بالنسبة لموقفه من المساعدات لإسرائيل . وتبين إحصاءات المنظمات اليهودية أنه عارض بشدة آخر مشروعاً مؤيداً لإسرائيل» .

انتقد هلمز كذلك علانية غزو إسرائيل للبنان والذى أسفر عن مقتل وجرح أكثر من ١٠٠ لبنانى وفلسطينى . وفى مقابلة مع «الواشنطن بوست» اقترح - كوسيلة للاحتجاج - العلاج الآتى :

قطع العلاقات فوراً - مع إسرائيل - «أعرف أن ذلك سوف يحدث صدمة لدى اللوبى - الإسرائيلي القوى هذه الأيام . ولكن اقطعوا العلاقات» .

وفجأة قام هلمز بدورة ١٨٠ درجة . كان على منصة مجلس الشيوخ ، وبدلاً انتقاد إسرائيل بدأ يمتدحها . وأبلغ زملاءه أنه تلقى دعوة لزيارة الدولة اليهودية وأنه قرر تلبيتها . وفوق ذلك وقع هلمز اسمه على رسالة وجهها إلى الرئيس ريغان وصف فيها إسرائيل على أنها أفضل صديق لأميركا فى الشرق الأوسط ؛ وحث الرئيس على مساعدة إسرائيل للاحتفاظ بالمناطق العربية المحتلة بصورة غير شرعية فى الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وشرقى القدس العربية .

ماذا حدث ؟ للحصول على رأى حول نقلة هلمز ، تحدثت إلى ألن كليوم ، محرر - ميدل إيست أوبزرفر - التى تنقل تشريعات الكونغرس المتعلقة بالشرق

الأوسط . وسألته : هل يمكن أن تشرح لى لماذا أصبح سيناتور شمال كارولينا (هلمز) صهيونياً متحمساً بين عشية وضحاها؟ هل فولويل هو الذى غير عقل وقلب السيناتور هلمز؟ أجب كليوم الذى عمل أستاذاً فى الشرق الأوسط :

إنهما صديقان حميمان . كلاهما من المحافظين المتطرفين . كلاهما يعارض الإجهاض ، والتجميد النووى ، وتعديل قانون مساواة الحقوق ، وتدريس نشوء وتطور الأجناس . إنهما يتوافقان أيضاً على أن كل العقائد الأخرى هى دون عقيدتهما . وأنه ما لم تعد ولادة أى كان ثانية فى المسيح فليست له ديانة توصله إلى الجنة .

كان هلمز وفولويل ، لسنوات ، على اتفاق تام حول جميع المسائل الأساسية ، باستثناء مسألة واحدة ، هى إسرائيل .

فى السبعينات والثمانينات ، تقدم فولويل أكثر وأكثر باتجاه المعسكر الصهيونى . كان يؤيد إعطاء إسرائيل أية كمية من المال تريد . وكان هلمز يعارض ذلك بلا هوادة . وسألته هل استعمل اللوبى الإسرائيلى صديقه الحميم فولويل للتأثير على هلمز ؟ أجب :

«ربما يكون فعل ذلك . لقد أعيد انتخاب هلمز حتى عندما كان يعارض المساعدات لإسرائيل . ولكن ربما استعمل الإسرائيليون فولويل ليقول لهلمز : انظر ماذا حل بالسيناتور بيرسى . لقد هزمناه . فإذا لم تتغير فلن يعاد انتخابك فى المرة القادمة . «أما الذين لهم الفضل الحقيقى ليحملوا هلمز على القيام بهذه القفزة ، فهم مجموعة من اللوبى الإسرائيلى المحافظ ، يطلق عليهم اسم «الأميركيون من أجل إسرائيل آمنة» .

وعدت أسأل : سمعت عن مجموعة ضمن اللوبى الرئيسية المؤيدة لإسرائيل والتي تدعى «ايباك» (لجنة العلاقات العامة الأمريكية - الإسرائيلية) . أعرف أنها كانت مكلفة بإنفاق الأموال الضخمة التى جمعتها اللجان اليهودية - باك - ، ولكن ما هو الهدف الأساسى من وراء «أميركيون من أجل إسرائيل آمنة»؟ أجب : الهدف هو أن تفعل مع الآخرين غير المؤيدين للصهيونية ما تم عمله مع هلمز ، أى إقناع أى محافظ لا يؤيد إسرائيل أنه من أجل انتخابه ، أو من أجل إعادة انتخابه ، فإن عليه أو عليها دعم إسرائيل مائة بالمائة . إن - ايباك واللوبى الإسرائيلى المحافظ يعالجان أموراً مختلفة . تهتم - ايباك - بالمساعدات ومبيعات الأسلحة . أما منظمة «أميركيون من أجل إسرائيل آمنة» فإن لديها هدفاً آخر هو

إقناع الأميركيين بأن لإسرائيل حقًا مطلقًا في كل القدس وفي كل فلسطين». وقال كيلوم:

«بالإضافة إلى مساعدة اللوبي الإسرائيلي في الكونغرس ، ساعد اليمين المسيحي الجديد ، الصهيونيين من أجل كسب منافذ أكبر إلى البيت الأبيض . لا أعنى بذلك أن على توماس داين من ايباك - أو غيره من القادة اليهود أن يستعينوا بجيرى فولويل ليفتح لهم الأبواب من أجل التحدث إلى الرئيس . إن أصدقاء إسرائيل وجدوا دائمًا الأبواب مفتوحة أمام كل رئيس بدءًا بترومان ولكن خلال السنوات الأخيرة ومع اتجاه إسرائيل ثم المجموعة اليهودية في الولايات المتحدة ، وبعد ذلك الرئاسة الأمريكية ، نحو المزيد من المحافظة ، أدرك الإسرائيليون أنه أصبح ملائمًا التقرب من الأشخاص القريبين من الرئيس .

ومن كان أقرب إلى العديد من الرؤساء من بيلي غراهام؟ . عندما أطلقت النار على ريغان، طلب ريغان قبل كل شيء أن يرى بيلي غراهام . اختار ريغان اثنين من قساوسة «التدييرية» هما جيمس رويسون وكريسويل ليقدموا صلاة افتتاح واختتم مؤتمر الحزب الجمهوري في دالاس . واختار القس دون موموا من أهل «التدييرية» في كاليفورنيا ليقدم بركة التدشين في عام ١٩٨٥ ، يشعر ريغان بالارتياح من المؤمنين « بالتدييرية» . وإذا لم يكن القسيس المسيحي مع اليمين المسيحي الجديد، فإن ريغان كان يرفض لقاءه أو التحدث معه .

ويختتم كليوم قائلًا : «إن للقادة الأصوليين الإنجلييين اليوم قوة سياسية ضخمة . إن اليمين المسيحي الجديد هو النجم الصاعد في الحزب الجمهوري . وتحصد إسرائيل مكاسب سياسية داخل البيت الأبيض من خلال تحالفها معه .

مكاسب إسرائيل من التحالف : مزيد من الأرض

مساء يوم من عام ١٩٨٥ وخلال زيارتي للأرض المقدسة مع رحلة فولويل المنظمة ، دعانا الدليل الإسرائيلي للتجمع في قاعة الفندق. أراد أن يشرح لنا حروب إسرائيل في أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢ . رسم خريطة كبيرة ، وتحلقنا حوله نستمع إلى التواريخ والأماكن . وفور بداية «الأوديصة» عن الصراع المستمر مع الفلسطينيين ، غادر أحد الحاضرين من المجموعة - ويدعى مارفين - القاعة . في اليوم التالي سألته ما إذا لم يشأ الاستماع إلى الدليل بداعي التعب ، فأجاب بالنفي . وقال : إنه ليس بحاجة لمعرفة حقائق عن حروب إسرائيل . إنه يعرف في قرارة نفسه «معجزة ربح اليهود لكل حرب يخوضونها ضد العرب . وهكذا فأنا أعرف الجانب الذي أقف معه . إنني أقف إلى جانب إسرائيل» .

إن مارفين كغيره من اليمين المسيحي الجديد ، يشعر بالنشوة لأنه حليف للرايح . إنه يتماثل مع مقاتلي العهد القديم الذين ذبحوا جميع أعدائهم بسيف حادة ومن دون شفقة . يحب مارفين النصوص التوراتية التي تنقل عن الله اختياره أقصى العنف كسياسة إلهية . وقد نقل إلى مرة المقطع ١١٠ الذي يتحدث عن يهوه وهو يسحق الرؤوس ويملاً الأرض بجثث غير المؤمنين ، والمقطع ١٣٧ الذي يعرب عن الرغبة في الانتقام بالقبض على الأطفال البابليين وإلقائهم فوق الصخور . قال لي مارفن : هكذا يجب على الإسرائيليين أن يعاملوا العرب .

رغم أن مارفن كان معجباً ومطلعاً على نصوص التاريخ التوراتي ، فقد كان جاهلاً بما يتعلق بالصراع الإسرائيلي العربي المعاصر . لم يكن مهتماً بالتعرف عليه لأنه كان يعرف مسبقاً كل ما يعتقد أن الله يريد منه أن يعرفه وقال لي : «إن على الأميركيين أن يتعلموا من الإسرائيليين كيف يحاربون» .

وسألته إذا كان يعتقد أن الإسرائيليين يدينون للتدريب الرائع في كسب حروبهم ضد الفلسطينيين والعرب ؟ فأجاب بالنفى . قال : «إنها إرادة الله . في كل حرب يخوضها جنود يهود ، فإن الله نفسه هو الذى يدير المعركة» .

إن مارفن ومعظم المشتركين في جولات فولويل يعتقدون أن على الإسرائيليين أن يواصلوا ما لديهم من إمكانيات استعمال قوتهم العسكرية لتوسيع حدود إسرائيل . «فاليهود هم الشعب الوحيد في العالم الذى يتمتع بحق إلهي في الأرض» .

ويشارك مارفن كذلك هؤلاء ، الاعتقاد «بأننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح من خلال عدم مساعدة اليهود على مصادرة مزيد من الأرض من الفلسطينيين» . ويقول : إن على اليهود أن يمتلكوا كل الأرض التى وعدهم الله بها قبل أن يتمكن المسيح من العودة . ولكن لن يطول الوقت قبل تحقيق الفداء الكامل» . . . «وقبل الفداء الروحى على الله أن يتعامل مع أمته ، إسرائيل . إن عبارة الفداء ، كما هى مستعملة اليوم في إسرائيل ، تنطبق على مصادرة أراضي العامة - جنتيل - في إسرائيل الكبرى (أرض إسرائيل) سواء من خلال الشراء الشرعى ، أو الشراء القسرى ، أو المصادرة .

وأنا فى مدينة واشنطن ، علمت أن مسيحيين معظمهم يتبوءون مراكز حكومية رفيعة يصلون على مدار الساعة حتى يتحقق اليوم الذى لا يبقى فيه الفلسطينيون على أرضهم ، وحتى تصبح الأرض كلها ملكاً لليهود . وعلمت أن المسيحيين يتوجهون إلى منزل فى واشنطن ثمنه نصف مليون دولار .

وأنهم يوجهون صلواتهم ليس من أجل جميع الشعوب فى كل مكان ، وليس من أجل السلام على الأرض ، وليس من أجل الفقراء ، والجانحين ، والمشردين والمحتاجين ، بل ، من أجل الأرض ، الأرض التى يملكها الآن فلسطينيون ، والتى يريدون أن يأخذوها منهم وأن يضعوها بأيدي اليهود الإسرائيليين .

تملك المنزل السيد بوبى هروماس (زوجة الدكتور لسلى هروماس أحد كبار المسئولين فى مؤسسة دفاعية على الساحل الغربى) لقد اشترى المنزل لسبب وحيد وهو إيجاد مكان للمسيحيين للصلاة من أجل «فداء» الأرض . وتطلق السيدة هروماس - التى تملك منازل أخرى فى ضواحي لوس انجيلوس والقدس ، - على منظمتها اسم الاتحاد الأمريكى المسيحى . سمعت عنها للمرة الأولى من «تشارلز فيشبين» الذى قضى ١١ سنة يعمل مع المجموعة اليهودية كمدير تنفيذى للصندوق الوطنى اليهودى . وفى مقابلة مسجلة معه ، قال فيشبين :

فى أكتوبر ١٩٨٢ دعانى جـدعون شمرون ضابط الارتباط فى السفارة الإسرائيلية بالمسيحيين الأمريكـيين . وطلب منى مقابلة بوبى هروماس مؤسسـة ومديرة الاتحاد المسيحى الأمريكى التى اشترت حديثاً منزلاً ثميناً فى شمال غرب واشنطن . ذهبت إلى المنزل وقابلت السيدة هروماس التى قالت لى : إن الاتحاد هو مظلة لتغطية معظم الحركات المسيحية الإنجيلية الرئيسة ، وإنها تعمل كصلة مباشرة لنقل الأموال إلى إسرائيل .

ويتمتع الاتحاد بالإعفاء القانونى من الضرائب ، ويتلقى التمويل من الأشخاص والمؤسسات ومن المنظمات الإنجيلية الأصولية الكبيرة . وكجزء من عملى كضابط ارتباط معها ، زرت منزل هروماس فى رولينغ هيلز - كاليفورنيا . وهى تستعمل كذلك مكتباً فى «تورانس» وتعمل مع مجموعة تدعى - «ان أغاب» أى مع الحـب «وتلقى التمويل من مشاهير هولود ومن أغنياء تكساس مثل كلنت مورشيسونس» المالك السابق «لدالاس كاوبوى» ، وتوم لاندري مدير فريق كاوبوى لكرة القدم ، والذى يقدم إعلانات عن الكتاب المقدس فى التلفزيون .

أن الاتحاد يقدم هذه الأموال بدوره إلى إسرائيل ، وخاصة للمستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية . ترسل الأموال مباشرة إلى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن ، أو تحملها السيدة هروماس إلى إسرائيل . أو تحول عبر بنك هاريتاج انترناشيونال فى بئسدا - مريـلاند - والذى أسسه دونالد ووب ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية فى أميركا ، وهو البنك الأول والوحيد فى الولايات المتحدة الذى له فرع فى إسرائيل . أخبرتنى السيد هروماس أن الاتحاد خطط لجمع مئة مليون دولار لشراء أرض للمستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وأن الهدف الحالى هو منطقة فى مدينة نابلس الفلسطينية . وقالت أيضاً : إنه تم تسليم الحكومة الإسرائيلية حتى الآن عشرات الملايين من الدولارات بالإضافة إلى أموال أرسلت إلى مستوطنات فردية فى نابلس . لقد أكدت أن ذلك سوف يساعد على تحقيق النبوءة التوراتية .

كانت السيدة هروماس صريحة جداً فيما يتعلق بعلاقتها مع المبشرين الأصوليين الإنجيليين الرئيسيين بمن فىهم جيرى فولويل وبات روبرتسون وجيمس سواغرت وغيرهم . كما كانت صريحة بشأن علاقاتها بأصدقاء ريغان القدماء أمثال (ولتر انبرغ) و (ادوين ميز) وزير الداخلية السابق وجيمس واب (وهيرب التفود) وهو صديق حميم لريغان ومستشاره منذ عدة عقود .

(بعد وقت قصير من الاجتماع الأول مع السيدة هروماس قالت لى : إن

الرئيس (ريغان) (وهيرب التفود) يريدان غرس حديقة من الأشجار تخليداً لذكرى (سكوت) ابن ادوين ميز، الذى قتل فى حادث سيارة . أراد (التفود) أن تزرع الأشجار فى نابلس؛ ووافق ميز . قلت للسيدة هروماس إنها بسبب إعفاء الصندوق الوطنى اليهودى من الضرائب فإننا لا نستطيع أن نرسل الأموال إلى الضفة الغربية . فقالت : إنها ستمضى قدماً وتنظم الأمر عبر السفارة المسيحية فى القدس لغرس الأشجار فى نابلس ، وإنها سوف تقدم كذلك خمسة آلاف دولار إلى الصندوق الوطنى اليهودى لغرس حديقة من الأشجار باسم سكوت فى القدس» . تقديراً لمساهماتها العديدة فى دعم إسرائيل ، قرر الصهيونيون الأميركيون والإسرائيليون تكريم السيدة هروماس . «لقد فوضونى بإعداد حفل العشاء لها . كانت واحدة من قلة إن لم تكن الوحيدة بين العامة - جنتيل - التى تكرم هكذا . وخلال العشاء قدم (هيرب التفود) للسيدة (هروماس) كتاباً مقدساً موقعاً عليه من الرئيس ريغان» .

سألت «فشين» إذا كان خلال زيارته إلى مقر الاتحاد الأمريكى المسيحى قد رأى الكنيسة حيث يصلى المسيحيون من أجل أن يصادر الإسرائيليون مزيداً من الأراضى العربية!

أجابنى بالإيجاب . وقال لقد أطلعتنى عليها (بوبى هروماس) . إنها تقع فى الطابق الأرضى ، أما المنزل المقر فيقع فى نقطة تقاطع الشارع ٣٩ مع طريق رينو . فى مواجهته مباشرة السفارة الإسرائيلية» .

وهل اختارت عن عمد موقعاً مواجهها للسفارة الإسرائيلية ؟ إذا كان الأمر كذلك فلأى سبب؟ أجب: نعم لقد اختارت متعمدة هذا الموقع حتى تكون أقرب ما يمكن إلى السفارة ، ومن ثم إلى الأرض التى توجه صلواتها نحوها، أرض إسرائيل . لقد أضافت الكنيسة بعد أن اشترت المنزل، وصممها بحيث يمكن أثناء الصلاة لإسرائيل أن تنظر عبر نافذة زجاجية واسعة إلى السفارة الإسرائيلية ، يوجد للكنيسة مدخل خاص ، وتدعو السيدة (هروماس) أعضاء فى الكونغرس والبرلمان، والأركان العامة وحتى الرئيس نفسه للاشتراك فى جلسات من الصلوات ٢٤ ساعة فى اليوم من أجل إسرائيل ، وقال (فيشين) : إن جهاز المخابرات طلب استعمال زجاج خاص على الشبائيك لحماية الزائرين داخل الكنيسة .

دعيت مرة إلى أداء الصلاة فى هذه الكنيسة ، واستعمت إلى شريط مسجل للسيدة هروماس مدته ٤٥ دقيقة تشرح فيه ضرورة الحصول الآن على الأرض من الفلسطينيين وتسليمها لليهود وإلا . . . وبانتظار فداء الأرض - فإننا نؤخر عودة المسيح .

في غرفة مجاورة للكنيسة وجدت عدة طبعات من الكتاب المقدس وإلى جانبها سجل ملاحظات يتضمن أسماء المسؤولين في حكومتنا (الأميركية) بدءاً بالرئيس ريغان، وكذلك لائحة بأسماء المسؤولين في إسرائيل بمن فيهم أسماء كل أعضاء البرلمان الإسرائيلي.

نظرت عبر النافذة - اللوحة - الكبيرة عبر شارع رينو المزدحم. لم أسمع أى صوت، فالكنيسة مجهزة بعوارل صوتية. كنت أشاهد مبنى السفارة الإسرائيلية المقابل وعلى مسافة منها السفارة الأردنية. ومن المثير للاهتمام أن للسفارتين هندسة متشابهة. كل منهما تتألف من أربعة طوابق بلون البيج الحجري.

في طريقى إلى المنزل كنت أفكر في مهمة بوبى هروماس : الحصول على المال حتى تشتري إسرائيل أراضي الفلسطينيين ، أو تزويد المستوطنين اليهود بالمال لمصادرة الأرض بقوة السلاح ، وذلك في محاولة لفهم النظام الإيماني عند «التدبيريين» شعرت بالحزن . فبدلاً من «استرجاع» أرض تقع في النصف الثانى من العالم تساءلت باستغراب لماذا لا نساعد المسيحيين المضطهدين - كما فعل المسيح- الذين يتجمعون على بعد بضعة أميال. إننى لا أستطيع أن أفكر في حادثة واحدة حث فيها المسيح أتباعه على «استرجاع» أرض مملكته ، كما قال ، هي بالذات.

مع ذلك فإن «التدبيريين» ينظرون إلى الأمر بصورة مختلفة . إنهم يقدمون المال إلى الإسرائيليين لمساعدتهم على مصادرة الأرض من الفلسطينيين بأية وسيلة ممكنة. منها عملية «أرض الاحتياط».

لقد كشف علناً في السادس من أغسطس ١٩٨٥ عن فضيحة تتعلق بأرض شاسعة ، وذلك عندما اعتقلت الشرطة ثلاثة إسرائيليين اتهموا بتزوير وثائق تتعلق بشراء غير شرعى لعدة آلاف من الهكتارات من الأراضي العربية فى الضفة الغربية. والرجال الثلاثة هم من الشخصيات المعروفة جداً لهم علاقات عسكرية وسياسية واسعة ، اتهموا بأنهم قبضوا أكثر من مليونى دولار أميركى لمصادرة الأرض بوسائل احتيالية من الفلسطينيين. يمكن أن يكون جزء من هذه الأموال جاء من مسيحيى الجناح اليمينيى المقتنعين بأن آمالهم المسيحية الأهم تكمن فى مصادرة اليهود كل الأرض الفلسطينية.

يقول مسئول فى وزارة العدل الإسرائيلية : إن حوالى مائة مليون دولار تداولتها الأيدي لمصادرة آلاف الهكتارات من الأراضي العربية بالاحتياط والخذاع والتزوير وأحياناً بالقوة.

اثنان من أعضاء البرلمان الإسرائيلي هما يوسى ساريد ودودي زوكر وجها رسالة إلى وزير الشرطة قالا فيها : هناك شكوك بالاحتلال على نطاق كبير. إن عملية الاحتلال في الأراضي جرت بإشراف مؤسسات حكومية». وعندما هدد ثلاثة من الإسرائيليين المعتقلين بالكشف عن أسماء مسئولين كبار، أدى هذا إلى حدوث صدمة في الجناح اليميني في تكتل الليكود، والذي كان وراء خطة شراء الأرض . استقال رئيس دائرة الأراضي ، أما الباقيون فقد حاولوا إما الابتعاد عن الفضيحة أو التخفيف من وقعها على الرأي العام.

في ١٩ أغسطس ١٩٨٥ دعا زعيم الليكود وزير الخارجية إسحق شامير الإسرائيليين أن لا يأخذوا هذه القضية مأخذًا جديدًا . وقال : «يجب عدم المس بموضوع» الاسترجاع. أحيانًا لا بد من اللجوء إلى الحيل والخطط وإلى وسائل غير عادية لشراء واسترجاع الأرض ، إنه لأمر لا يطاق أن يتحول التحقيق في حوادث منفردة من حوادث شراء الأراضي ، إلى مراقبة عامة على جميع عمليات شراء الأراضي (في فلسطين المحتلة) بهدف تعطيل المهمة الصهيونية».

إن المهمة السياسية ، والعسكرية للصهيونية هي مصادرة كل أراضي الفلسطينيين .

في عام ١٩١٨ كان الفلسطينيون يشكلون ٩٠ بالمئة من السكان ، وكانوا يملكون ٩٢ بالمئة من الأرض. أما اليهود فكانوا يملكون ٨ بالمئة من الأرض فقط .

في عام ١٩٤٧ ، كان الفلسطينيون يملكون ٩٦, ٩٣ بالمئة من الأرض ، وكان اليهود يملكون فقط ٠, ٤ بالمئة . في ذلك العام صوتت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين . بحيث يحصل اليهود على النصف ويحصل الفلسطينيون على النصف الآخر . موسى شاروتك رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية في ذلك الوقت قال في بيان إلى اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة : «اليوم نحن نملك قليلا فوق ستة بالمئة من مساحة فلسطين».

في حرب ١٩٦٧ صادرت إسرائيل مناطق واسعة من الأرض العربية، ورفضنا منذ ذلك الوقت الانصياع إلى القانون الدولي الذين ينص على أن الأرض التي تصادر بالقوة العسكرية لا يمكن الاحتفاظ بها شرعًا . في مطلع عام ١٩٨٦ ، الجنود الإسرائيليون ينتشرون في أكثر من نصف المنطقة التي وعد قرار الا المتحدة بأن تكون للعرب . لم يبق سوى ٢٠ بالمئة من فلسطين الانتداب بيد الفلسطينيين .

المسيحيون المتعصبون أمثال مارفين وبوبى هروماس اقتنعوا - وأعتقد أنهم اقتنعوا بصدق - أن عليهم مساعدة إسرائيل لتجريد الفلسطينيين من القليل الذى تبقى لديهم . وكما قال أحدهم مارفن ، فإن لليهود «حقوقاً تاريخية» فى الأرض .

الكاتب والمؤرخ الإنكليزى المشهور و . وليز يقول فى هذا الشأن : «إذا كان أمراً عادياً «إعادة بناء» دولة يهودية لم تعد موجودة منذ ٢٠٠٠ سنة ، لماذا لا نعود إلى الوراء ألف سنة أخرى لإعادة بناء دولة كنعانية؟ خلافاً لليهود ، لقد واصل الكنعانيون البقاء هناك طوال حقبة التاريخ . فيما يتعلق بالحقوق التاريخية ، وإذا ترك أمر شؤون العالم لتتوالد على أساس القواعد التى يضعها أو يعلنها أولئك الذين يقولون إن لهم مثل هذه الحقوق ، فإن المغاربة الذين كانوا فى إسبانيا لمدة ٧٠٠ عام يستطيعون أن يعلنوا أن لهم «حقوقاً تاريخية» فى الأرض ، وأن يطالبوا الإسبان بالخروج . والهنود الذين كانوا فى أميركا لآلاف السنين قبل «اكتشافها» بواسطة الأوروبيين البيض ، يمكن أن يقولوا لغير الهنود الذين يعيشون فى أميركا اليوم : إن لنا «حقوقاً تاريخية» ولذلك عليكم النزوح . يجب أن تكون هناك نقطة انطلاق ، بحيث نعيش ليس كمستوطنين يهود فى فلسطين المحتلة بقوة مدافع أو زى الرشاشة إنما من خلال مجتمع ، ودولة ، وقانون دولى .

بالنسبة لإسرائيل ، فإن قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧ يمثل نقطة الانطلاق . ويمكن أن تضاف إلى ذلك الاتفاقات التى عقدت بإشراف الأمم المتحدة بشأن حدود الهدنة لعام ١٩٤٩ .

كل قادة العالم أيدوا صلاحية قرار الأمم المتحدة الذى نص على أن تؤمن فلسطين الأرض لكل من المهاجرين اليهود والمواطنين الفلسطينيين . بالإضافة إلى ذلك ، فإن العديد من قادة اليهود بمن فيهم برونو كرايسكى الرئيس السابق لحكومة النمسا ، وفيليب كلاوتشنيك ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، ينكرون حق اليهود فى الاحتفاظ بأراض صودرت بالقوة بعد أن أصبحت إسرائيل دولة . إنهم يقولون إن ادعاء اليهود أن لهم «حقوقاً تاريخية» فى أرض تتجاوز الحدود التى حددتها الأمم المتحدة ، يعنى العودة إلى سياسة القرن التاسع عشر الاستعمارية التوسعية . ويؤكدون أن علينا أن نعيش فى جو القرن العشرين وهو جو العداء للاستعمار ، واحترام حقوق الإنسان .

إن عدة ملايين من المسيحيين الأميركيين يعتقدون أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود وإسترجاعهم كل أرض فلسطين . وإذا تسبب ذلك فى نشوب حرب عالمية ثالثة - هرمجدون نووية ، فإنهم يعتقدون أنهم تصرفوا بمشيئة الله .

مكاسب إسرائيل من التحالف : تجذير الدعم المسيحيّ

أعدّ أحد القادة الإنجيليين الأصوليين كريكر ورقة لقادة اليهود الإسرائيليين والأميركيين ، ذكر فيها أسماء ٢٥٠ منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل ، من مختلف الأحجام والعمق في أميركا . ويقول كريكر : إن معظم هذه المنظمات نما خلال السنوات الخمس الأخيرة أى منذ عام ١٩٨٠ . وتتخصص هذه المنظمات في تنظيم أحداث بارزة مثل «مهرجانات التضامن مع إسرائيل» أو تجمعات الوعى الإسرائيليّ» التى تقام فى الكنائس الإنجيلية . وبعضها يتولى تنظيم الجولات ، وإعداد المطبوعات ، وعقد المؤتمرات التنبئية ، والدعم الفكرى ، الخ . . وبعضها ينغمس فى الدعم السياسى المباشر ويقوم بمختلف عمليات الضغط سواء عن طريق تنظيم استكتابات الرسائل ، أو عن طريق وسائل الإعلام التى تعبر بقوة عن تأييدها لإسرائيل .

الصهيونيون العاملون بتحالف مع المحافظين ، الإنجيليين ، أنشئوا المنظمات الآتية : [وهذا جزء قليل من ٢٥٠ مجموعة دعم] .

● مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية لإسرائيل

وقد سمى فرنكلين ليتل وهو مسيحي صهيوني وأستاذ فى جامعة تامبل فى بنسلفانيا رئيساً ، والدكتور ليتل (من مذهب الميثوديست) الذى قد يكون أكثر المسيحيين تأييداً لإسرائيل ، أخبرنى فى مقابلة خاصة : أن تكون مسيحياً يعنى أن تكون يهودياً « كما أخبرنى أن واجب المسيحي أن يضع دعم « أرض إسرائيل » فوق كل اعتبار . إنه يبني حبه لإسرائيل ليس على النظام الإيماني المعتقدي ، إنما على ما يتصور أنه ضرورة مسيحية للتفكير عن معاناة اليهود فى « المحرقة النازية» .

من أجل الحصول على الدعم للهجوم الإسرائيليّ المسلح على لبنان، فإن مؤتمر القيادة الوطنية لإسرائيل ، نشر فى صحيفة واشنطن بوست وفى صحيفة نيويورك تايمز إعلاناً فى صفحة كاملة من كل منهما عنوانه : التضامن المسيحيّ مع

إسرائيل». وفي هذا الإعلان قال المسيحيون : إن تضامننا مع الشعب اليهودى ودولة إسرائيل هو جزء من الالتزام بالسلام والعدالة لجميع شعوب الشرق الأوسط. إننا نعتقد أنه من الحقوق ومن الواجبات الثابتة لكل حكومة أن تضمن السلامة والأمن لمواطنيها . الإعلان لم يشر إلى أى اهتمام بأصحاب المعتقدات الإسلامية أو المسيحية الذين يعيشون فى الشرق الأوسط . المسيحيون الذين وقعوا على الإعلان قالوا : إنهم يؤيدون تأييداً كاملاً الغزو الإسرائيلى للبنان ، ووصفوا أخيراً أولئك الذين عارضوا سياسات إسرائيل باللاسامية .

المدير التنفيذى لهذه الحملة كان إسحاق روتنبرغ وهو يهودى تحول إلى البروتستانتية الهولندية الإصلاحية ، وترتبط هذه المنظمة بالسفارة المسيحية العالمية فى القدس؛ ومن بين أقوى مؤيديها القساوسة كريسويل، وجيم بيكر، وبات روبرتسون ، من جماعة «التدييرية».

● المؤتمر الوطنى المسيحى:

(وهو إحدى ثمرات المنظمة التى ورد ذكرها أعلاه) أنشئ قبل تصويت مجلس النواب الأمريكى على بيع طائرات الإنذار المبكر - اواكس إلى العربية السعودية .

البروفسور ليتل الذى قال : إن المؤتمر الوطنى المسيحى قام من أجل توحيد المسيحيين من تعدد التسميات والمنظمات التى يجمع بينها اهتمام مشترك بسلامة الوطن اليهودى، أعلن فيما بعد أن اقتراح بيع الطائرات إلى العربية السعودية يمثل « الوقت العصيب جداً بالنسبة لبقاء إسرائيل » . وقد أعلن المؤتمر بقوة معارضته بيع الطائرات .

فى الاجتماع الأول للمجلس الذى ضم مئة مشترك بمن فيهم أصوليون ، وممثلون عن المؤتمر الوطنى للأساقفة الكاثوليك، والمجلس الوطنى للكنائس ، وقد وصف ممثل الحزب الجمهورى من نيويورك ، جاك كامب إنشاء إسرائيل فى عام ١٩٤٨ بأنه «تحقيق لنبوءة توراتية» . وقال : إن دور الولايات المتحدة هو تأمين الفرص (فى إسرائيل) لتحقيق النبوءات التوراتية .

● الاتحاد الأمريكى من أجل سلامة أميركا .

يسدو أن هذه المنظمة أنشئت من أجل هدف واحد ، وهو : إعداد الأسماء لرعاية إعلانات الصفحات الكاملة فى الصحف ضد تزويد السعودية بأسلحة دفاعية . وقع على الإعلانات ، العشرات من الصهيونيين بمن فيهم جيرى فولويل وراهبة كاثوليكية ترأس كلية «مانهاتان فيل» .

● تاف الكاتدرائيات الإنجيلية .

(وتاف هو الحرف الأخير من أحرف الأبجدية العبرية) . فى عام ١٩٨٢ ، وخلال الغزو الإسرائيلى للبنان ، استعمل الإسرائيليون - تاف - لتنظيم عدة مؤتمرات على الساحل الغربى لقادة أصوليين إنجيليين ويهود . وفى نوفمبر من ذلك العام رعت - تاف - «سبت التضامن» فى التجمع العبرانى بواشنطن . وكان الحاخام جوشع هايرمان رئيس حاخامى الكنيس هو مضيف التجمع الذى حضره عدد من الحاخامين ، كما حضره رئيس مجلس المنظمة الصهيونية فى أميركا وممثل عن اللوى الإسرائيلى ، ولجنة العلاقات العامة الأميركية - الإسرائيلىة - ايباك - التى ربما حشدت حوالى ١٥٠٠ أصولى وقيادى يهودى إلى العاصمة من أجل أن يؤيدوا رسمياً - وبتغطية من جريدة واشنطن بوست - غزو إسرائيل للبنان .

أبلغنى الدكتور جو فالورو رئيس المعهد الدينى فى دالاس أنه كان أحد الخطباء فى هذا المهرجان . وقال : لقد تحدثت أمام التجمع عن وعد الله إلى أمة إسرائيل ، ولقد أحبوا ذلك» .

● الائتلاف الأمريكى من أجل القيم التقليدية

يتزعم مبشر سان دياغو الكاتب الشهير تيم ليهائى . وهو مؤيد لإسرائيل ومن جماعة «التدبيرية» . وتعتبر هذه المنظمة من الجذور السياسية لذراع اليمين الدينى . استناداً إلى المنشور الدعائى فإن هدفها «هو تجميع ٤٥ مليون أصولى من خلال تسجيل الناخبين والمساهمة فى الحملات الانتخابية ، كما أن هدفها هو توصيل الأصوليين إلى المراكز الحكومية من خلال «بنك المواهب» الذى لدينا . من قادة هذا التنظيم فولويل ، سواكارات ، جيم بيكر ، وبات روبرسون .

● الصوت المسيحى

مركزها فى كاليفورنيا مع «مكتب ضغط» فى مدينة واشنطن . وتدعى هذه المنظمة أن عدد أعضائها يبلغ ١٩٠ ألف شخص ، بمن فيهم ٣٧ قسيساً . وتبلغ ميزانيتها السنوية حوالى ١,٥ مليون دولار . وتعتبر منظمة «صندوق الصوت المسيحى للدعم الحكومى المعنوى» ذراعها السياسى . وقد نظمت حملة تحت عنوان «المسيحيون من أجل ريغان» .

يسمى كريك بين كبار مؤيدى إسرائيل من الإنجيليين الأصوليين :

- إد ، ماك أترى من «الطاولة الدينية المستديرة» التى ترعى صلاة إفطار سنوية من أجل إسرائيل .

- بن ارمسترونغ ، المدير التنفيذى للاتحاد الوطنى للمذيعين الدينيين .
 - اديان روجز ، راعى الكنيسة المعمدانية فى «بل فى فى» فى «مفيس» والرئيس السابق للمؤتمر المعمدانى الجنوبى .
 - و . أ . كريسويل رئيس قساوسة الكنيسة المعمدانية الأولى فى دالاس .
- إن كريسويل هو مثل روجرز رئيس سابق للمؤتمر المعمدانى الجنوبى . إن الاثنى عشر يعتبران من أبرز قيادى الجناح اليمى للمؤتمر الملتزمين بتطهير الليبراليين والأرثوذكس الجدد وسواهم من غير الإنجلييين . ومن غير المؤمنين بالتدبيرية ، من الهيئات والمنظمات المعمدانية الجنوبية . إن غريسول شأنه شأن فولويل التزم كلياً بإسرائيل قوية . لقد أقام علاقات وثيقة مع قادة الجناح اليمى فى إسرائيل ، وخاصة مع رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن .

مزج السياسة بالدين

لمن القدس؟ هل هي مجرد قطعة من الأرض؟ هل هي رهينة للذين يملكون الأسلحة وأكبر الجيوش؟ أم إنها وكما أعلنت الأمم المتحدة عندما انتزعت من فلسطين وطنًا لليهود، مدينة الأديان الثلاثة، المسيحية والإسلامية واليهودية، تقرر إطار الحكم فيها القوى الكبرى بموجب القانون الدولي؟

الإسرائيليون يطالبون بفرض سيادتهم وحدهم على المدينة التي يقدرها مليار مسيحي، ومليار مسلم، وحوالي ١٤ مليون يهودي. وللدفاع عن ادعائهم بأنهم يملكون بصورة مشروعة مدينة العقائد الثلاث، فإن الإسرائيليين - ومعظمهم لا يؤمن بالله - يقولون: إن الله أراد أن يأخذ العبرانيون - أو - اليهود، القدس إلى الأبد. ولشن حملة علاقات عامة شعبية لمصلحة هذه الرسالة توجه الإسرائيليون نحو مايك ايفنز، هو يهودي أميركي لم يكن معروفًا من الرأي العام الأميركي، ولا حتى من معظم الأصوليين الإنجليين في الجناح المسيحي الذي تحول إليه.

في «معبد بيتل» في فورت ورت في ميدبروك في اوكلاند، أخبرنا الراهب جون ويلكرسون، أن القس مايك ايفنز هو صديق لجورج بوش وأنه يحتل مكانًا مرموقًا في الحزب الجمهوري. وأنه يتحرك في صفوف الناخبين ويحثهم على انتخاب أمثالنا، أمثال ريغان وبوش، إنه يؤمن بأميركا مؤيدة لإسرائيل، لأنه يؤمن بالقوة إنه يؤمن بأميركا تدعم حليفنا الأمين الذي يعتمد عليه في الشرق الأوسط، إسرائيل الديمقراطية الوحيدة في المنطقة».

قال الراهب ويلكرسون: إن مايك ايفنز يهودي تنصّر من أجل مساعدة شعبه. ولكن هذا لا يعني أنه يذهب إلى إسرائيل ويحاول تنصير اليهود. لا شيء من ذلك على الإطلاق. يريد أن يظهر لإسرائيل ولليهود أننا نحسبهم، وأنا نقف إلى جانبهم، ويريد أن يعرب لهم من خلال وجودنا، ومن خلال هدايانا، عن حبنا

الكبير . لم يعان أحد في العالم كما عانى اليهود، والله يقول لنا : إنه يبارك أولئك الذين يباركون اليهود» .

بعد ذلك تحدث ايفنز وظل يردد لمدة ساعة قوله : «إن الله يريد من الأميركيين نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس، لأن القدس هي عاصمة داوود. ويحاول الشيطان أن يمنع اليهود من أن يكون لهم حق اختيار عاصمتهم . إذا لم تعترفوا بالقدس ملكية يهودية ، فإننا سندفع ثمن ذلك من حياة أبنائنا وآبائنا . إن الله سيبارك الذين يباركون إسرائيل وسيلعن لاعنيها» .

وبعد أن عرضت علينا لقطات مصورة تدعو لدعم إسرائيل تمثل فولويل وسواغارت وبات روبرتسون والمعنى بات يوون ، والكاتب هال ليندسى والمعلق جاك اندرسون ، طلب منا التبرع، وكتابة الشيكات. نظرت حولي فرأيت كل واحد يكتب شيكًا . وقبل مغادرة المعبد طلب منا الراهب ويلكرسون التوقيع على نداء بنقل السفارة الأميركية إلى القدس وقد لبي الطلب كل الحاضرين .

في يوم آخر، توجهت إلى مدينة بدفورد في تكساس التي قال ايفنز إنها مدينته وقيم فيها . سألت رئيس البلدية فلم يعرفه . ولم يعرفه أحد في غرفة التجارة . ولم يكن اسمه مدرجًا على لائحة القساوسة أو البطارقة . حتى العامة من الناس لم يسمعوها به . لم يكن له بيت في المدينة . كل ما له فيها عنوان صندوق بريد .

حصلت على فيلم تلفزيوني مدته ساعة ، أعده ايفنز تحت عنوان «إسرائيل مفتاح أميركا إلى النجاة» . في هذا الفيلم يستعمل ايفنز كلمة «جوهرى» ليصف الدور الذي لعبته إسرائيل في المصير السياسى للولايات المتحدة . ورغم أن للفيلم بعداً سياسياً واضحاً ، فإن ايفنز والصهيونيون معه ، يصنفونه مع الأفلام الدينية، حتى يضمّنوا بثه مجاناً من محطات التلفزيون المحلية في أكثر من ٢٥ ولاية ، بالإضافة إلى شبكة البث المسيحية للمشاركين (بواسطة الكابلات) .

في هذا الفيلم يقدم ايفنز عدداً من التأكيدات السياسية المثيرة حول أهمية إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة . فيقول : إذا تخلت إسرائيل عن المناطق التي تحتلها بصورة غير شرعية فإن الله سيدمر كلا من إسرائيل والولايات المتحدة . ويختتم ايفنز الفيلم بتوجيه نداء إلى المسيحيين لدعم أفضل صديق لأميركا في ذلك الجزء من العالم من خلال التوقيع على «إعلان مباركة إسرائيل» .

بين أكتوبر ١٩٨٤ وإبريل ١٩٨٥ عرضت فيلم ايفنز ٢٥٠ محطة تلفزيونية . ثم

أعيد النظر فيه باعتماد ممثلين محترفين وأعيد بثه خلال صيف ١٩٨٥ لتلطيف موقف دافع الضرائب من طلبات المساعدة الهائلة التي تطلبها إسرائيل من الولايات المتحدة عبر الكونغرس ، وكذلك من أجل توفير الدعم اللازم للهدف الصهيوني وهو إقناع الولايات المتحدة نقل سفارتها إلى القدس .

عندما لم أستطع أن أعثر على ايفنز فى بدفورد، كتبت إليه على عنوانه فى المدينة . وقد تولى جهاز الكمبيوتر لديه الرد، فوردتني منه رسائل عديدة مع صور له مع شارون عراب غزو لبنان فى عام ١٩٨٢ وتدى كولىك رئيس بلدية القدس وإسحق شامير وريغان وغيرهم . يتحدث ايفنز فى إحدى رسائله عن زيارة قام بها للبيت الأبيض فى عام ١٩٨٣ فىقول : لم أكن أعرف أن رئيس الولايات المتحدة سوف يدعونى إلى البيت الأبيض ، أو أن الله سيقف إلى جانبى متحدثاً ٥٨ جنرالاً وأدميراً بحقيقة الله وسط لقاء فى البيت الأبيض ولم أكن أعرف أن كلمة كتبها تدعو أميركا إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل ، سوف تضم إلى سجلات الكونغرس» .

فى العام التالى دعى ايفنز مرة أخرى إلى البيت الأبيض . «فى عام ١٩٨٤ دعا الرئيس (ريغان) إلى البيت الأبيض حوالى ٩٠ شخصية من أكثر القادة الإنجلييين نفوذاً للقاء بعض كبار الحاخامين والقيادات اليهودية فى العالم .

«وعندما جلسنا فى الجناح الشرقى من البيت الأبيض إلى جانب صديقى الحميم جيمى سواغارت ، أخبرنا روبرت ماك فرلين مستشار الأمن القومى أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة لا يمكن أن يحددها الكتاب المقدس ، وأن القدس ليست عاصمة إسرائيل . ثم قال : إن وضعىة القدس يجب أن يتم تحديدها فى مفاوضات مع العالم العربى .

«توجهت إلي جيمى سواغارت وقلت : جيمى ، هل سنفعل شيئاً إزاء هذا التصريح ؟ أجاب : ما بك ، لقد كرسك الله بالنيابة عن إسرائيل وعليك أن تقف وتتكلم» .

«وقفت وقلت للسيد ماك فرلين إن الكتاب المقدس ليس موضع مفاوضة ، وإن الله لن يبارك أميركا إذا أدرنا ظهرنا لعالمه المقدس . ثم قلت بعد ذلك إن المسيحيين الإنجلييين لن يديروا ظهورهم تحت أى ظرف من الظروف إلى الشعب اليهودى أو إلى كلمة الله .

«صقّ الجميع بإعجاب بمن فيهم حوالى ٤٠ من أكثر وأقوى الحاخامين فى أميركا» .

ويضيف ايفنز : «ثم فى يناير ١٩٨٥ دعا الرئيس ريغان جيمى بيكر ، وجيمى سواغارت وجيرى فولويل ، ودعانى أيضاً مع مجموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شخصية . لن أنسى ما قاله لنا . أعرب الرئيس عن إيمانه بأن أميركا على عتبة يقظة روحية ، وقال : إننى مؤمن بذلك من كل قلبى . إن الله يرمى أناساً مثلى ومثلكم فى صلاة وحب نبتهل إليه فيها إعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد» .

أما فى إسرائيل ، فيقول ايفنز : إنه قابل رئيس الحكومة العمالى شيمون بيريز كما قابل قادة الليكود . «لقد قابلت فى الواقع جميع القادة الكبار فى دولة إسرائيل وعقدت أحد عشر لقاء مع رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن وغيره من كبار المسئولين فى الحكومة . . . كنت أقابل رئيس الحكومة والمسئولين بصورة منتظمة» .

ويقول ايفنز : إن له علاقات وطيدة مع الدكتور روبن هاخت من مكتب رئيس الوزراء ، والدكتور ناتياهو رئيس معهد جوناثان حول الإرهاب الدولى ، وايسر هاريل الرئيس السابق لجهاز الأمن والاستخبارات الإسرائيلى .

كما يقول : إن الإسرائيليين أخبروه عن خططهم بغزو لبنان قبل يومين من حدوثه . ويكتب فى رسالته : «لقد صليت مع (رئيس الوزراء) بيغن لمدة ٢٤ ساعة مباشرة بعد غزو لبنان فى عام ١٩٨٢» .

ويذكرنا ايفنز فى جميع رسائله أن الإسرائيليين ينظرون إليه على أنه صديق خاص . وخلال وجوده فى القدس ليصور فيلمه «القدس . د . س . يقول ايفنز : إن حاخاماً ارتوذكسياً - لم يسمه - وضع يديه على رأسه (على رأس ايفنز) «وصلى من أجلى» . «إن مثل هذا الحاخام لا يضع يديه على رأس مسيحي ويصلى ، ولا يسمح للمسيحي أن يضع يديه على رأسه ويصلى . أما بالنسبة إلى فقد أدى صلاة لا يؤديها إلا «ليفيت» أى الكاهن فى قدس الأقداس» .

لأن العديد من قادة إسرائيل يعتبرونه مقرباً منهم ، فقد دعوه لعرض الفيلم (القدس . د . س .) على شاشة التلفزيون الحكومية . ويقول ايفنز : إنه قبل عرض الفيلم ، لم يسمح الإسرائيليون أبداً لقس مسيحي - حتى لأصدقاء مثل بيلى غراهام وجيرى فولويل - أن يظهروا على شاشة التلفزيون الإسرائيلى . هناك قانون إسرائيلى يحظر على المسيحي أن يتحدث مع اليهودى ، كما يحظر أى تجمع

لليهود حول المسيح . ولكن الإسرائيليين يعرفون منذ البداية أن رسالة ايغنز هي رسالة سياسية» .

يشرح ايغنز دعوته للظهور على التلفزيون الإسرائيلي فيقول :

تأثر المدير العام لشبكة التلفزيون الإسرائيلية بعد مشاهدته فيلم - القدس ، د . س . لدرجة دعانى إلى السفر إلى إسرائيل كضيف والظهور على شاشة التلفزيون، ومن ثم عرض الفيلم على الدولة الإسرائيلية . وستكون المرة الأولى في تاريخ دولة إسرائيل التي يحل فيها مسيحي ضيفاً على شبكة التلفزيون الحكومي .

دعا ايغنز بعد ذلك يهوداً أميركيين لمشاهدة العرض التلفزيونى . وكم كان مسروراً عندما علم أن أكثر من ١٥٠ ألف يهودى شاهدوا الفيلم فى أميركا وحدها، وكذلك عندما تلقى أكثر من ١٤٥٠٠ اتصال من أناس يهود . كتب ايغنز إلى جميع الكنائس فى أميركا عارضاً إرسال فيديو كاست عن الفيلم مجاناً . بعد أن امتدح الكثيرون من الحاخامين هذا الفيلم .

كتب ج . روتمان رئيس المنظمة الصهيونية فى أميركا يقول : «أول استنتاج توصلت إليه بعد مشاهدة تسجيل عن الفيلم هو : «اشكروا الله وأرسلوا الذخيرة» . «إن عملكم هو ابتهاج وشكر لله» وإن فيلم القدس د . س هو أفضل ذخيرة . إن عاصمة داوود هى عاصمة إسرائيل ، وإن شريط فيلم الفيديو يؤكد على القضية بدقة وبوضوح . أمل أن يرى الفيلم وأن يدعمه الملايين» .

يريد ايغنز أن يوقع مليون مسيحي على نداء كالذى وزع علينا فى كنيسة فورت ورت . ويقول ايغنز فى إحدى رسائله : «أريد مساعدتكم لإدراج أسماء مليون شخص أو أكثر ، للتوقيع على نداء عالمي للاعتراف بالقدس ، وعن حق ، عاصمة لإسرائيل . إنه نداء روحى سوف أسلمه شخصياً إلى رئيسنا (الرئيس الأمريكى) وإلى رئيس وزراء إسرائيل ، وإلى رؤساء دول أخرى . لقد دعوت الله أن يحرك قلوب مليون إنسان على الأقل . للتوقيع على هذا النداء التاريخى . وأنا أريد منك أن توقع على هذا النداء الحار والتاريخى وأن تعيده إلى بسرعة» .

فى عام ١٩٨٤ جمع ايغنز مجلدين من التواقيع ، وحمل الأسماء إلى إسرائيل وقدمها إلى رئيس الوزراء إسحق شامير، وهو مقاتل صلب وقائد سابق لفيصل إرهابى . ويكتب ايغنز عن هذا اللقاء قائلاً : .

ملأت الدموع عينى رئيس الوزراء وقال لى : هؤلاء المسيحيون يحبوننا فعلا ، أليس كذلك ؟ . قلت له : «نعم ، إنهم يحبوننا . إنهم يحبونك فعلا .

ويهتمون». ثم قال رئيس الوزراء : « هؤلاء أناس أصيلون أليس كذلك؟ » وينهى
ايغنز رسالته بالقول : «صدمت إسرائيل الحبيبة عندما علمت أن أناساً مثلك ومثلى
يشاركون شعبها العطف والحب والشوق» .

وفي رسالة أخرى يكتب ايغنز : « إن حكومتنا مذنبة لأنها لم تنقض قراراً
معادياً لإسرائيل فى مجلس الأمن الدولى يدعو جميع الأعضاء إلى سحب
سفاراتهم من المدينة (القدس) على أساس أن القدس لم تكن جزءاً من أرض عربية
احتلتها إسرائيل». وبالتتيجة ، فإن ١٣ دولة ممن أقامت سفارات فى القدس
كعاصمة لإسرائيل ، انسحبت .

«ان الكتاب المقدس يقول : إن الله أعلن القدس عاصمة فى أيام الملك داوود ،
عندما طلب من سليمان أن يبنى المعبد هناك . وسنصلى من أجل سلام القدس
وازدهارها» (١٢٢ / ٦ الآية) .

« مع ذلك ترفض أميركا الاعتراف بالقدس . إن دولتنا تعتبر القدس منطقة
محتلة ، وليس عاصمة لإسرائيل . لقد رفضت الولايات المتحدة طوال ثلاثة عقود
الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على أى جزء من المدينة . من أجل ذلك تقع السفارة
الأميركية فى تل أبيب» . .

«إن أميركا تدعو إلى تقسيم القدس . وفوق ذلك ، ليس للسفير الأمريكى فى
تل أبيب أى دور أو موقع رسمى فى القدس . انه لا يستطيع حتى ختم تأشيرة
أميركية فى القدس . لماذا لا تعترف أميركا بالقدس؟ لأننا نقول : إن الأردن أدار
جزءاً من القدس فى فترة معينة . هذا صحيح ولكنهم أداروا هذا الجزء بصورة غير
قانونية . وختم ايغنز قائلاً :

«لقد وعدت إسرائيل بهذه العاصمة فى الكتاب المقدس . وأعيدت هذه المناطق
إليها تاريخياً بواسطة الإنكليز» .

الواقع أن الأردن أدار القدس قبل حرب ١٩٦٧ ، لمدة قصيرة ، تماماً كما فعل
البريطانيون قبل الأردنيين ، وكما فعل الأتراك قبل الإنكليز ، وهكذا طوال الألفى
سنة الماضية . إن الحقيقة التى يتجاهلها ايغنز هى أن المدينة القديمة من القدس يعيش
فيها فلسطينيون مسيحيون ومسلمون بشكل كامل تقريباً ، وأن الفلسطينيين
وأسلافهم عاشوا وكانوا الأكثرية الساحقة فيها مدة لا تقل عن ٢٠٠٠ سنة .

فى عام ١٩٨٠ ضم رئيس الوزراء بيغن بصورة غير شرعية القدس العربية ، وهو

عمل استهجنه كل قادة العالم . لم تعترف حكومة أية دولة رئيسة بحق إسرائيل المطلق في مدينة الديانات الثلاثة . ولا تقيم حكومة أية دولة رئيسة سفارة لها في القدس فإذا بادرت الولايات المتحدة بهذه الخطوة فستكون أول حكومة ، وستكون الدولة الكبرى الوحيدة في العالم التي تعطي الشرعية لادعاء الحق المطلق لإسرائيل في مدينة الديانات الثلاثة . (افتتحت دولة أو دولتان من دول أميركا الوسطى التي تدين لإسرائيل بالحصول على الأسلحة سفارة لها في القدس منذ أن نقلت سائر السفارات من المدينة في عام ١٩٨٠ احتجاجاً على الضم غير الشرعي للمدينة الذي قام به بيغن).

في عام ١٩٤٧ ، عندما صدر قرار الأمم المتحدة الذي يوصى بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ، ودولة فلسطينية ، لم تكن القدس في نصيب أى منهما . وفي الواقع فإن قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ استثنى القدس من التسوية [استعملت الأمم المتحدة عبارة تقسيم الجسد] . ونص القرار أيضاً أن «تقسيم الجسد» هذا سيكون تحت السيادة الدولية عندما يتم إنجازه .

باختصار ، لم يكن مفروضاً أن تكون القدس مدينة يهودية ، ولا مدينة فلسطينية إسلامية مسيحية . ولمدة ٣٩ عاماً ، منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٨٦ ، أصر قادة العالم على تجنب أى تغيير في هذه الوضعية حتى تحل كل أطراف الصراع قضية مدينة الأديان الثلاثة .

الخاتمة

هناك نص توراتى يقول : «لقد وضعت أمامكم الحياة والموت . والبركة واللعنة : لذلك اختاروا الحياة، التي تعيشونها أنتم وأحفادكم .» فكرت فى خيارنا للحياة ، أو فى موتنا، طوال السنوات العديدة الماضية مستمعة إلى جيرى فولويل وغيره من الإنجيليين الذين يأتون إلينا عبر الهاتف ، والكتاب المقدس باليد، ناقلين عن كتاب دانيال من العهد القديم، وعن كتاب سفر الرؤيا من العهد الجديد ، قائلين : إن الله قضى علينا أن نخوض حرباً نووية مع روسيا .

اقتناعاً منهم بأن هرْمَجِدُون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية ، فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيرية ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصورة مباشرة ، باعترافهم أنفسهم ، إلى محرقة أشد وحشية وأوسع انتشاراً من أى مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامى .

لقد وجدت فكرهم الوعظى تحريضياً وتصادمياً فى حثهم على الاستعداد لنهاية العالم . إنهم يدفعون بى إلى أن أدرك أننا قطعنا مسافة طويلة بعيداً عن بداياتنا كبشر . إن معظمنا يتمسك باعتبار حسن الجوار علاقة رائعة فى حياتنا المدنية : معاملة الآخرين كما نحب أن يعاملونا به ، وفوق ذلك عاش الكثيرون بهدف أكثر نبلا : وهو مغادرة هذه الدنيا فى حالة أفضل من الحالة التى وجدوها عليها .

إن مواعظ المؤمنين «بالتدبيرية» جعلتني أدرك من جديد أننى وبلايين البشر قبلى، كنا سعداء . لقد جئنا إلى هذا العالم وبنينا آمالا كبيرة على غد أفضل . أما الآن ولأول مرة فى التاريخ فإن لدينا الرغبة فى تدمير كل الوجود الثقافى والإنسانى، وأن نقضى ليس فقط على أولئك الذين يعيشون اليوم، بل على كل المستقبل ، وكل أيام الغد .

أحياناً أتمشى فى حديق عامة وأتفرج على عظمة تغيير الشجر حلتها الخارجية من الشتاء إلى الربيع ، أو أستمع إلى موزارت ، أو إلى شكسبير أو أشاهد معجزة يد الطفل الصغير المصممة بدقة وكمال ، ثم أفكر : كيف يمكن لنا وبمطلق إرادتنا أن نختار بجدية تدمير كل معجزة الحياة هذه؟ .

فى كتاب : «قدر الأرض» يقول جوناثان شيل : إنه من المهم التمييز بوضوح بين معاناة وموت البلائين من الأشخاص، من جهة أولى ، والقضية التى لا يمكن قبولها باستئصال كل المستقبل البشرى من جهة ثانية.

«إن إمكانية الكائن الحى على منع الأجيال المستقبلية من دخول الحياة ، تحملنا على طرح أسئلة جوهرية جديدة حول وجودنا ، وأهم هذه الأسئلة ، ماذا يعنى لنا هؤلاء الذين لم يولدوا بعد ؟ لم يسبق لأحد أن طرح هذا السؤال قبل أيامنا ، لأنه لم يسبق لأى جيل قبلنا أن أمسك بيديه حياة أو موت كل الكائنات . . . كيف يمكن لنا أن نستوعب حياة أو موت الأعداد اللامتناهية من البشر التى لم توجد بعد ؟ ويتساءل شيل :

«كيف يمكن لنا نحن الذين نشكل جزءاً من الحياة الإنسانية ، أن نتراجع إلى الوراء منفصلين عن الحياة من أجل أن نؤكد معنى زوالها ؟. إن الموت هو نهاية الحياة . والإبادة هى نهاية الخلق الموت ينتقل إلى اللاشئ بعد حياة كل مولود . أما الإبادة بضربة واحدة فلإنها تغلق أبواب اللاشئ قبل الحياة ، فى وجه كل الناس الذين لم يولدوا بعد .

«إن خطر خسارة الخلق يُغير على كل الجوامع المشتركة بين الناس، ذلك لأن إمكانية كائناتنا على إنجاب أجيال جديدة هى التى تضمن استمرار العالم الذى توجد فيه كل مصالحنا المشتركة كما تضمن أن يكون لهذه المصالح معانيها» .

بالإضافة إلى قراءة شيل تتبعت الاكتشافات العلمية لعلماء الفيزياء، والفلك وغيرهم الذين يحذرون من أنه إذا استعملت أى من القوى الكبرى السلاح النووى، فإن غبار الانفجارات المترتب على الحرائق سوف يغطى كامل الكرة الأرضية . لن ينجو من ظلام طبقات الغبار الكثيف الذى سيمنع أشعة الشمس من الوصول إلى الأرض أى إنسان لا فى نيوزيلند ولا فى تيراديل فواكو . مما سيؤدى إلى شتاء نووى قد يقضى على حياة كل النبات والحىوان .

بالاستماع إلى مواعظ فولويل، وبقراءة شيل وكارل ساغان ، أرى أنهم ينظرون إلى إمكانية إبادة كل المستقبل من زاويتين مختلفتين، هناك فوارق كبيرة بين المحافظين أيام طفولتى والمحافظين اليوم . فى أيام طفولتى كان المبشرون يردلون السينما والرقص والمشروبات الروحية ونظرية النشوء . كانت إمكاناتهم المادية محدودة جداً . ولم تكن عندهم محطات تلفزيونية ولا دولة إسرائيل . أى أنه لم يكن عندهم موقع رسمى لهم مجدون . وأكثر أهمية، لم تكن القبلة النووية

موجودة . اليوم ، فإن فولويل وبات روبرتسون وغيرهما من المؤمنين «بالتدبيرية» ، يتمتعون بمصادر مالية غير محدودة. عندهم موقع المعركة فى إسرائيل ، وعدة أسباب لحرب نووية يريدونها الله . وهم يعظون ويعدون ويبيعون الأميركيين فكرة إنتاج المزيد من القنابل واستعمالها .

إن المبشرين فى أيام طفولتى بتعزيز إيمانهم بولادة المسيح من أم عذراء ، وبأن الله خلق الكون فى ستة أيام، كانوا يتعاملون مع أحداث الماضى . وهكذا لم يشكّلوا أى خطر على وجودنا . غير أن فولويل وغيره من المؤمنين «بالتدبيرية» هم قبل الماركسيين الغامضين ، اعتنقوا عبادة السيناريو الذى وضعوه حول مستقبلنا . وبما أنهم يقولون : إن مستقبلنا يقع فى الحرب والإبادة فهم يطرحون خطراً مختلفاً تماماً أشد تأثيراً من خطر الإنجلييين والمحافظين الأوائل .

حاولت أن أبين أن الحلف الإسرائيلى - الأصولى الأمريكى ليس مجرد حشد للمبادئ النظرية والمعتقدات الروحية . إنما يقوم على عوامل سياسية وعسكرية أكثر منها نظرية . ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، لأن المقومات الدينية التى تميز الدولة اليهودية ، تقوم على أصول يهودية تعتبر الاهتداء بالمسيحية - وهو هدف أساسى للأصولية - تهديداً أساسياً لوجود اليهود كمجموعة .

على الرغم من أن الأصوليين المسيحيين ، دينياً هم على نقيض القيادات السياسية فى إسرائيل ، فهم حالياً على علاقات حسنة معهم ويجب أن لا نصدق أنهم أفضل الأصدقاء رغم أن كل جانب يحاول أن يؤكد ذلك لنا .

إننا نعرف أنه نتيجة لوجود أهداف بعيدة المدى بين أطراف التحالف ، فإن تحالفهم وتنظيمات أعمالهم يجب أن تبقى مؤقتة بالضرورة . ورغم ذلك يمكن لها أن تستمر مدة كافية لتسبب فى كارثة لا يمكن التهكن بأبعاها فإذا لم نعترف بالخطر الذى يفرضونه فسيكون أمام المتطرفين الوقت الكافى فى حلفهم غير المقدس ، لتفجير حرب لا تنتهى قبل أن تدمر الكرة الأرضية من خلال التحقيق الذاتى للنبوءة .

إن المجلس العالمى للكنائس الذى يمثل حوالى عشرة ملايين مسيحي فى الشرق الأوسط يقول فى تقارير له : إن الولايات المتحدة وروسيا مع ألمانيا الغربية وإنكلترا وفرنسا جعلوا من الشرق الأوسط نقطة ارتكاز فى سباق التسلح .

وتقول مجلة المجلس بيرسبكتيف الصادرة فى - إبريل ، مايو ١٩٨٤ - : «إن

٥٠ بالمئة من كل الأسلحة المنتجة في العالم تذهب إلى الشرق الأوسط الذى يتمتع الآن بأعلى نسبة من الإنفاق على التسليح فى العالم كله» .

لقد أغرقنا إسرائيل بالمال والأسلحة - جعلنا من دولة الثلاثة ملايين يهودى تقريباً مارداً عسكرياً أكبر من أى من ألمانيا ، إنكلترا ، أو فرنسا، وأقوى من ٢١ دولة عربية مجتمعة بسكانها البالغ عددهم ١٥٠ مليوناً. وبالإضافة إلى ترسانتها الضخمة من أسلحة الحرب الأميركية ، كانت إسرائيل فى عام ١٩٨٦ وطوال العقدين السابقين ربما، الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تملك أسلحة نووية .

ولقد أخبرنى الكاتب ستيفن غرين مؤلف كتاب «الانحياز» ، أنه «منذ عام ١٩٦٥ عندما بدأت إسرائيل تحصل على المواد والتقنية اللازمتين من الولايات المتحدة ، أنتجت إسرائيل أسلحة نووية على شكل رؤوس صاروخية أو قنابل تسقط من الطائرات. وقال لى أيضاً :

«فى عام ١٩٥٦ حصل موالون لإسرائيل على ٧٥٢ باوند من اليورانيوم ، (وهى كمية كافية لصنع ٣٨ قنبلة ذرية من حجم القنبلة التى ألقيت على هيروشيما) من مؤسسة للمواد والتجهيزات النووية فى أبولو - بنسلفانيا. كان رالمان شاييرو وهو عالم يهودى ترأس المصنع شريكاً مع الحكومة الإسرائيلية فى شركة ايزوراد (وهى شركة مقرها فى إسرائيل وتنتج أجهزة نووية).

يؤكد تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كشف فى عام ١٩٨٦ ، على مقدرة إسرائيل النووية ، ويقول: إن تل أبيب قادرة على إنتاج أجهزة نووية من دون ضجة . ويوضح تقرير وكالة المخابرات أن إسرائيل تملك ما بين ١٢ و ٢٠ قنبلة نووية .

من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ صدر إلى إسرائيل رجل أعمال فى كاليفورنيا بصورة غير مشروعة ١٥ شحنة من أجهزة التوقيت العسكرية تدعى «كريتون» يمكن استعمالها كأدوات تفجير فى الأسلحة النووية. تقارير جديدة فى ١٦ مايو ١٩٨٥ تقول : إن محكمة فدرالية فى لوس أنجيلوس أدانت رجل الأعمال - أى رجل الأعمال الذى اختفى بصورة غامضة ، قام بعمليات النقل من «ميلكو انترناشيونال» فى كاليفورنيا إلى شركة «هالى ترايدنغ» فى تل أبيب - .

منذ بداية صناعتها النووية رفضت إسرائيل الانضمام إلى أى من معاهدة حظر

الانتشار أو أى من المنظمات الدولية التى أقيمت من أجل أن تفرض القليل من السلامة على السباق الدولى نحو أسلحة الإبادة .

لقد أصبحت الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالأسلحة الحربية متورطة بطريقة أو بأخرى فى كل الحروب الإسرائيلية فى أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢ .

فى الحرب الإسرائيلية - العربية عام ١٩٧٣ ، أمر نيكسون وكيسنجر استنفاراً نووياً من الدرجة الثالثة من الاستعداد النووى فى كل أنحاء العالم ، مما وضعنا على مسافة خطوتين من هَرَمَجَدُون . أكثر من ذلك ، فى المراحل المبكرة للحرب ، هددت إسرائيل باستعمال الأسلحة النووية ، وفى الواقع اتخذت الاستعدادات لتفعل ذلك ، من أجل أن تحمل الولايات المتحدة على تزويدها «بشحنات ضخمة من الأسلحة التقليدية» كما قال البروفسور نعوم كومسكى وهو يهودى أميركى بارز فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . ويقول كومسكى فى كتابه : «المثلث القدرى : الولايات المتحدة ، إسرائيل والفلسطينيون» :

«التهديد كان موجهاً إلى الولايات المتحدة . الإشارات الإسرائيلية ستجعل الأمر واضحاً أمام صانعى القرار فى البيت الأبيض والبتاغون ووزارة الخارجية ، من أن أى مزيد من التأخير سيؤدى إلى كارثة فى الشرق الأوسط . . . ويمكن الظن أيضاً أن الصواريخ الإسرائيلية ذات الرؤوس النووية والتى يمكن أن تصل إلى جنوب روسيا ليس الهدف منها ردع الاتحاد السوفياتى ، إنما تنبيه المخططين الأميركيين مرة أخرى ، إلى أن الضغوط على إسرائيل للرضوخ إلى تسوية سياسية يمكن أن تؤدى إلى رد فعل عنيف . . . مع إمكانية حرب نووية عالمية» .

ويكتب الدكتور كومسكى أيضاً : «إن سلاح إسرائيل السرى ضد الولايات المتحدة بصورة خاصة ، وضد الغرب بصورة عامة ، هو أنها - أى إسرائيل - يمكن أن تتصرف «كدولة متوحشة» خطيرة على جيرانها ، غير طبيعية ، قادرة على إحراق حقول النفط أو حتى البدء بحرب نووية» .

إن لجوء إسرائيل إلى استعمال التهديدات المبطنة لإطلاق العنان أمام نهاية العالم كان موضع اعتراف داخل إسرائيل . باكوف شاريت كتب فى صحيفة دافار (٣ نوفمبر ١٩٨٢) إن الخطر الأكبر الذى يواجه إسرائيل اليوم هو النسخة المجمعة عن انتقام سامسون من الفلسطينيين . «دعنى أفنى مع الفلسطينيين» ، وذلك عندما هدم الهيكل أشلاء . وينقل عن وزير الدفاع السابق بنحاس لافون قوله : «سوف

نصاب بالجنون» . كذلك ينقل شاريت عن مسئول في حزب العمل دافيد هاكوهن تحذيره بعد الهجوم الإسرائيلي على مصر في عام ١٩٦٧ ، من أنه «ليس لدينا شيء نخسره ، ولذلك فإنه من الأفضل أن نتصرف بجنون . إن العالم سيعرف إلى أى حد وصلنا » . إن «عقدة سامسون» المعاصرة تعزرت من خلال الشعور «بأن العالم كله ضدنا» بسبب لا سامية لا تزول ، إنها نظرة جنون الارتياب والشك التي تدين في قسم غير قليل منها إلى نظام الإيمان عند المسيحيين الصهيونيين .

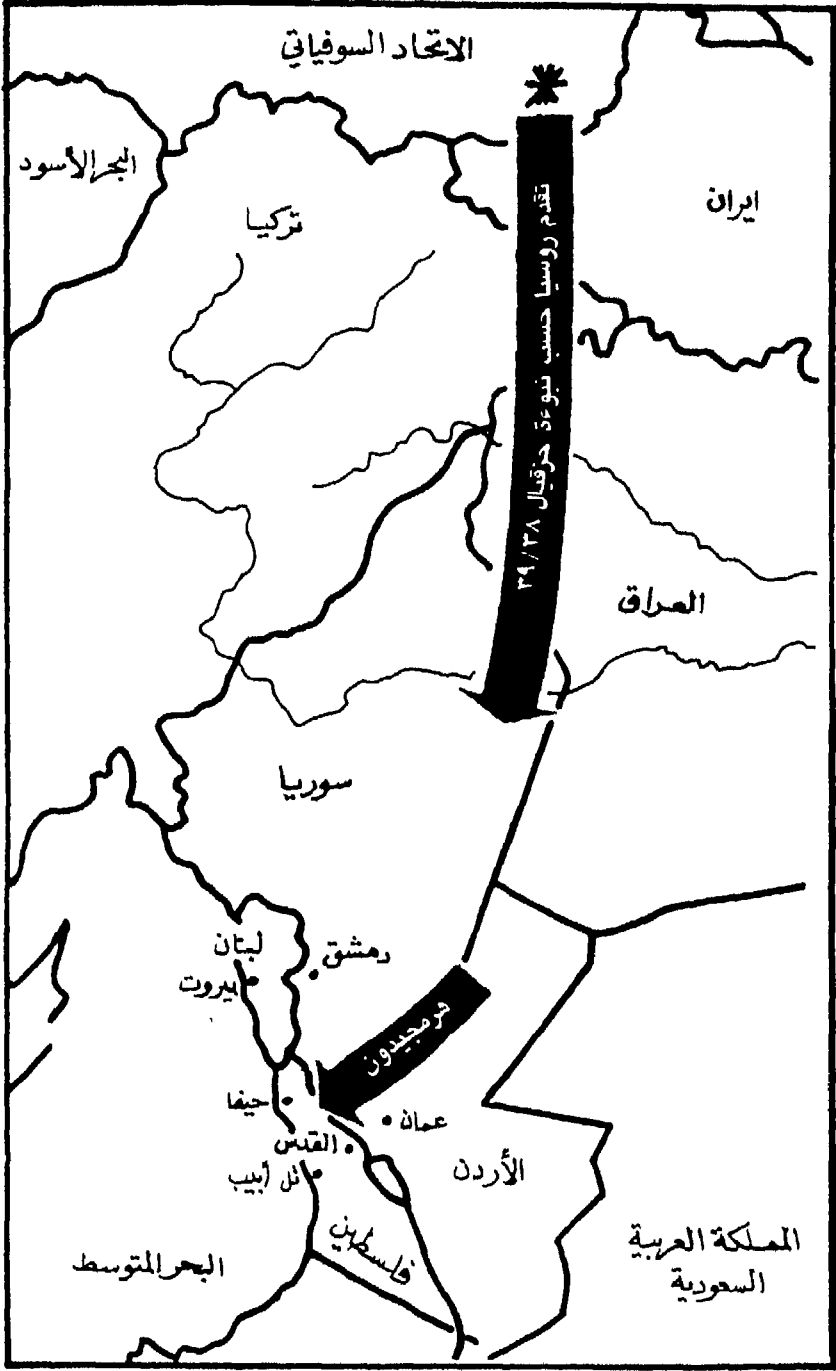
إن المتطرفين بين الإسرائيليين اليهود لا يشكلون بعد الأكثرية والمسيحيون المتطرفون لا يشكلون بعد الأكثرية .

لقد حاولت أن أبين أن الحلف بين هاتين المجموعتين اليمينيتين العسكريتين يوفر لكليهما ففزة كافية في الواقع وقوة وجبروتاً غير عاطفين . كذلك يتملك قادة المجموعتين إيمانهم بنظام اعتقادهم ، وبشقتهم في أنهم يملكون القوة والحق للمساعدة على تنظيم ليس فقط نهاية الزمن بالنسبة إليهم ولكن بالنسبة لكل الكائنات الأخرى .

في عام ١٩٨٥ تأملنا نحن الأميركيين عميقاً في الذكرى الأربعين لإلقائنا أول قنبلة نووية . بعد أربعة عقود الآن عاش الأميركيون وكل شعوب العالم في الظل النووي . منذ هيروشيما أنتجنا أكثر مما نحتاج إليه لتدمير الإنسانية كلها .

ومع ذلك فإننا مندفعون بصورة متواصلة لإنتاج المزيد من القنابل والإنفاق آلاف البليونيات من الدولارات في الفضاء الخارجي «للمحافظة على السلام» . إذا اعتقدنا أن الأسلحة النووية الأميركية تحفظ السلام ، هل يتبع ذلك أن السلام سيكون في حرر حريز إذا أصبحت كل دول العالم قوى نووية؟

في كل مواعظ جيرى فولويل وغيره من الإنجيليين التلفزيونيين ، لم أذكر شيئاً مما كانوا يحدثوننا بشأن (الموعظة على الجبل) . ولم أشير إلى تذكيرهم لنا أن المسيح سلك نهجاً غير عسكري . وأن نهجه لم يكن يستهدف تدمير الممتلكات وإيذاء الشعوب من أجل مملكة سياسية مؤقتة على الأرض . إنما جاء (المسيح) من أجل تحقيق تقدم وتطور الحياة . جاء برسالة السلام . علمنا أنه بالسلام نحصل على الحياة ، وأنا نحصل عليها بوفرة .





القدس المدينة القديمة

كانت القدس طوال تاريخها الطويل مدينة عربية على الأغلب . توجد داخل أسوار المدينة القديمة صروح الديانات الثلاثة : الصرح الإسلامى ، قبة الصخرة ، الصرح اليهودى ، الحائط الغربى ، الصرح المسيحى ، كنيسة القيامة .

إن المدينة القديمة هي موطن ٢٥ ألف نسمة ينحدرون فى معظمهم من عائلات عاشت فى المدينة قبل المسيح .

٥ مقدمة جديدة
١١ مقدمة الطبعة الثالثة
١٥ المقدمة
٣٠ مع جبرى فولويل فى أرض المسيح (معركة هَرَمَجَدُون)
٣٧ النهاية قريية
٤٤ ريغان: التسلح من أجل هَرَمَجَدُون حقيقيية
٥٤ استراحة فى الناصرة
٦٠ استحسان المسيح العسكرى
٦٥ بحث عن حياة فولويل
٧٤ زيارة الجبل المقدس
٧٨ التحريض على الحرب المقدسة
٩٢ الدليل المسيحى الممنوع
١٠٠ البحث عن صهيونية غير يهودية
١١٢ زواج المصالح لماذا عقدت إسرائيل حلفاً مع اليمين المسيحى الجديد...
١٢٧ مكاسب إسرائيل من التحالف - المال
١٣٤ مكاسب إسرائيل من التحالف - مزيد من الأرض
١٤١ مكاسب إسرائيل من التحالف - تجذير الدعم المسيحى -
١٤٥ مزج السياسة بالدين
١٥٢ الخاتمة

رقم الإيداع ٩٨/٢٨٩٤
I.S.B.N. 977 - 09- 0432- 5

مطابع الشروق

القاهرة ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)